

الأزهر

في ألف عام

دكتور علي علي صبح

دكتور محمد عبد المنعم خفاجي

الطبعة الثالثة

مزيدة ومحققة ومنقحة

الجزء الخامس

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

(٩) درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٢٥١٢٠٨٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

الحمد لله الذى أنزل الكتاب على رسوله بلسان عربى مبين ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢) كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿[فصلت: ٢، ٣]، فتميزت لغته العربية من بين اللغات بالشرف والحفظ والخلود والسمو: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿[الزمر: ٢٧، ٢٨].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذى خصه ربه بجوامع الكلم فكان أفصح العرب قاطبة، اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وأتباعه رضى الله عنهم أجمعين ويعد..

فهذا هو الجزء الخامس من كتاب «الأزهر فى ألف عام» فى طبعته الثالثة المزيده والمحققة والمنقحة، اشتمل على أعلام من رجال الأزهر الذين حافظوا على لغة القرآن الكريم وعلومه وآدابه وعلى المؤسسات والمجامع للبحوث العربية والإسلامية، وعلى المراكز التعليمية والجامعية المتنوعة، التى كانت حصناً للغة العربية، فكان الأزهر وعلومها وآدابها، تحطمت على أعتابه حملات الغزو الأجنبى والأعجمى والفكرى المسموم والعامى، فحطم حملات التغريب والتنزيل واللاتينية والعامية لتكون لغة القرآن الكريم خالدة بخلوده ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿[فصلت: ٤١، ٤٢]، وسيظل الأزهر الشريف حصناً حصيناً للعلوم الإسلامية العربية والإسلامية،

ولا زال شامخاً تتهادى دونه تيارات التغريب والحقد والكراهية: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٨٠].

هذا وبالله تعالى التوفيق

أ.د. علي صبيح

٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ



— — — — —
﴿ ﴾
مجمع البحوث الإسلامية
﴿ ﴾
— — — — —

مجمع البحوث الإسلامية

مجمع البحوث الإسلامية، هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية؛ وشيخ الأزهر هو رئيس المجمع. وللمجمع أمانة عامة تتكون من الأمين العام، وأمناء مساعدين، وعدد من الموظفين. وقبل أن نتحدث عن المجمع وأعماله وأجهزته، نود أن نشير إلى هيئة كبار العلماء، التى يعد المجمع امتدادا لها؛ فقد كانت الهيئة مقصورة على العلماء المصريين، وصدر القانون رقم (١٠) لسنة ١٩١١م متضمنا إنشاء هيئة كبار العلماء برئاسة شيخ الأزهر.

يشترط لعضوية هذه الهيئة الشروط التالية:

- ١- أن تكون سن العضو خمسا وأربعين سنة على الأقل.
 - ٢- أن يكون معروفا بالورع والتقوى، وليس له ماض يشينه.
 - ٣- أن يكون حائزا لشهادة العالمية مع لقب أستاذ منا، خمس سنوات على الأقل.
 - ٤- أن يكون قد اشتغل بالتدريس فى إحدى الكليات، أو شغل إحدى وظائف الإفتاء أو القضاء الشرعى من درجة رئيس محكمة، أو أن يكون قد تولى وظيفة علمية بإدارة الجامع الأزهر والمعاهد الدينية من درجة شيخ معهد ثانوى، أو شغل منصباً من مناصب الرؤساء الدينيين المسلمين المشار إليهم فى المادة ١٤٢ من الدستور.
 - ٥- أن يكون قد ألف كتابا قيما فى مادة من المواد المقررة فى إحدى الكليات، أقرته لجنة مشكلة من عشرة أعضاء على الأقل، تندبها هيئة كبار العلماء لمباحثة مؤلف الكتاب فيما جاء فيه.
 - ٦- أن تقرر هيئة كبار العلماء قبول ترشيحه بالأغلبية المطلقة للأعضاء الذين تتألف منهم الهيئة وقت الترشيح.
- يعين كبار العلماء على النحو الآتى:
- يضع مجلس الأزهر الأعلى لائحة داخلية لهيئة كبار العلماء، ويقرر فى هذه

اللائحة توزيع الكراسى على المواد المختلفة، مع مراعاة حكم المادة ٨٣ بمنح كل عالم المكافأة التى تقرر لأعضاء هيئة كبار العلماء.

تجتمع هيئة كبار العلماء بدعوة من شيخ الجامع الأزهر، ويكون اجتماعها صحيحاً متى حضره أكثر من نصف الأعضاء الذين تتألف منهم الهيئة، وتصدر قراراتها بالأغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين، فيما عدا الأحوال المنصوص عليها فى القانون.

وقد خولت الهيئة إذا وقع من أحد العلماء، موظفًا كان أو غير موظف، ما لا يناسب وصف العالمية محاكمته بناء على طلب شيخ الجامع الأزهر. ولهذه الهيئة أن تحكم بإجماع عشرين عضوا منها، من بينهم شيخ الجامع الأزهر بإخراجه من العلماء؛ ويكون حكمها غير قابل للطعن فيه، ويترتب على الحكم بالإخراج من العلماء محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية، وطرده من كل وظيفة، وقطع مرتباته فى أية جهة كانت، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية، دينية كانت أو غير دينية. ويتبع فى المحاكم الإجراءات التى تبين فى لائحة يضعها مجلس الأزهر الأعلى؛ فإذا كان المحكوم عليه موظفاً وجب أن يحال أمره بعد ذلك إلى الجهة التى هو تابع لها، لتثبت الهيئة المختصة الحكم، وتحدد الأثر المترتب عليه من الوجهة الإدارية، سواء فيما يختص بالفصل، أو بضيايع الحق فى المكافأة أو المعاش.

ويجوز لمن صدر الحكم بإخراجه من العلماء، بمقتضى المادة السابقة، أن يطلب -بعد مضى عشر سنين من تاريخ هذا الحكم- إعادة النظر فى أمره. ومتى أثبت أنه سلك سلوكاً يتفق وكرامة رجال الدين، وعُدل عما صدر الحكم لأجله، وكانت إعادته لا تتنافى مع هذه الكرامة، جاز إعادته إلى صفوف العلماء بقرار من هيئة كبار العلماء، على الصفة المبينة فى المادة السابقة.

ويجب أن تكون الأعمال العلمية التى تقوم بها هيئة كبار العلماء فى حدود المواد المقررة للكليات الثلاث بالجامع الأزهر (الشريعة - أصول الدين - اللغة العربية)؛ وتكون على نوعين:

النوع الأول: تدريبي، يعنى فيه بتربية الملكات، ومعرفة طرق استنباط الأحكام من أدلتها، وتحقيق المسائل العلمية.

النوع الثانى: عمل أبحاث علمية فى الموضوعات المهمة من المواد المذكورة فى شكل رسائل.

وتختار الهيئة الكتب والأوقات التى تلائم حال الأعضاء فيما يتعلق بالنوع الأول؛ ولها أن تعين موضوعات الأبحاث فيما يتعلق بالنوع الثانى.

وفى ما يتعلق بكراسى الأستاذية تقسم مواد الدراسة فى الكليات إلى المجموعات الأربع الآتية:

أ- الفقه وأصول الفقه، مع حكمة التشريع وتاريخ التشريع الإسلامى.

ب- التفسير والحديث، متنا ورجالا ومصطلحا.

ج- التوحيد والمنطق والمناظرة والفلسفة (مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها)، والتاريخ والسيرة النبوية والأخلاق الدينية وعلم النفس.

د- علوم اللغة العربية.

ويجب أن تمثل كل مجموعة من هذه المجموعات فى هيئة كبار العلماء، بحيث لا يقل عدد كراسى المجموعة الأولى عن ثمانية كراسى (ثلاثة للحنفية، واثنين للشافعية، واثنين للمالكية، وواحد للحنابلة).

ولا يقل عدد كراسى المجموعة الثانية عن اثنين، وكراسى كل من المجموعتين الثالثة والرابعة عن ثلاثة. وإذا لم يقدّم العضو بما تفرضه عليه الهيئة من الأعمال العلمية بغير عذر مقبول، عرض أمره على الهيئة؛ ويجوز لها أن تحرمه من راتبه عن المدة التى لم يقدّم فيها بما فرضته عليه.

أنشئ المجمع فى سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) بمقتضى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١؛ وجاء فى هذا القانون: «إن مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، ويقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث، ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية، وتجريدها من الفضول والشوائب، وتجليتها فى جوهرها

الأصيل، والعمل على نشر الدعوة الإسلامية، وتنظيم بعوث الأزهر من وإلى العالم الإسلامى».

وقد استهل المجمع نشاطه بعقد مؤتمراته التى بدأت فى عام ١٩٦٤م، وقدم فيها مجموعة من البحوث، تناولت مختلف أوجه نواحي الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية. وحرص المجمع على إصدار بحوثه تلك باللغتين العربية والإنجليزية؛ ونص قانونه على أن يتألف من خمسين عضواً، من بينهم عدد من الخارج لا يزيد على العشرين. وكانت جماعة كبار العلماء بالأزهر قبل التطوير قد آلت عضويتها إلى ستة أشخاص، فى وقت أصبحت فيه الأبحاث الإسلامية مطلوبة، والرغبة إليها ملحة، لتساير التطور العلمى والفكرى فى بلادنا؛ فكانت الحاجة ماسة إلى مجمع البحوث الإسلامية، ليجد العالم الإسلامى فى أعضائه ضالته المنشودة للحفاظ على دينهم وتراثهم. وفى رحابه اجتهد علماءه، وقدموا مجموعات من الأبحاث ألحّت ظروف العالم الإسلامى على إنتاجها وظهورها، ليتعرف المسلمون حكم الله فيما استجد من الأمور.

وتستهدف رسالة مجمع البحوث الربط الفكرى بين علماء المسلمين وروح العصر الذى يعيشون فيه. ولقد كان من أصداء المؤتمرات التى عقدت بالقاهرة لعلماء المسلمين، والتى دعا إليها مجمع البحوث الإسلامية -أن أخذت الشعوب والحكومات الإسلامية بمقرراتها التى تناولت النواحي المختلفة لحياة المسلمين فى عصرنا، فاهتدوا بها وعملوا بما جاء فيها. ومجمع البحوث الإسلامية يجمع بين أعضائه علماء من أنحاء العالم الإسلامى؛ وهؤلاء العلماء لهم مكانتهم العلمية والدينية. وقد توافرت لهم كل أسباب البحث والنشر والإعلان لأرائهم عن طريق المجمع.

ويعد مجمع البحوث الإسلامية ركيزة للفكر الأكاديمى بين علماء المسلمين، وتوحيداً لاتجاهاتهم فى رحاب العقيدة الإسلامية، حتى لا تخرج اجتهادات فردية قد تضر بروح الإسلام أو تشذ عنه. فهو (صمام الأمان) بالنسبة للفكر الإسلامى المعاصر؛ تصب فيه كل الآراء المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، وتنبع منه آراء إسلامية لا شائبة فيها، حماية للدين، وصونا لأبعاد الاجتهاد، وصيانة لسلوك المسلمين.

وقد أسهمت الدولة فى الأخذ بيد هذا المجمع ، ليكون محطاً لكل الاتجاهات الدينية الإسلامية فى كل أنحاء الدنيا؛ وتكفلت بكل ما يتطلبه المجمع لتأدية رسالته المنشودة، وتهيئة الجو العلمى لعلمائه، ليدرسوا ما شاء لهم فكرهم، وليقننوا بالشريعة الإسلامية ما تدفعهم الحاجة الملحة إليه تطبيقاً للمبدأ الخالد: الإسلام لكل زمان ومكان.

انبثق عن المجلس وفقاً للقانون لجان مكونة من أعضائه وهى:

١ - لجنة بحوث القرآن:

وقد قامت اللجنة بدراسة موضوعات تجويد القرآن، ووضع التفسير الوسيط، ووضع كتاب عن القراءات وجمع القرآن، ووضع القاموس الموسوعى للقرآن الكريم. ويتفرع عن هذه اللجنة لجنتان:

أ- اللجنة الفرعية للتفسير الوسيط:

عهد إلى هذه اللجنة بإعداد تفسير وسيط للقرآن للمثقفين غير المتخصصين؛ وتم طبع تسعة وعشرين حزباً، والباقى قيد الإعداد للطبع.

ب- اللجنة الفرعية لكتاب القراءات وجمع القرآن:

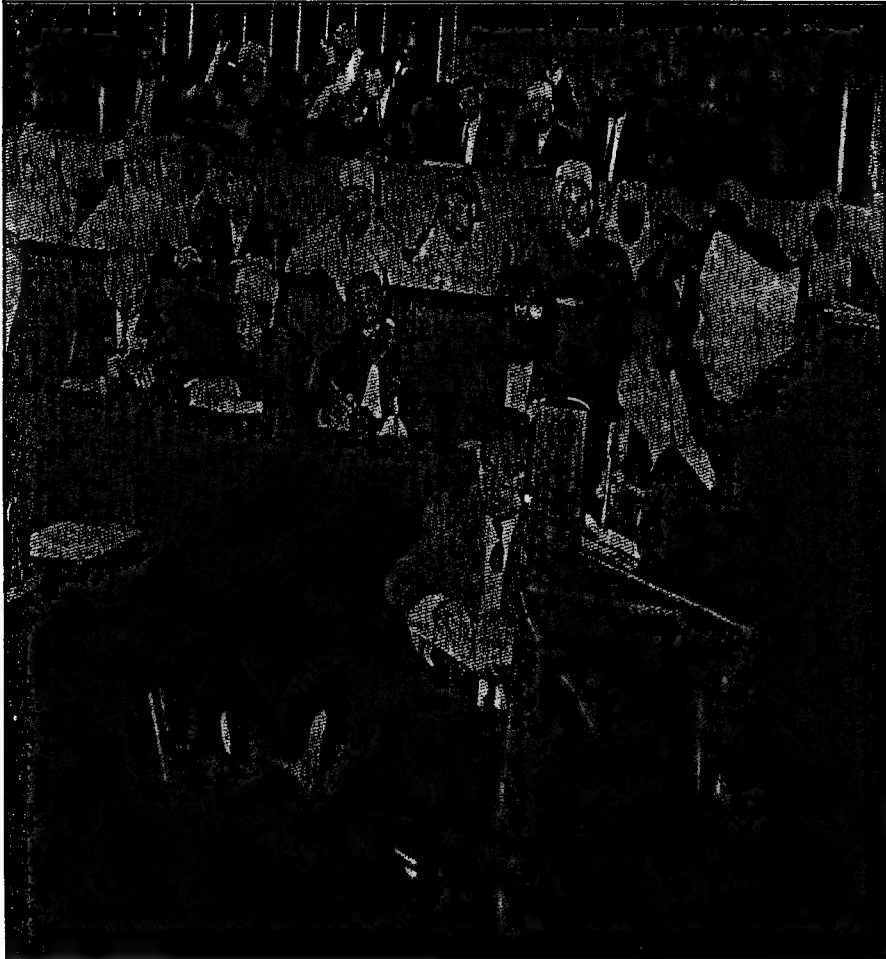
تعمل اللجنة على وضع كتاب عن القراءات وجمع القرآن. وقد انتهت من وضع مشروع للكتاب المذكور، يعرض الآن على لجنة بحوث القرآن لفحصه تمهيداً لطبعه.

٢ - لجنة بحوث السنة النبوية:

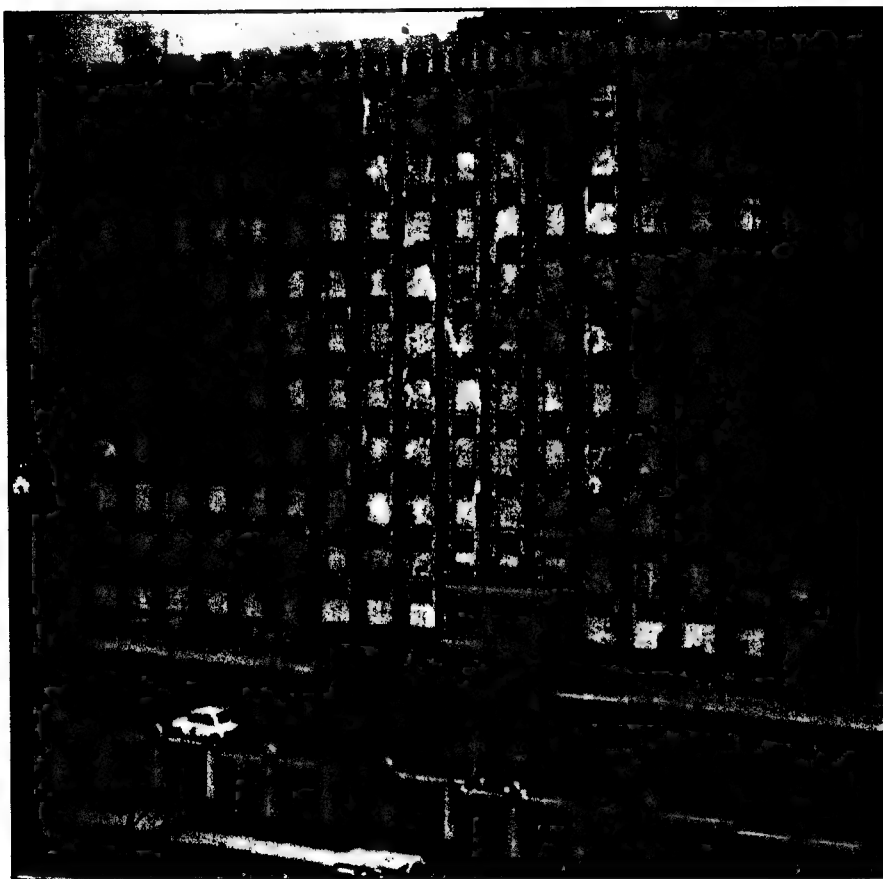
تتكون من عدد من أعضاء المجمع، وتعمل وفقاً للخطة المرحلية، وقد خططت لمشروع موسوعة مفهومة للسنة النبوية.

وهى تشرف على لجتين: إحداهما تعمل على تحقيق كتاب الجامع الكبير للإمام السيوطى وإخراجه. وقد تم طبع أكثر من ثلاثين جزءاً.

واللجنة الثانية تعمل على بحث الأحاديث التى يوهم ظاهرها غير المراد منها، وشرحها، وبيان المقصود منها.



أحد اجتماعات مجمع البحوث الإسلامية



مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر

٣- لجنة البحوث الفقهية:

تتكون من بين السادة أعضاء المجمع؛ وهى تشرف على عدة لجان فرعية، تقوم بنشاطها فى تقنين الشريعة الإسلامية:

- أ- لجنة الأحناف -وقدمت بعض الأجزاء من تقنين الشريعة الإسلامية.
- ب- لجنة المالكية -وقدمت بعض الأجزاء من تقنين الشريعة الإسلامية.
- ج- لجنة الشافعية -وقدمت بعض الأجزاء من تقنين الشريعة الإسلامية.
- د- لجنة الحنابلة -وقدمت بعض الأجزاء من تقنين الشريعة الإسلامية.

٤- لجنة العقيدة والفلسفة:

وتبحث موضوعات الوجود، ومصطلحات الصوفية، وتجديد علم الكلام.

٥- لجنة إحياء التراث الإسلامى:

وهى تشرف على إخراج كتاب شرح السنة للبغوى؛ وقدمت للطبع الجزء الأول من الكتاب، وهى بصدد إخراج الجزء الثانى منه؛ كما تعمل على تحقيق كتاب الميزان للشعرانى وإخراجه.

وتقوم اللجنة بمشروع نشر الوثائق والعهود التى تشتمل على التوجيهات الرشيدة فى مجال الحكم والحضارة الإسلامية. وقد تم حتى الآن إنجاز الجانب الأكبر من العمل المطلوب.

٦- لجنة دائرة المعارف الإسلامية:

انتهت اللجنة الفرعية من جمع الكلمات التى تتناول أسماء الأعلام والأماكن وغيرها حسب ترتيبها الأبجدي.

أمناء المجمع

وهم على التوالى:

١- الدكتور محمود حب الله.

٢- الدكتور عبد الحليم محمود.

٣- الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار .

٤- الدكتور محمد حسين الذهبي .

٥- الشيخ خلف السيد على عبد الله .

٦- الدكتور عبد الجليل عبده شلبي .

٧- الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم .

٨- الدكتور عبد الجليل شلبي^(١) .

مجلة الأزهر

رأت مشيخة الأزهر منذ أكثر من نصف قرن أنه لابد -لإنعاش رسالة الأزهر- من مجلة تصدر عنه، تحمل كلمته؛ فأصدرت قراراً بإنشاء هذه المجلة. وقد صدر العدد الأول منها في المحرم سنة ١٣٤٩هـ، يحمل اسم: «نور الإسلام» وبعد بضعة أعداد حملت المجلة اسم «مجلة الأزهر» وما زالت تحمله حتى الآن. وتعد هذه المجلة الوجه الإعلامي الوحيد الذي يصدر بانتظام ليلتقى بالمسلمين كافة في أول كل شهر عربى.

وقد تولى رئاسة تحريرها أول صدورها فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين، ثم توالى فى رئاسة تحريرها كبار الكتاب والمفكرين، أمثال: محمد فريد وجدى، ومحب الدين الخطيب، وأحمد حسن الزيات.

وعينت مشيخة الأزهر بمضمون المجلة، ورسمت أهدافها فى خطة أعلنها فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله، وملخصها:

أ- تقدم المجلة المباحث العلمية القيمة، والمباحث الأدبية الرفيعة.

ب- تنشر آداب الإسلام، وتظهر حقائقه نقية من كل لبس، وتكشف عما ألصق بالدين من بدع ومحدثات.

(١) ولد فى برج ميغزل برشيد وتعلم فى مراحل الأزهر بالإسكندرية ثم تخرج من كلية اللغة العربية وعمل مدرساً بمعهد الإسكندرية الدينى وأثناء ذلك حصل على ليسانس كلية الآداب وظل يدرس حتى حصل درجة الدكتوراه فى الأدب والنقد ثم انتقل إلى مجمع البحوث الإسلامية وظل يترقى حتى صار أميناً لمجمع لبحوث الإسلامية وتلمذت على يديه فى معهد الإسكندرية وكانت له حلقات فى الإذاعة والتليفزيون ومقالات وبحوث ومؤلفات منشورة.

ج- تعنى بسير عظماء الإسلام.

د- تدفع الشبهات التى يحوم بها مرضى القلوب على أصل من أصول الشريعة.

هـ- تنبه على ما دس فى السنة من أحاديث موضوعة.

و- لا تهاجم ديننا بالطعن، ولا تتعرض لرجال الأديان بمكروه من القول.

ز- لا تمس السياسة.

هذا هو منهج المجلة الذى قامت على أساسه، والتزمته فى مسارها. وكلما تقدم الزمن ازدادت أهميتها وفقاً لاتساع مجالات البحث والدراسة فى المجتمعات الإسلامية.

وتتناول المجلة كذلك القضايا الاجتماعية، ومشكلات المسلمين والعرب، على نحو يسهم فى رفع الروح المعنوية، وتعبئة الجهود لمواجهة أخطار الاستعمار والصهيونية. ويلحق بالمجلة قسم باللغة الإنجليزية؛ للتعريف بالإسلام والرد على الشبهات، كما يصدر مع كل عدد منها ملحق شهري، يعالج المشكلات معالجة موضوعية، وتستكتب له المجلة مشاهير العلماء والكتاب.

سلسلة البحوث الإسلامية

تمشيا مع أهداف المجمع فى نشر الثقافة الإسلامية، وتيسيرها للجميع، ومساعدة عامة المسلمين على تكوين مكتبات إسلامية بقروش زهيدة، قامت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بإصدار سلسلة شهرية، تطالع المسلمين مع هلال كل شهر بكتاب جديد، يحمل لونا من ألوان الثقافة الإسلامية.

وقد لقيت هذه السلسلة الإقبال، وألح القراء فى طلب ظهور السلسلة مرتين فى الشهر، فاستجابت «الأمانة العامة»، وأصبح كتاب السلسلة يصدر فى غرة الشهر العربى وفى منتصفه، عندما يستدعى الأمر ذلك. ويراعى أن تكون كتب هذه السلسلة ذات قيمة جوهرية فى الحياة الفكرية والاجتماعية والوطنية والإنسانية.

السكرتارية الفنية

وهى من الإدارات الرئيسية فى مجمع البحوث الإسلامية؛ وتختص بما يلى:

- تنظيم ومتابعة أعمال مجلس مجمع البحوث الإسلامية، الذى يرأسه الإمام الأكبر شيخ الأزهر، من اجتماعات، ومحاضر جلسات، وإعداد أبحاث ودراسات.

- الإشراف على تنظيم لجان وأروقة المجمع، المتمثلة في عشر لجان رئيسية، ومجموعة من الأروقة، أهمها رواق «التفسير الوسيط»، ورواق «الجامع الكبير».

- الإعداد لإخراج مطبوعات المجمع مثل:

١- التفسير الوسيط.

٢- جمع الجوامع.

٣- أبحاث المؤتمر.

٤- كتاب المؤتمر.

٥- أية مطبوعات أخرى.

ويناط بالسكرتارية الفنية كذلك:

- تنظيم أعمال المؤتمرات، والإشراف على تنفيذها.

- متابعة تنفيذ قرارات المؤتمرات واللجان وتوصياتها.

- تبادل المعلومات والأبحاث مع الهيئات العلمية المماثلة في الداخل والخارج.

إدارة البحوث الإسلامية

١- تستقبل إدارة البحوث الإسلامية الوافدين من طلائع الشباب المسلم من آسيا وأوروبا وأفريقيا وأمريكا للدراسة، وتهيئ فرص الحياة العلمية الكريمة لهم بوصفهم ضيوفاً على جمهورية مصر العربية، وسفراء لها غداً في دولهم.

٢- تتولى إيفاد أعضاء الإجازات الدراسية إلى الخارج على منح دراسية لاستكمال ثقافتهم في الدول الأجنبية.

لجنة الفتوى

يعمل في لجنة الفتوى جهاز متخصص من كبار علماء الأزهر، وتتلقى اللجنة ما يقرب من ستة آلاف استفتاء سنوياً، تنجزها تباعاً. وتستقبل اللجنة طلبات الاستفتاء أحياناً بالهاتف، وأحياناً عن طريق المقابلات الشخصية. ويسهم أعضاء اللجنة في نشاط المجمع الخاص بتقنين الشريعة الإسلامية، ويعهد إليهم أحياناً بإعداد بحوث خاصة تتعلق بالمشكلات المعاصرة، واقتراح الحلول اللازمة، الموافقة

لتعاليم الإسلام وكذلك تستقبل اللجنة السادة الراغبين في اعتناق الدين الإسلامي وتقوم بإرشادهم ومساعدتهم.

إدارة الوعظ والإرشاد

١- يمتد دور الوعظ إلى كل مكان في البلاد من أجل النهوض بالشعب وارتقائه روحياً وجسمانياً، على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع؛ وذلك عن طريق المحاضرات الدينية والثقافية والتوجيهية للرجال والسيدات، والفتية والفتيات، في المدارس والمعاهد والمساجد والجامعات والجمعيات والمؤسسات الاجتماعية المختلفة.

٢- يقوم رجال الوعظ في مناطق الوعظ المختلفة بالمصالحات؛ كما أن لهم دوراً مشهوداً في مقاومة الجريمة، والإصلاح بين الأسر المتنازعة.

٣- وللوعاظ في القوات المسلحة أثر واضح في التعبئة الروحية في الحرب والسلام.

٤- مواجهة الفكر المنحرف بالتركيز على توضيح المفهومات الإسلامية الصحيحة، وتفنيد المفهومات الخاطئة، عن طريق الندوات والرد على التساؤلات.

٥- قام كثير من رجال الوعظ بجهد مشكور في الإسهام في إنشاء المساجد والمعاهد والمدارس ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم.

٦- يتعاون الوعظ مع أئمة مساجد وزارة الأوقاف في توجيه الجماهير إلى الصالح العام، بإلقاء الدروس وخطب الجمعة وإقامة الندوات.

٧- يقوم رجال الوعظ في الاحتفالات الدينية والمناسبات الوطنية بدور بارز عن طريق الكلمة الهادفة والتوجيه السليم.

٨- وللوعاظ دور مهم في نشر الثقافة الإسلامية وتوثيق الروابط الأخوية بين أبناء الأمة الإسلامية والعربية، وتوحيد كلمتها.

وسيطل مجمع البحوث بأجهزته المختلفة منارة للعلم والدعوة إلى الله.

مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية

عقد مجمع البحوث الإسلامية منذ إنشائه تسعة مؤتمرات، آخرها المؤتمر التاسع الذي عقد تحت شعار «الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر».

وقد صدر عقب كل مؤتمر من المؤتمرات الثمانية السابقة كتاب خاص باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، يتضمن البحوث المقدمة في المؤتمر، والمناقشات التي دارت حولها. ويعد الآن الكتاب الخاص بالمؤتمر التاسع، ويضم البحوث التالية:

ما ينتظره المسلمون من الأزهر فضيلة الشيخ عطية صقر.

الأزهر والحضارة العلمية الدكتور جمال الدين الفندى.

تاريخ الأزهر وتطوره فضيلة الشيخ محمد الحسنى شحاته.

الأزهر وأثره في العالم الإسلامى الدكتور عوض الله حجازى.

الأزهر وتقنين الشريعة المستشار عبد العزيز هندى.

الأزهر فى خدمة المجتمع الإسلامى فضيلة الشيخ صالح شرف.

الأزهر والقيادة الشعبية الأستاذ على عبد العظيم.

الأزهر وعلاج المشكلات الاجتماعية فضيلة الشيخ عطية صقر.

عالمية رسالة الأزهر الدكتور الحسنى هاشم.

الأزهر ونشر رسالة الإسلام فى لبنان الأستاذ وفيق القصار.

الأزهر وتخريج الدعاة فضيلة الشيخ عبد المنصف محمود.

ابن خلدون والأزهر الدكتور على عبد الواحد وافى.

علم الاقتصاد الإسلامى فضيلة الشيخ أحمد فهمى أبو سنة.

نحو مشروع دستور إسلامى المستشار عبد الحليم الجندى.

أهل الذمة فى الفتاوى المقدسية الدكتور إسحق موسى الحسنى.

السنة ومنزلتها -الموسوعة الحديثية- قدسية القرآن فضيلة الشيخ مصطفى الطير.

التحديات أمام اللغة العربية الدكتور محمد السعدى فرهود.

الإسلام هو الحل الوحيد المفكر الفرنسى المسلم رجاء جارودى.

قرارات وتوصيات المؤتمر التاسع

وقد انتهى المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية إلى التوصيات الآتية:

١- تأييد كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية التى افتتح بها المؤتمر، واعتبارها وثيقة من وثائقه حيث جاء بها الحث على أن يأخذ الأزهر دوره فى التصدى للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى تواجه المجتمعات الحديثة، وأن يشارك مشاركة نشطة فى بحث قضية الثقافة فى مصر والمجتمع الإسلامى على امتداده وأن يعمل على تأمين الفكر الإسلامى ضد المفاهيم الدخيلة عليه، وعلى تقريب علوم الدين إلى عقول الشباب ولا سيما أولئك الذين لم تتح لهم فرصة الدراسة فى المعاهد الأزهرية، وبالتجديد فمن المفيد أن يعاد النظر فى مناهج الدروس الدينية فى شتى مراحل التعليم وأسلوب تدريسها، لتقريبها إلى عقول الناشئين وقلوبهم.

٢- يوصى المؤتمر الأمة الإسلامية -بكافة شعوبها- أن تجتمع على كلمة الحق، وأن تتواصى بالتراحم والتضامن فيما بينها، وأن ترتفع فوق عوامل الفرقة والشقاق، فذلك فريضة واجبة عليها، كما أشار إلى ذلك خطاب السيد الرئيس محمد حسنى مبارك من أنها فريضة واجبة علينا أن ندعو أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف أقطارهم ومشاربهم إلى نبذ الخلافات، وحقن الدماء والالتقاء على كلمة سواء، تتفق مع روح الإخاء الإسلامى وعمق روابط الدين والحياة لوحدة الغاية والهدف والمصير.

وفى هذا الصدد يتطلع سيادته إلى دور أكبر للأزهر فى العالم الإسلامى على امتداده لتعميق الروابط بين شعوبه، باعتبارهم أمة واحدة، وبالوسائل المناسبة، وهو ما نرجو أن يتحقق إن شاء الله.

٣- اعتبار خطاب الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف وعضو المؤتمر وثيقة من وثائقه.

٤- يناشد المؤتمر شعوب الأمة الإسلامية التضامن والاتحاد للعمل على دفع العدوان الواقع من القوى الخارجية على بلاد العرب والمسلمين في أفغانستان ولبنان صيانة لهذه الأرض، وتطهيرها لها من المعتصبيين.

وفى هذا المقام يناشد المؤتمر المجاهدين في أفغانستان ولبنان أن يوحدوا كلمتهم، وأن يرتفعوا فوق الخلافات الشخصية والمذهبية، وأن يجمعوا أمرهم على إجلاء عدوهم عن أرضهم؛ ولن يتم ذلك إلا بوحدتهم واجتماع كلمتهم.

٥- يناشد المؤتمر شعوب الأمة العربية والإسلامية خاصة، وشعوب العالم والمنظمات الدولية عامة، مساندة حق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه وإقامة دولته على أرضه؛ كما يناشد الزعماء الفلسطينيين أن يجمعوا أمرهم على استرداد الحق المغتصب بكافة الوسائل المشروعة.

٦- يوصى المؤتمر شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها بالعمل بكافة الطرق على استعادة القدس موحدة كما كانت إلى السيادة العربية الإسلامية.

٧- يدعو المؤتمر حكومتى إيران والعراق إلى النزول على حكم الله الذى حرم قتال المسلمين فيما بينهم وعليهم وقف هذا القتال، حقنا لدماء المسلمين وحفظا لأرواحهم وأموالهم، إذ لا يستفيد من إرهابها وتبديدها سوى أعداء الأمة الإسلامية.

وعلى حكومات الدول الإسلامية التدخل لإنهاء هذه الحرب بالطرق المناسبة، وقد عهد المؤتمر إلى شيخ الأزهر إبلاغ ذلك إلى كافة الحكومات.

٨- يوصى المؤتمر حكومات الأمة الإسلامية وشعوبها بالعناية بشئون الأقليات الإسلامية في أوطانها ومساندتها في الحفاظ على دينها وحقوقها.

٩- يوصى المؤتمر جميع شعوب الأمة الإسلامية وقادتها بالعمل على وقاية المجتمع الإسلامى من الغزو الفكرى والثقافى الذى يستهدف بث الفرقة بين المسلمين والتشكيك فى عقيدتهم وشريعتهم، ويدعوهم إلى الاعتصام بحبل الله جميعاً فى مواجهة التحديات الفكرية والثقافية المناهضة للإسلام.

١٠- يؤكد المؤتمر على ضرورة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ويدعو حكومات البلاد الإسلامية وشعوبها إلى استمداد قوانينها من الشريعة الإسلامية.

١١- يوصى المؤتمر الجهات المعنية بالتعليم في الأقطار العربية والإسلامية بالعناية بتحفيظ القرآن الكريم، وبالعناية بدروس الدين الإسلامي، عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً في مختلف مراحل التعليم، لتنشأ أجيال المسلمين على خلق القرآن ووصايا الإسلام مع مزيد من العناية بإعداد المعلمين الذين يقومون بهذه الواجبات.

١٢- يطالب المؤتمر حكومات البلاد الإسلامية والهيئات القائمة على وسائل الإعلام فيها بضرورة العناية بما يقدم من مواد ومصنفات فنية، بحيث تكون ملتزمة بالقيم الإسلامية والأخلاقية، وتحث على الفضائل وتحمي النشء من الانحراف.

١٣- يوصى المؤتمر حكومات الدول الإسلامية وهيئاتها بضرورة العناية باللغة العربية في مناهج التعليم في مراحلها المختلفة، وفي جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية باعتبارها لغة القرآن.

١٤- أناب المؤتمر شيخ الأزهر في إبلاغ هذه التوصيات إلى كافة حكومات الدول الإسلامية والجهات المعنية.

١٥- يوصى المؤتمر مشيخة الأزهر بالنظر فيما تناولته المناقشات في شأن ما يجب أن يكون عليه الأزهر وهيئاته تمكيناً له من الاضطلاع بالمسؤوليات الملقاة عليه في النواحي العلمية والتعليمية وشئون الدعوة، وبإحالة بحوث المؤتمر، والمؤتمرات السابقة، وتوصياتها، ومحاضر جلساتها إلى مجلس مجمع البحوث الإسلامية لمدارستها، وإعداد تقرير في شأنها، يعرض على المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية.

وفي الختام -وقد لمس المؤتمر الجهد المبذول المشرف لإعداده وتنظيمه- يوجه المؤتمر موفور الشكر وعظيم التقدير إلى اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر، وإلى أمانتها، وسائر معاونيها في هيئات الأزهر وخارجها، وإلى كافة المشاركين بجهودهم في هذه المناسبة التاريخية العظيمة.

والله الموفق والمستعان والهادي إلى سواء السبيل.

٩ من جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ ٢٤ من مارس ١٩٨٣م^(١)

(١) الدكتور الحسيني هاشم: الأزهر الشريف في عيده الألفى الهيئة العامة للكتاب ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

الأزهر والدعوة الإسلامية

انفرد الأزهر بالزعامة العلمية، وأصبح مركز الإشعاع للدعوة الإسلامية. وقد صار المسلمون ينظرون إليه نظرة إكبار وإجلال، ويعدونه كعبتهم التي استأثرت بشرف المحافظة على التراث الإسلامى المجيد، والمشعل الذى يضئ ولا يخبو، والملاذ الذى تهوى إليه أفئدة المسلمين من كل مكان.

من أجل ذلك كله قصده طلاب العلوم العربية والثقافات الإسلامية من شتى أنحاء العالم، الراغبون فى الدراسة وطلب العلم.

وذاع صيت الأزهر، وأمه الطلاب من كل صوب وحذب، وجد الأزهر وعلماءه فى إحياء الثقافة الإسلامية؛ فكان للأزهر جهوده التى وطدت مكانته، ودعمت من كيانه، وسمت بمنزلته العلمية وشخصيته الجامعية. ومن ثم أقيمت مقاليد الثقافة الإسلامية والعربية فى يد الأزهر، فحمل الأمانة، وبذل فى سبيل أداء رسالته كل ما يستطيع من جهد وقوة، على نحو جعل القصد إلى الدراسة فيه غاية، وتلقى العلم فى رحابه شرفاً.

كل هذا والمصريون يكرمون وفادة من يقدم عليهم، عوناً له على مهمته، وإسهاماً فى نشر دين الله على أيدي أناس هوت قلوبهم إلى الأزهر فنفروا إليه من بلادهم، يبذلون فى ذلك كل مرتخصٍ وغال، مستعذبين الصعاب، ليتفقهوا فى الدين، وليرشدوا قومهم إذا رجعوا إليهم. وأهل مصر -مع ذلك- لم يروا لأنفسهم فضلاً فيما يفعلون، بل كانوا يسارعون إلى البذل والعطاء، طيبة به نفوسهم، مغتبطة به قلوبهم؛ يرونه ديناً فى أعناقهم للإسلام الذى من الله به عليهم، فتنافسوا فى أدائه لأناس ربط الله بينهم بحبله المتين، ونوره المبين.

وكانت أبواب الدراسة مفتوحة أمام كل طالب للعلم، يلتحق بها بلا قيد أو شرط، وله الحرية الكاملة فى أن يختار من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه، لا فرق فى ذلك بين مصرى أو وافد، ولا بين طالب أبيض أو أسود؛ ففى رحاب الأزهر الشريف عرفت المساواة وتحققت، وانعدمت الامتيازات بين الطلاب مهما

اختلفت لغاتهم وجنسياتهم وألوانهم؛ فكان الأزهر هو التطبيق العملى لمبادئ الإسلام الرشيدة (كلكم لأدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

وكان الطالب عندما يفد إلى الأزهر ينضم إلى طلاب بلده الذين يدرسون فى الأزهر، ويقيم معهم فى مكان بالجامع أعد لهم للسكنى والإقامة والمعيشة، أطلق عليه اسم «رواق».

ولقد تعددت الأروقة وكثرت فى داخل الجامع الأزهر وخارجه، تلاصقه أو تواجهه؛ تعددت وكثرت بتعدد الطلاب الوافدين من البلاد الإسلامية المختلفة للالتحاق بالدراسة فيه.

وكفل الأزهر الشريف للطلاب الوافدين -بجانب الاستقرار السكنى- الأمن المعيشى عن طريق الوقفيات التى حبسها حكام مصر والموسرون من أهل الخير على طلبة الأروقة وعلى علماء الأزهر، بالإضافة إلى أن الأثرياء وأصحاب الأموال كانوا يقصدون الجامع الأزهر ويقدمون لطلابه صنوف البر المختلفة من الذهب والفضة والنقود والوان الطعام؛ وذلك إعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وتلقى العلم.

وبذلك انصرف الطلاب إلى تلقى العلم، وتفرغوا لتحصيله. وكان الطالب يقيم فى الأزهر ما شاء الله له أن يقيم، يتلقى العلم ويحصله، حتى إذا أنس من نفسه علمًا كافيًا، وملكة يتمكن بها من إفادة غيره، ووجد لديه قدرة على التصدر للعلم، أذاع ذلك بين زملائه وشيوخه، فتعقد له فى ديوان الأزهر حلقة من العلماء النابهين، يجلس الطالب أمامهم ويناقشونه نقاشًا جادًا، ويختبرونه ويمتحنونه امتحانًا دقيقًا فيما يتصدى لتدريسه من مواد؛ فإذا أثبت الطالب كفاية وامتيازًا، ووثقوا فى علمه وخلقه، أجازوه وأجازوه شيخ الأزهر، ومنحه حق التدريس.

بعد حصول الطالب الوافد على الإجازة من شيخ الأزهر، التى تمنحه حق التدريس، كما تمنحه لقب الشيخ أو العالم، يعود إلى بلده مرفوع الرأس، على

الهامة، يستقبله أهله وبلده استقبالا يليق بعالم تخرج في الأزهر الشريف، وينظر إليه الناس جميعاً نظرة الإكبار والإجلال، ويتصدر حلقات العلم، ويعتلى المنابر؛ كلمته مسموعة، ورأيه مطاع، وقوله فصل.

ولهذا كان تأثير خريجي الأزهر الشريف في مجتمعاتهم كبيراً؛ وكان لهم وزنهم العلمي والثقافي في بلادهم؛ وكثير منهم اعتلى أرقى المناصب، وتولى قيادة الحكم والتوجيه، وصار منهم الحكام والوزراء، ووصل بعضهم إلى منصب الرياسة في دولته.

وأهم دور للأزهر الشريف هو في نشر أشعة العلم والعرفان في أقطار العالم، وتتجلى قيادته الروحية الخالدة في مقاومته لتيارات الإلحاد والانحراف والمذاهب الهدامة، فضلاً عن إسهام رجاله في الحروب ضد الغزو الأجنبي بأنفسهم وأموالهم وكلمتهم المسموعة.

والأزهر الشريف لم يقصر فتح أبوابه على استقبال الطلبة الوافدين للدراسة فحسب، بل فتح أبوابه لاستقبال العلماء من شتى الأقطار والأصقاع للتعليم، وتصدر حلقات الدرس، لا فرق في ذلك بين عالم مصرى وعالم وافد؛ فكلهم في رحاب الأزهر سواء، وفي صحنه وجناته أئمة يدعون إلى الهدى.

ولقد وصل بعض هؤلاء العلماء إلى المناصب العليا في الأزهر الشريف، مثل الشيخ محمد الخضر حسين التونسي، شيخ الأزهر، ومثل الشيخ محمد نور الحسن السوداني، وكيل الأزهر،

والأزهر بهذا وذاك يوطد الأخوة الإسلامية، ويحكم الوشائج بين أبناء الأمة الإسلامية، ويحقق مبدأ تسعى المحافل الدولية للاقتراب منه.

ظل التحاق الطلبة الوافدين بالأزهر يسير على النحو الذي أوضحناه عدة قرون، إلى أن استجدت أمور -وتلك سنة التطور- اقتضت وضع قواعد تنظم طريقة الالتحاق والدراسة في معاهده وكليات جامعته.

لقد ظل باب التعليم في الأزهر مفتوحاً لأبناء المسلمين في كل مكان في العالم، تتولاه الدولة في مصر بالرعاية والإنفاق عليه، بتقديم المنح الدراسية لأبناء

المسلمين للدراسة فيه. وتتفاوت القيمة المادية للمنحة تبعاً لمرحلة التعليم التي يلحق بها الطالب الوافد (مرحلة المعاهد الإعدادية والثانوية، ومرحلة الجامعة، ومرحلة الدراسات العليا).

ويضاف إلى هؤلاء أعداد كبيرة من الطلاب يأتون على نفقة حكوماتهم، أو يفدون على نفقة هيئات إسلامية، أو يدرسون وقيّمون على نفقتهم الخاصة. وهؤلاء جميعاً يرحب بهم الأزهري، ويقدم إليهم الرعاية الكاملة، التي تعينهم على تحقيق رسالتهم.

وتيسيراً على كثير من الطلاب الوافدين إلى الأزهري، أعدت لهم دراسات خاصة في اللغة العربية، يفيد منها طلاب البلاد الناطقة بغير اللغة العربية، تمهيداً لإلحاقهم بعد ذلك بالفرق الدراسية التي تناسبهم. وتعميماً للفائدة من هذه الدراسات الخاصة، تم تعديلها بحيث تشمل -إلى جانب دراسة اللغة العربية- دراسة العلوم الإسلامية لمن يريد من هؤلاء الوافدين التزود بالثقافة الإسلامية والعربية، دون الانتساب إلى الدراسة النظامية في معاهد الأزهري وكليات جامعته.

وحرصاً من مصر على استمرار توفير الاستقرار السكني والأمن المعيشي لهؤلاء الطلبة الوافدين، ولا سيما بعد أن تضاعفت أعدادهم، وضافت الأروقة بهم، وامتد إليها عوادي الأيام فأصبحت صلاحيتها لسكنائهم وإقامتهم محدودة، أنشأت حكومة مصر -وهي الحريصة على راحة الوافدين إلى الأزهري طلباً للعلم- مدينة للبعوث الإسلامية، تجمع شملهم، وترعى شؤونهم، وتوفر لهم أسباب الحياة الكريمة، والرعاية الشاملة، صحياً وغذائياً وإسكاناً، إلى جانب الرعاية العلمية والاجتماعية.

وتقع هذه المدينة بالعباسية القبلية على امتداد الطريق الموصل من الأزهري إلى الدراسة، على أرض مساحتها حوالي ثلاثين فدانا، أقيمت المباني على عشرين منها، وترك الباقي حدائق ومتنزهات وشوارع داخلية. وتشتمل المدينة على ٤١ مبنى سكنياً، يتكون كل مبنى منها من ثلاثة طوابق سكنية، وكل طابق يتكون من جناحين، يتسع كل جناح منهما لإقامة عشرين طالباً. ولكل جناح مرافقة العامة،

وحماماته، وغرفه المخصصة للخدمة. ويفصل بين كل جناحين حجرة كبيرة، أعدت للاستذكار، بها مكتبة صغيرة للاطلاع. ويشتمل الطابق الأرضي في كل مبنى على ناد يختلف إليه الطلاب في أوقات فراغهم.

وقد أقيم بالمدينة مسجد كبير بنى على الطراز الإسلامی، كما أقيمت بها مرافق أخرى لخدمة الطلاب، مثل: المكتبة العامة، والمطابخ، وقاعات الطعام، والمغسل، والمستشفى العلاجي، والمحال العامة، ومجموعة من الملاعب لمزاولة النشاط الرياضي.

ويتمتع الطالب الوافد المقيم في هذه المدينة بهذه الخدمات، إلى جانب التغذية الكاملة، نظير مبلغ خمسة جنيهات مصرية، تستقطع من المنحة التي يحصل عليها شهرياً.

والإحصاءان التاليان يوضحان عدد الطلاب والطالبات الوافدين المقيدين بالدراسة في الأزهر الشريف في العام الدراسي ٨٢-١٩٨٣م^(١).



(١) الأستاذ عبد المهيمن الفقى والأستاذ فوزى الزفزاف الهيئة العامة للكتاب ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م. أنظر هناك.

كتب صدرت عن الأزهر الشريف

الأزهر:

تأليف عبد الحميد يونس وعثمان توفيق - دار الفكر العربي - ١٩٤٦م.
نشأة الأزهر، وعمارته، وتقاليده، ونهضته بدءاً من عهد الإمام محمد عبده،
والمكتبة الأزهرية.

الأزهر بين الخليفة المعز والرئيس جمال عبد الناصر:

تأليف أحمد حسن الباقوري - جامعة الأزهر - ١٩٦٤م.
تاريخ الأزهر منذ تأسيس القاهرة، وعقيدة التوحيد، ومكانة مصر والأزهر،
دور الرئيس جمال عبد الناصر في تطوير الأزهر، تذكرة الأجيال بالأمجاد العلمية
للعرب والمسلمين.

الأزهر بين القديم والحديث:

صدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ملحقاً بمجلة منبر الإسلام - العدد
الثامن من السنة الثالثة والعشرين. كتب فيه مجموعة من أعيان الكتّاب، مع
تحقيقات عن الجامع، وصلة حاضرة بماضيه، ونظام الحلقات العلمية.

الأزهر بين السياسة وحرية الفكر:

تأليف محمد رجب البيومي: عدد كتاب الهلال - مارس ١٩٨٣م.
يتناول دور الأزهر في الكفاح الوطني ومقاومة الاستعمار في كل بلاد الإسلام،
كما يتناول دفاع الأزهر عن حرية الفكر في ضوء تعاليم الإسلام، مع مقاومة
الذين يلبسون الحق بالباطل.

الأزهر بين الماضي والحاضر:

تأليف منصور على رجب - مطبعة المقتطف والمقطم - ١٩٤٦م.
الحركة العلمية بمصر قبل الأزهر، وفي وجود الأزهر، نظام التعليم، الكتب

الدراسية، خطوات الإصلاح فى عهد جمال الدين الأفغانى، الشهادات الأزهرية، ميزانية التعليم، المكتبة، الاتجاه الحديث للأزهر.

الأزهر: تاريخه وتطوره:

صدر عن وزارة الأوقاف وشئون الأزهر، سنة ١٣٨٣هـ، (١٩٦٤م) - دار مطابع الشعب بالقاهرة.

الأطوار التاريخية منذ إنشاء الأزهر فى الدولة الفاطمية، دعوة الفاطميين وأصدائها فى الشعب المصرى، العهود التالية حتى العصر الحديث ودور الأزهر فى الحركة الوطنية، عمارة الأزهر، مميزات العمارة الفاطمية، المسجد وتصميماته وإصلاحاته وأوقافه، المدارس الملحقه به، مؤسسات الأزهر الثقافية، المكتبة، الأروقة ومكتباتها، مجلة الأزهر، إدارة الوعظ، الأزهر فى عهد ثورة ١٩٥٢م، موازنة بين قانون الأزهر لسنة ١٩٣٦م وقانون الأزهر لسنة ١٩٦١م، هيئات الأزهر واختصاصاتها وأنشطتها، الحركة العلمية بالعالم الإسلامى قبل الأزهر، الحركة العلمية بمصر قبل الأزهر، الأزهر جامعة منذ أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٦٥هـ، حلقات التدريس، استقطاب الأزهر للأعلام الفكر الإسلامى، دروس الفلسفة والآداب والرياضة والفلك والطب والموسيقى بالأزهر، العهد العثمانى عهد اضمحلال، القوانين الإصلاحية، مراحل الإصلاح من الحلقة إلى المدرج، الكتب الدراسية، الامتحانات والإجازات، البعث إلى الأزهر، البعث إلى الخارج، شيوخ الأزهر، كبار العلماء وهيئتهم، نماذج من نابهي الأزهر فى مختلف العهود، إشعاعات الدعوة الإسلامية.

الأزهر جامعاً وجامعة:

تأليف عبد العزيز محمد الشناوى - الأنجلو المصرية - ١٩٨٣م.

يضم الجزء الأول ١٤ فصلاً عن: المساجد الجامعة حتى بناء الأزهر، الأزهر فى العصر الفاطمى جامعاً وجامعة، الموارد المالية للأزهر فى العصر الفاطمى، الأزهر فى العصر الأيوبي جامعاً وجامعة، وفى عصر دولتى المماليك البحرية والشراسكة جامعاً وجامعة، وإبان الحكم العثمانى، منصب شيخ الجامع الأزهر فى العصر

العثمانى، الأزهر جامعا وجامعة فى العصر العثمانى، أروقة الأزهر قطعة من تاريخ الأزهر ومظهر لانفتاحه على العالم الإسلامى عبر تاريخه الحافل، الانتفاضات الشعبية التى تزعمها الأزهر فى أواخر الحكم العثمانى، تقويم دور الأزهر إبان الحكم العثمانى.

الأزهر على مسرح السياسة المصرية:

تأليف سعيد إسماعيل على - دار الثقافة للطباعة والنشر - ١٩٧٤م.

دراسة فى تطور العلاقة بين التربية الإسلامية والسياسة.

الأزهر فى اثنى عشر عامًا (١٩٥٢-١٩٦٤م):

صدر عن إدارة الأزهر - نشر الدار القومية للطباعة والنشر.

كلمة تمهيدية عن الأزهر ونشأته ومكانته ودوره فى الكفاح الوطنى وشيوخه، الأزهر قبل ثورة ١٩٥٢، تطور الدراسة فى المعاهد والكليات والبعوث، الأزهر فى ظل قانون التطوير، التعريف بهيئات الأزهر، نشاطات المعاهد الأزهرية والمجلس الأعلى للأزهر ومجمع البحوث الإسلامية وجامعة الأزهر، أثر التطوير على تمكين الأزهر من تحقيق رسالته.

الأزهر فى ألف عام:

تأليف أحمد محمد عوف - من سلسلة البحوث الإسلامية، التى تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

عصر بناء الأزهر، الشعائر الدينية بالجامع، شئون الطلاب والدراسة، نظام الحلقات الدراسية، الأزهر فى عصور المماليك والعثمانيين، قوانين الإصلاح فى القرنين التاسع عشر والعشرين، قيادة علماء الأزهر للشعب، مشايخ الأزهر حتى الشيخ محمد محمد الفحام، هيئات الأزهر، التطوير وما بعده. ملحق بمشايخ الأزهر.

الأزهر فى ألف عام:

تأليف محمد عبد المنعم خفاجى - ١٩٧٤م.

الأزهر خلال عصور التاريخ، مشاركة الأزهر في الحياة العقلية والحركة العلمية والنضال الوطني، القوة الشعبية في الأزهر من خلال حركة الجهاد الوطني بمصر، قوانين الأزهر والحركات الإصلاحية، نوابغ من الأزهر، شيوخ الأزهر، أعلام من الأزهر سجل التاريخ مواقفهم، أوقاف الأزهر القديمة، الإجازات العلمية، المكفوفون في الأزهر، لجنة الفتوى، مجلس الأزهر الأعلى، الأزهر والحركات الفكرية، البعث، مناهج الدراسة، جماعة كبار العلماء، الدراسات العليا في الأزهر الجامعي. الصلات العلمية للأزهر بالجامعات، مكتبة الأزهر، كلية اللغة العربية والصحافة في ثلاثة أجزاء دار بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

الأزهر ماضيه وحاضره:

تأليف محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ١٣٤٥هـ.

يتناول ماضى الأزهر وحاضره والحاجة إلى إصلاحه وذكر مشايخه في الآونة الأخيرة بدءاً من القرن الحادى عشر الهجرى.

الأزهر والإسلام:

صدر عن وزارة الأوقاف بمصر سنة ١٩٨٣م.

عرض تلخيصى للأزهر جامعا وجامعة، ومشاركات الأزهر في حفظ اللغة العربية، ومقاومة الاحتلال، ونصرة المجتمع، والنهضة الأدبية، مع نماذج من إسهامات العلماء الأزهريين.

الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة:

تأليف محمد كامل الفقى - الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م) - مكتبة نهضة مصر بالفجالة. الأزهر والثقافة، اعتماد النهضة الحديثة على الأزهر والأزهريين، دار العلوم كفرع من دوحة الأزهر، مدرسة القضاء الشرعى، الأزهر والبعوث، الترجمة والتأليف والتحرير والتصحيح والصحافة وكيف نهض بها الأزهر، رفاعة الطهطاوى وتلامذته من الأزهريين، الأزهر والخطابة، وطنية الأزهريين أيام الغزو الفرنسى والثورة العرابية وثورة ١٩١٩م، أشهر الخطباء والكتاب والشعراء مع تراجم لهم وشرح لدور كل منهم فى النهضة الأدبية.

الأزهر والفكر المعاصر:

تأليف د. محمد البهى - مطبعة مخيمر - ١٩٥٥ م. عرض لوجهة نظر المؤلف فى علاقة الأزهر بالفكر فى العالم المعاصر، وفيما يجب أن يأخذ به الأزهر نفسه أمام التيارات الوافدة.

أزهريات:

تأليف محمد على غريب - من سلسلة كتب قومية - العدد ١٦١ .
مجموعة ذكريات من خلال نشأة المؤلف وأفراد أسرته فى محيط التعليم الأزهري، ومن صادفهم من مشايخ الأزهر فى صعيد مصر والقاهرة.
أعمال مجلس إدارة الأزهر:

صدر عن مشيخة الأزهر سنة ١٣٢٣ هـ.

عرض لأعمال مجلس إدارة الأزهر من ابتداء إنشائه فى سنة ١٣١٢ هـ إلى سنة ١٣٢٢ هـ. يتناول تشكيل المجلس، قانون المرتبات، إلحاق التعليم بالجامع الأحمدي ومسجد الدسوقي ودمياط بالأزهر، كساوى التشریف، العطلة الدراسية، مكافآت الامتحان، مشايخ الأروقة والحارات والملاحظين، دار الكتب بالأزهر، إصلاح التعليم، نظام الجراية، نظام التدريس، زاوية العميان، مواد التعليم، إلحاق الإسكندرية فى التعليم والنظام بالأزهر، مرتبات أولاد العلماء، الحالة الصحية للطلاب.

البعثة الأزهريّة إلى الهند:

تقرير صدر عن الأزهر - مطبعة حجازى ١٩٣٧ م.
يتناول دراسة الأحوال والطوائف والهيئات الإسلامية بالقارة الهندية لدى زيارة بعثة الأزهر إلى الهند.

تاريخ الأزهر فى ألف عام:

تأليف سنّية قراعة - مكتب الصحافة الدولي .

القاهرة والإمام الفاطمي، الأزهر مسجد ودولة، رسالة الأزهر الخطيرة، الأزهر والرأى العام، عمر مكرم زعيم أزهري للشعب، الأزهر وتنصيب محمد على الكبير واليًا لمصر، الإصلاحات، مكانة العلماء، التطوير الأخير، شيوخ الأزهر، المستقبل للأزهر.

تاريخ الإصلاح في الأزهر وصفحات من الجهاد:

تأليف عبد المتعال الصعيدي -جزءان في مجلد واحد- مطبعة الاعتماد- ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م). نهوض مصر بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ، الأزهر في عهد الدولة العثمانية التركية، وأيام الحملة الفرنسية، وفي عهد محمد على باشا، إصلاحات إسماعيل، خلاف توفيق وتلامذة الأفغانى، التدرج فى الإصلاح على رأى الشيخ محمد عبده، قوانين الأزهر من ١٢٨٨هـ إلى ١٣١٤هـ، الثورة على نظام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، شيوخ الأزهر من عهد الشيخ حسونة النواوى إلى عهد الشيخ عبد الرحمن تاج.

تاريخ الجامع الأزهر:

تأليف محمد عبد الله عنان -الطبعة الثانية ١٩٥٨م.

القاهرة والجامع، الأزهر ودار الحكمة، المناسبات الدينية فى العصر الفاطمى، الحلقات الدراسية، العصر الذهبى للأزهر فى عهد السلاطين، إدارة الجامع ومشخته، الجامع والحياة العامة، سنوات التطور والإصلاح. مع وثيقة بوقفية الحاكم بأمر الله على الجامع ودار الحكمة، ووثيقة أخرى بالإجازات العلمية، ومع إحصاءات وملاحق عن شيوخ الأزهر والمكتبة والأروقة والحارات ومدينة البعوث الإسلامية.

تقويم جامعة الأزهر فى أربع سنوات ١٣٨٨-١٣٩٢هـ (١٩٦٨-١٩٧٢م):

صدر عن جامعة الأزهر، ونشرته دار المعارف بمصر.

تنظيم جامعة الأزهر، رسالتها، إداراتها، مجلس الجامعة، رئيس الجامعة، نوابه، الأمين العام، إدارة الكليات، نظم الدراسة، فرع الجامعة بأسسوط، هيئة التدريس، أسماؤهم، مؤهلاتهم، أنشطتهم العلمية، شئون الطلاب، السياسة

التعليمية، الطلاب الوافدون، الخريجون، الدراسات العليا، البعثات التعليمية، رسائل العالمية (الدكتوراه) والتخصص (الماجستير)، النشاط الثقافي، العلاقات الثقافية، رعاية الطلاب، المكتبات، المنشآت، المدن الطلابية.

الجامع الأزهر - نبذة في تاريخه:

تأليف محمود أبو العيون - مطبعة الأزهر ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م).

الهدف من إنشاء الأزهر، مواد الدراسة قديماً وحديثاً، شيوخ الأزهر، قانون ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وقانون ٢١ لسنة ١٩٣٦. المعاهد الدينية التابعة للأزهر، الشهادات، إدارة الأزهر، مجلس الأزهر الأعلى، جنسيات الطلاب، علماء الأزهر، البعث، العناية بالمكفوفين، دور الكتب الأزهرية، الوعظ، مجلة الأزهر، لجنة الفتوى، النشاط الرياضي، مكتب البحوث والثقافة، وقفية الحاكم بأمر الله، ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية، تطلعات الأزهريين للمستقبل.

الدراسات العليا في عشر سنوات:

صدر عن جامعة الأزهر - إدارة البحوث العلمية.

مصنف إحصائي لعشر سنوات من سنة ١٩٦١ إلى سنة ١٩٧١ م عن الحاصلين على درجة العالمية (الدكتوراه) والتخصص (الماجستير) والشهادة العليا (الدبلوم) في كليات أصول الدين، والشريعة والقانون، واللغة العربية، والطب، والهندسة، والزراعة، والعلوم. مع بيان موضوعات رسائلهم والمشرفين عليها والتقديرات الممنوحة لهم، ومذيلة بعدة فهرس هجائية.

دور الأزهر في الحفاظ على الطابع العربي لمصر إبان الحكم العثماني:

تأليف عبد العزيز محمد الشناوى - من بحوث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة - مارس وأبريل ١٩٦٩ م - مطبعة دار الكتب ١٩٧٢ م.

عرض ملخص للعوامل التي أسهمت في نجاح الأزهر في الحفاظ على الطابع العربي لمصر إبان الحكم العثماني، وعلى رأسها: موقف العثمانيين من عدم التدخل في شئون الأزهر، واستقلال الأزهر مالياً، والتحامه بالجماهير وقيام

الزعامة الشعبية في علمائه، ودور الأزهر في دعم الترابط العربي، واستقلال الأزهر بإدارة أوقافه دون تدخل من جانب الحاكم.

رواق الشوام بالأزهر إبان العصر العثماني:

تأليف مصطفى محمد رمضان -مقدم إلى المؤتمر الدولي الثامن لتاريخ بلاد الشام -جامعة دمشق- نوفمبر وديسمبر ١٩٧٨م.

دراسة وثيقة للإجازات والوقفات والتنظيمات الخاصة برواق الشوام في العصر العثماني، مع إحصاءات عن أعداد الطلاب ومشيخة الرواق، ومكتبته، وشهرته في تخريج علماء الأحناف.

شيخ الإسلام عبد الحليم محمود -سيرته وأعماله:

تأليف رؤوف شلبي -دار القلم بالكويت.

ترجمة شاملة للشيخ وأعماله وأستاذه وجهاده للنهوض بالأزهر، مدة توليه المشيخة، وآثارها الحاضرة.

على طريق الأزهر في ألف عام:

تأليف إبراهيم عوضين -مطبعة السعادة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

ترجمات لمجموعة من الأزهريين من أعلام القرنين التاسع عشر والعشرين: الشيخ عبد الرحمن الجبرتي -الشيخ حسن العطار- الشيخ حسين المرصفي -عبد الله باشا فكرى- الشيخ محمد عبده- سعد زغلول باشا.

القاهرة القديمة وأحيائها:

تأليف سعاد ماهر -المكتبة الثقافية- العدد رقم ٧٠ -أكتوبر ١٩٦٢م.

جولة سريعة في أحياء القاهرة وضواحيها، خاصة القاهرة المعز منها الصفحات من ٢٠-٣٣، وفيما تناولته «الأزهر».

مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن:

تأليف على عبد العظيم.

تراجم لمشايع الأزهر منذ إنشاء منصب المشيخة فى القرن الحادى عشر الهجرى. يضم الجزء الأول ترجمات لسبعة وعشرين شيخاً من الإمام الشيخ محمد عبد الله الخراشى حتى الإمام الشيخ عبد الرحمن محمد الشريينى. ويضم الجزء الثانى ترجمات لأربعة عشر شيخاً من الإمام الثامن والعشرين الشيخ أبو الفضل الجيزاوى حتى الإمام الحادى والأربعين الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار.

وفى بداية الكتاب مقدمة عن تاريخ الأزهر ومنصب المشيخة. ومن رأى المؤلف أن المنصب كان معروفاً قبل الشيخ الخراشى، ولكن ليس بأيدينا دليل مادى عليه.

وثائق الأزهر:

مصطفى محمد رمضان - بحث مقدم إلى ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث بحلقة الدراسات العليا للتاريخ الحديث - كلية الآداب بجامعة عين شمس - مايو ١٩٧٧م.

دليل لمجموعة من الوثائق «الأرشفية وغير الأرشفية» عن نظام الدراسة بالأزهر، والأروقة، والوقفات، والامتحانات والإجازات، والقرعة العسكرية، والأحكام التأديبية، والمنشورات مع نماذج من بعضها.

ودخلت الخيل الأزهر:

تأليف محمد جلال كشك - الدار العلمية - بيروت.

عرض لعلاقة مصر بتركيا، ونظرة على المجتمع المصرى، ودور أصحاب العمام فى المجتمع، ونابليون فى مصر، وحركة المقاومة، والثورة، والتفكير الاستعمارى لتمزيق الوحدة الوطنية، ويوميات الجبرتى، وانتهاء عهد الفرنسيين.

أدباء الأزهر:

مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد الثالث ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) عدد خاص بمناسبة العيد الألفى.

بحوث وتراجم عن الشيخ مصطفى عبد الرازق، مصطفى لطفى المنفلوطى - محمد الأسمر - الشيخ عبد العزيز البشرى، الشيخ محمد متولى الشعراوى،

الشيخ حسين المرصفي، صالح على الشرنوبى، أحمد الزين، عبد الحكيم مصطفى.

الجبرتي وكفاح الشعب:

كتاب الهلال، عدد ربيع الأول ١٣٨٦هـ (يوليو ١٩٦٦م).

بقلم عبد الرحمن الشرقاوى، وفيه حديث عن مشاركات الأزهر والأزهريين للشعب المصرى فى كفاحه الوطنى أيام الحملة الفرنسية وبعدها.

قصة الأزهر:

كتاب الهلال، عدد يناير ١٩٧٣م - ذى القعدة ١٣٩٢هـ.

مجموعة مقالات بأقلام كبار الكاتبين المعاصرين عن الأزهر وعمارته ورسالته ودوره فى الفكر وشيوخه ومؤلفاتهم وإسهام الأزهريين فى الأدب والفن والقيادة الوطنية.

منبر الإسلام:

مجلة تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - عدد مارس ١٩٨٣م.

عدد تاريخى صدر فى مناسبة العيد الألفى للأزهر. يضم مجموعة من المقالات بأقلام كبار رجال الدولة والمفكرين والباحثين عن تاريخ الأزهر، ورسالته، ودوره فى حماية العروبة، والحفاظ على الشخصية المصرية، ومكتبة الأزهر، والرؤى التاريخية للحياة الفكرية فى رحاب الأزهر، والتقاليد الأهرية، والإسلام فى العالم ومناهج الدعاة، ومشايخ الأزهر، ومدينة البعوث، والأزهر والأقليات الإسلامية، ودور وزارة الأوقاف المصرية فى دعم علاقات الأزهر بالعالم الإسلامى.

الأزهر فى ألف عام: دكتور محمد عبد المنعم خفاجى، ودكتور على على صبح - الطبعة الثالثة المكتبة الأهرية للتراث ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م وصل فى عدد صفحاته إلى الضعف: ستة أجزاء بدلاً من ثلاثة أجزاء.

الحركة العلمية فى الأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين:

الطبعة الأولى المكتبة الأهرية للتراث ثلاثة أجزاء دكتور محمد عبد المنعم، دكتور على على صبح وتحت الطبع الجزء الرابع ٢٠٠٧.

الباب الثالث عشر

شخصيات.. ومواقف



ابن السبكي

عرف تاريخ الثقافة العربية كثيراً من البيوتات العلمية التي استفاض العلم فيها، وكان إرثاً طيباً يؤول إلى الأبناء فيما يؤول إليهم من عقار وحطام، فكان علم الأبناء امتداداً ناضجاً لعلم الآباء. وقد صان هؤلاء الأبناء ذلك الموروث العلمي العظيم، وعملوا على إثرائه وإخصابه. وبحسبنا في هذا المقام أن نذكر الإمام أبا حاتم الرازي، محمد بن إدريس بن المنذر، المتوفى سنة ٢٧٧هـ. وابنه عبد الرحمن بن أبي حاتم، المتوفى سنة ٣٢٧هـ، من أئمة علم الجرح والتعديل. والإمام ضياء الدين خطيب الري، عمر بن الحسين بن الحسن، وابنه الفخر الرازي، محمد بن عمر، المتوفى سنة ٦٠٦هـ من فرسان علم الكلام.

على أنه لم يستعلن تأثير والد في ولده كما استعلن في تاريخ الإمام العلامة تقى الدين على بن عبد الكافي السبكي، المولود في سنة ٦٨٣هـ والمتوفى في سنة ٧٥٦هـ. وولده العلامة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن على، المولود في سنة ٧٢٧هـ. والمتوفى في سنة ٧٧١هـ.

الذهبي - فيما ينقل عنه السبكي:

«القاضي الإمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء، كان صادقاً ثبتاً خيراً ديناً، من أوعية العلم، يدرى الفقه ويقرره، وعلم الحديث ويحرره، والأصول ويقربها، والعربية ويحققها». ويكفي دليلاً على علم هذا الرجل أنه كان الوحيد من علماء عصره الذي تصدى لابن تيمية -على عنفه وشدته- ورد عليه في مسألة الطلاق، وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام، وهما المسألتان اللتان زعزع بهما ابن تيمية كيان العلماء في عصره. فرد عليه الإمام السبكي في مسألة الطلاق برسالتين: رافع الشقاق في مسألة الطلاق. والتحقيق في مسألة التعليق. ورد عليه في الزيارة برسالة: شفاء السقام في زيارة خير الأنام. أو شن الغارة على من أنكر السفر للزيارة. ويقول فيه ابن تيمية: «لقد برز هذا على أقرانه». وقد نبغ صاحبنا تاج الدين في منتصف القرن الثامن الهجري -عصر الموسوعات العلمية،

هذا العصر الذى كان بمثابة الصحوة الفارحة بعد النكسة التى أصابت العالم الإسلامى، والتى كادت تأتى على تراثه الضخم العريض، إبان الغزو التترى الكاسح.

وقد ولد تاج الدين بالقاهرة، ونسب إلى قرية سبك من أعمال المنوفية. ولم ينصرف الفتى فى صباه إلى اللهو واللعب، كما يفعل لداته وأترابه، فقد هدهد سمعه فى سن تفتحه وفود العلماء، تفد إلى بيت أبيه، تنشد العلم وتطلب الفتيا. فأقبل على ألوان المعرفة يحصلها على مهل واتناد فى الأزهر الشريف حتى اكتملت له أدوات العالم المجتهد. وكان مجلى هذه الثقافة الواسعة العريضة فى نهاية الشوط موسوعة علمية ضخمة، لمت أطراف الثقافة العربية، وجلتها على نحو معجب خلاب، على امتداد سبعة قرون فى كتابه الخالد «طبقات الشافعية الكبرى».

لقد انفسح هذا الكتاب العظيم من خلال ترجمته لرجال المذهب الشافعى - لكثير من المباحث الفقهية والفتاوى الشرعية، والمقالات، والمناظرات، والنوادر والملح، كما حفل بالضوابط اللغوية ومسائل علم الكلام والأصول. كما كان مصدراً أدبياً لكثير من الكتب التى عاجلت شئون الحب.

وكان أيضاً مرجعاً أصيلاً فى جميع أشعار الشعراء. على أن أهميته الكبرى بعد كل ذلك ترجع إلى أنه حفظ لنا كثيراً من النصوص التى ضاعت أصولها. كتاريخ نيسابور، للحاكم النيسابورى محمد بن عبد الله، المعروف بابن البيع، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ وتاريخ مصر لابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد المتوفى سنة ٣٤٧ هـ، وغير هذين الكتابين كثير من هذه الأمهات التى عبث بها الزمان.

وقد عالج ابن السبكي فى كتابه هذا ذلك المنهج العلمى، الذى عرف فيما بعد، ونسب إلى ابن خلدون، ذلك المنهج القائم على تمحيص الأخبار، والتنبه لما تفعله المعاصرة والعصبية فى المذهب.

استمع إليه يقول فى ترجمة أحمد بن صالح المصرى، فى الطبقة الثانية: «وما ينبغى أن يتفقد عند الجرح حال العقائد، واختلافها بالنسبة إلى الجارج والمجروح،

فربما خالف الجارح المجروح فى العقيدة، فجرحه لذلك». ولم تقف تلمذته للإمام الذهبى حائلاً دون نقده مر النقد لمخالفته هذا المنهج القائم على الحيدة والتجرد، فيقول عنه: «وهو شيخنا ومعلمنا، غير أن الحق أحق أن يتبع، وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه».

ولكن هذه الحياة العلمية المخلصة لم تشغل صاحبنا عن أن يلمس مظاهر الضعف والعسف التى استعلت فى الحكم المملوكى الجائر. فظهرت دعواته الإصلاحية النقدية فى كتابه القيم: «معيد النعم ومبيد النقم». لقد كان هذا الكتاب ثورة عاتية على نظم الحكم، وأخلاق الناس فقد أتيح لابن السبكي من خلال مشاركته فى الحياة العامة -مدرساً وخطيباً وقاضياً- أن يرى ويحس مدى التمزق الذى شمل الأمة نتيجة للحكم المملوكى البغيض، الذى نبتت فيه فكرة «تركى وفلاح». والذى استأثر فيه الممالك بالمناصب الكبرى، وتركوا أصحاب الأرض الحقيقيين يشربون العرق ويقتاتون السهد. وقد وضع ابن السبكي كتابه هذا رداً على سؤال ورد عليه، أو وضعه هو بين يدى كتابه، موضوعه: «هل من طريق لمن سلب نعمة دينية أو دنيوية إذا سلكها عادت إليه، وردت عليه» وأجابه عن هذا السؤال راح ابن السبكي ينتقد بقسوة وصراحة طوائف الأمة، ابتداء من السلطان إلى أرباب الحرف، آخذاً فى طريقه نواب السلطان والقضاة والمدرسين ورجال الدين من العلماء والصوفية.

استمع إليه يلخص رأيه فى الأتراك عموماً، فيقول: «وقد اعتبرت كثيراً من الأتراك يميلون إلى أول شاك، وما ذاك إلا للغفلة المسئولية على قلوبهم» ثم يسخر من هؤلاء الأتراك وتعلقهم من الإسلام بالمظاهر الفارغة، فيقول: «وأما أنك ترتكب ما نهى عنه وتترك ما أمر به، ثم تريد أن تعمر الجوامع بأموال الرعايا، يقال: هذا جامع فلان، فلا والله لن يتقبله الله تعالى أبداً». ثم يتكلم عن السلطان ويحدد اختصاصاته فيقول: «إن الله لم يوله على المسلمين يكون رئيساً أكلاً شارباً مستريحاً، بل لينصر الدين ويعلى الكلمة». وحين يتحدث عن العلماء والمفتين يأخذ على بعض هؤلاء وأولئك تعصبهم لمذهبهم، وأضاعتهم الوقت فى الخلافات، فيقول مخاطباً العلماء: «لو أن الشافعى وأبا حنيفة ومالكاً وأحمد

أحياء يرزقون لشدودا النكير عليكم وتبرأوا منكم فيما تفعلون» ثم يأتي إلى المفتين فيقول: «ومنهم طائفة تصلبت في أمر دينها، فجزاها الله خيراً، تنكر المنكر وتشدد فيه، وتأخذ بالأغلظ، وتتوقى مظان التهم، غير أنها تبالغ فلا تذكر لضعفة الإيمان من الأمراء والعوام إلا أغلظ المذاهب، فيؤدى ذلك إلى عدم انقيادهم وسرعة نفورهم. فمن حق هذه الطائفة الملاطفة وتسهيل ما في تسهيله فائدة لمثل هؤلاء إلى الخير، إذا كان الشرع قد جعل لتسهيله طريقاً، كما أن من حقها التشديد فيما ترى أن في تسهيله ما يؤدى إلى ارتكاب شيء من حرمات الله».

ويرسم ابن السبكي المعلم للمدرس منهجاً تربوياً راشداً حين يقول: «وحق عليه أن يحسن إلقاء الدرس وتفهمه للحاضرين، ثم أن كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدرّبهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، إلى أن يتهوا إلى درجة التحقيق وإن كانوا منتهين فلا يلقي عليهم الواضحات، بل يدخل بهم في المشكلات». وتتجلى دعوة صاحبنا الإصلاحية في أبهى صورها حين يأسى للفلاح الذى يستهلك فى السخرة والإقطاع. فحين يتكلم عن منصب ناظر الجيش وتحديد اختصاصاته يقول: «ومن قبائح ديوان الجيش الزامهم الفلاحين فى الإقطاعات بالفلاحة. والفلاح حر، لا يد لآدمى عليه، وهو أمير نفسه».

وبعد... ألا تعتقد معى أيها القارئ الكريم أن هذا الرجل إنما يتكلم بلغة عصرنا، كمصلح اجتماعى، وكعالم نفسانى، بصير بالنفس الإنسانية، عالم بضعفها.

وكان طبيعياً بعد هذا النقد المر الجارح لنظام الحكم وأخلاق الناس أن تتعرض حياة الرجل ومصير أسرته للزواجر والأعاصير. فيعزل عن منصب القضاء، لأسباب واهية ذكرها الحافظ ابن حجر فى «الدرر الكامنة» وتجرى له محاكمة، يحكم عليه فيه بالحبس سنة. ولكن هل ضعف ابن السبكي، أو تخاذل؟ استمع إلى معاصره الحافظ بن كثير يقول: «جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض قبله. وحصل له من المناصب والرياسة ما لم يحصل لأحد قبله، وإبان فى أيام محتته عن شجاعة وقوة على المناظرة، حتى أفحم خصومه، ثم لما عاد عفا عنهم، وصفح عمن قام عليه».

وبعد هذه الحياة الخصبية الزاخرة بالعلم والإصلاح انطفأت هذه الشعلة التي توهجت عبر أربع وأربعين سنة. وحق لابن السبكي أن يقول في زهو ورضا، في ورقة كتبها إلى نائب الشام: «وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الإطلاق، لا يقدر أحد يرد على هذه الكلمة».

توفي تاج الدين شهيداً بالطاعون (بالدهشة) ظاهر دمشق، في ذى الحجة. خطب يوم الجمعة، وطعن ليلة السبت رابعه، ومات ليلة الثلاثاء سابعه سنة ٧٧١هـ ودفن بترية السبكية بسفح قاسيون، عن أربع وأربعين سنة، بعد أن جلا صفحة مشرقة في تاريخ علماء المسلمين.



الشيخ محمد الحفنى شيخ الأزهر

الشيخ^(١) الإمام العلامة، أوجد زمانه علماً وعملاً، المشهود له بالتحقق والكمال، والمجمع على تقدمه فى كل مجال أبو الأنوار شمس الدين محمد الحفنى بن السيد سالم بن على الحفناوى، الأزهرى، الشافعى الخلوتى، الذى يتسبب إلى الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما، وهو الثامن من الأئمة الكبار، الذين تولوا مشيخة الأزهر الشريف.

ولد رضى الله عنه على رأس سنة ١١٠٠هـ بقرية حفنا التابعة لمركز بلبيس بمحافظة الشرقية، ونسب إليها، حتى صارت هذه النسبة علماً عليه بالغلبة، وصار لا يذكر إلا بها.

نشأ بقريته، وحفظ بها من القرآن الكريم إلى سورة الشعراء، وكان أبوه وكيلاً لأحد الأمراء، ويقطن بالقاهرة. مقر عمله، فأبقاه لديه. لما أكمل حفظ القرآن الكريم، اشتغل بحفظ المتون: كآلفية ابن مالك، والسلم، والجوهرة، وغيرها، ثم جاور بالأزهر الشريف وأخذ عن شيوخه العلم- وكلهم أئمة بنورهم ينجلي الظلام، وأقطاب ببركتهم يدرك المرام- منهم: محيى السنة الشيخ أحمد الخليفى، والشيخ أحمد الملوى والشيخ محمد الديربى، والشيخ عبد الرؤوف البشيشى، والشيخ محمد السجاعى، والشيخ يوسف الملوى، والشيخ عبده الديوبى، والشيخ محمد الصغير.

ومن أجل شيوخه، الذين سمع منهم: شيخ المحدثين الشيخ محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت. أخذ عنه التفسير والحديث والإحياء للإمام الغزالى، وصحيح البخارى ومسلم وسنن أبى داود، وسنن النسائى، وسنن ابن ماجه والموطأ والمعجم الكبير والأوسط والصغير للطبرانى، وصحيح ابن حبان، والحلية للحافظ أبى نعيم، وغير ذلك.

(١) عن مجلة الأزهر الأستاذ أحمد نصار.

واجتهد ولازم، حتى شهد له شيوخه جميعاً بالتفوق، وأثنوا على دقة فهمه، ورجحان عقله، وسعة معرفته وأجازوه بالإفتاء والتدريس، وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره المبارك، فكان أمره عجباً يلفت النظر، لقصر هذه المدة، التي حفظ فيها القرآن، وأتم طلب العلم فصار أهلاً للإفتاء والجلوس للتدريس، ولكن ابن العناية ملحوظ فأقرأ الكتب الدقيقة في حياة شيوخه، وشهد له معاصروه بالبراعة، والإجادة في الإفادة ولازم درسه أكثر طلبة العلم.

وكان إذ ذاك في ضيق من العيش. وفي ذلك يقول:

إنى أقول لنفسي وهى ضيقة وقد أناخ عليها الدهر بالتعب
صبراً على شدة الأيام، إن لها وقتاً وما الصبر إلا عند ذى الحساب

ولكن هذا الحال، لم يخرجه عن القناعة والرضا، ولم يبد منه أن للدنيا عنده قدراً فقد أنشد:

خبز وماء وظل هو النعيم الأجل
جحدت نعمة ربي إن قلت إنى مـقل

ثم أخذ بالأسباب لزيادة دخله، فاشتغل بنسخ الكتب بالأجر، وإن كان ذلك قد شق عليه، خوفاً من أن يشغله النسخ عن متابعة إلقاء العلم، ولكنه لم يستمر طويلاً حتى أذن الله فجاءه الفرج وأقبلت الدنيا عليه، وصار رزقه فضلاً إلهياً، فاتجه بكليته إلى العلم وعقد الدروس، وقرأ جمع الجوامع للعلامة السبكي، والأشمونى على الألفية ومختصر السعد، وحاشية حفيده عليه، وابن عبد الحق على البسملة، وغيرها.

واشتغل بعلم العروض، حتى برع فيه وأجاد نظمًا ونثرًا، حتى عرف بالفصاحة، وجودة البيان، وكثيراً ما كان يرتجل الشعر، فمن ذلك قوله:

أطلبون رضائي الآن عن نفر قلوبهم بتفاسق لم تنزل مرضى
تجاهروا بقبيح الفسق، لا ربخوا إن كنت أَرْضَى، فإن الله لا يرضى

ومن نشره: من رسالة لبعض تلاميذه في الطريق، وقد جمعت بين قوة الأسلوب وعذوبة اللفظ، وضمت إلى حسن التوجيه، نهجاً عالياً في التربية والتهذيب، قال فيها:

« . . ومن زاد عليك إقباله، وتوجهت إليك بالصدق آماله، فاصرف قلبك إليه، وعول في التربية عليه، ومن عنك بهواه صد، بعد أخذك عليه وثيق العهد، فدعه ولا تشغل به البال، وأنشده قول أستاذنا «أى السيد مصطفى البكرى» لمن عن طريقنا قد مال:

ألم تدر أنا من قلانا سفاهة	تركناه غب الوصل يعمى بصدده
ومن صدعنا حسبه الصد والجفا	وإن الردى أصماه من بعد بعده
ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته	وأنا نكافيه على ترك حمده
وإن غدا لما نعد محبنا	واتباعنا لسنا نهم بعده

ومن أردت زجره للتربية وإرشاده، فليكن ذلك على انفراد، إذ هو أرجى لإسعاده، ولا تزجر بضرب ولا نهر بين الناس، فإن ذلك ربما أوقع المريد من اليأس، ولا تلتفت لمن أعرض، ولا لمن يصحبك لغرض، وعليك بالرفق للإخوان، سيما أخوك فلان، فالخير لمن صاحب بإحسان، والأدب واللطف محمودان، والغلظة والحق موبقان، فاصرح القال والقيـل، واصفح الصفح الجميل، ولك ولكل من أخذ عنك أو حبك، منا ومن أهل سلسلة طريقتنا ما سر، فأبشر إن عملت بما أشرنا بكل خير ومزيد الفتح، والمسير فى السير».

وقد تخرج عليه غالب أهل عصره وطبقته، ومن دونهم: كأخيه الشيخ يوسف الحفناوى، والشيخ إسماعيل الغنيمى صاحب التأليف البديعة، والتحريرات الرفيعة، وشيخ الشيوخ على الصعيدى العدوى، والشيخ محمد الغيلانى، والشيخ محمد الزهار، وغيرهم، وكانت على مجالسه هبة ووقار قلما يسأله أحد لجلالته.

ومن مؤلفاته المشهورة التى أتحف بها المكتبة العربية فى كل علم وفن:

١ - الثمرة البهية فى أسماء الصحابة البدرية: فى التاريخ.

- ٢- حاشية على شرح الأشموني على الألفية: فى النحو.
- ٣- حاشيته على شرح الهمزية لابن حجر الهيتمى: فى الأدب.
- ٤- رسالة فى التسبيح والتحميد: فى الفضائل والآداب.
- ٥- رسالة فى التقليد فى الفروع: فى أصول الفقه.
- ٦- رسالة فى الأحاديث المتعلقة برؤية النبى ﷺ.
- ٧- حاشية على الجامع الصغير للسيوطى فى جزئين: فى الحديث.
- ٨- حاشية على شرح الشنشورى على الرحبية: فى المواريث.
- ٩- حاشية على مختصر الشيخ التفتازانى.
- ١٠- حاشية على شرح الحفيد على مختصر جده التفتازانى: فى البلاغة.

وكان الشيخ الحفنى، حسن السمى، مهيب الطلعة، معتدل القامة، لا بالطويل ولا بالقصير، عظيم الهامة، كث اللحية أبيضها، مقوس الحاجبين، رطب الراحتين، سواء الظهر والبطن، أبيض اللون مشرب بحمرة، كأن على وجهه قنديلاً من النور.

وكان كريم الطبع، جميل السجايا لم يضبط عليه مكروه، على جانب عظيم من الحلم، ما جهل عليه أحد إلا قابل السيئة بالحسنة. يعظم كل الناس، ويتمثل قائماً لكل قادم، ويخاطب كل إنسان على قدر عقله، ويصغى لكلام كل متكلم ولو كان تافهاً، ولا يضجر إن أطال عليه، بل يظهر له المحبة، حتى يظن أنه أعز الناس عليه، وأقربهم إلى قلبه. وكان لا يعلق نفسه بشيء من الدنيا فلو سألته إنسان أعز حاجة عليه أعطائها له، كائنة ما كانت ويجد لذلك إنساً وانشراحاً وإذا دعى أجاب، إلا أنه كان يعتذر من عدم حضور الولاىم. لأنه يرى أنها غير مضبوطة بالأمور الشرعية.

وله صدقات وصلات خفية، وكان يتولى الصرف على بيوت كثير من أتباعه المتسبين إليه ولا ينقطع ورود الواردين عليه ليلاً ونهاراً، وقد قيل إن راتب بيته من الخبز كل يوم نحو الأربى. ويجتمع على مائته ما لا يقل عن الأربعين.

ولما بلغ الثلاثين من عمره، كثر انقطاعه للعبادة. وتهياً للسلوك والاندماج في الطريق فأخذ عن الشيخ أحمد الشاذلي المعروف بالمقرى وتلقى منه بعض الأحزاب والأوراد وكان يتردد على زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح المقطم ويمكث فيها الليالى متحتاً. وقد ذكر الشيخ حسن شمه: أنه كثيراً ما كان ينشد فى الدياجى.

خل الغرام لصب دمعته دمه	حيران توجده الذكرى وتعدمه
واسمح له بعلاقات علقن به	لو اطلعت عليها كنت ترحمه
وقال: سمعته مرة ينشد من شعره:	
لو فتنشوا قلبى لا لقوا به	سطين قد خطا بلا كاتب
العلم والتوحيد فى جانب	وحب ال البيت فى جانب

ولما قدم السيد مصطفى البكرى عمدة أهل الطريقة الخلوتية من الشام سنة ١١٣٣هـ اجتمع عليه وحصل بينهما الارتباط القلبى حال المشاهدة، فأخذ عليه العهد فى أول لقاء، ثم اشتغل بالذكر والمجاهدة ولما علم السيد صدق حاله، وحسنفعاله، قدمه على خلفائه، وأولاه حسن ولائه، ودعاه بالأخ الصادق.

وفى سنة ١١٤٩هـ حن إلى زيارة شيخه البكرى، فسافر إلى القدس الشريف، وأقام عنده أربعة أشهر، عاد بعدها إلى القاهرة، وأدار مجالس الأذكار، بالليل والنهار، وأحيا طريق الخلوتية، المؤيدة بالشرعية الغراء، فى الديار المصرية، ولم يزل أمره فى ازدياد وانتشار حتى شاع ذكره وأقبل عليه الوافدون من كل فج، وصار الكبار والصغار، والرجال والنساء، يذكرون الله بطريقته، وأصبح قطب الوقت بحق، ولم يبق ولى من أهل عصره إلا أذعن له.

وكان من تلاميذه: شيخ القراء المحدثين، وصدر الفقهاء المتكلمين العابد الزاهد الشيخ محمد السمنودى المعروف بالمنير، وعلامة وقته الشيخ حسن الشينى، والشيخ محمد السنهورى والشيخ محمد الزعيرى، والشيخ خضر رسلان، والشيخ محمود الكردى، والشيخ عبد الله الشرقاوى الذى تولى مشيخة الأزهر، والإمام الأواحد الشيخ محمد بدير، والشيخ محمد الهلباوى الشهير بالدمنهورى، والشيخ

محمد السقا، والشيخ محمد الفشنى، والشيخ عبد الكريم المسيرى الشهير بالزيات، وأبو البركات الشيخ أحمد محمد الدردير العدوى، والشيخ حسن بن على المكي المعروف بشمة.

قوم إذا جن الظلام عليهم قاموا هنا لك سجداً وقياماً

وللشيخ الحفنى رضى الله عنه، كرامات وبشارات وخوارق وعادات يطول شرحها ذكر بعضها تلميذه الشيخ حسن شمه، الناظم النادر فى كتابه الذى ألفه فى نسبه مناقبه وقد ضمنه مقامه فى مدحه، أسماها: فيض المغنى فى مدح الحفنى، جمع فيها سائر فنون الشعر، وتلميذه العلامة الشيخ محمد الهلباوى الدمنهورى كذلك مؤلف فى مناقبه ومن قصيدة له فى مدحه:

سبحانك الله ما الحفنى ذا بشر	لكنه ملك قد جاء للبشر
محجب عن عيون الواصلين فما	بال خليين من سر ومن ثمر
هذا الفريد الذى نادى الرفاق به	فسار كل أسير نحو مقتدر
جلت محاسنه عن كل ما وصفوا	فليس يحصرها لب من الفرر
وهو الذى ورثته الأنبياء رتباً	فضلاً من الله لا بالجد والسهر
علماً وحلماً وتوفيقاً ومكرمة	وحسن حال مع التسليم للقدر

وقد تولى مشيخة الأزهر فى سنة ١١٧١هـ ومكث فيها حتى وافاه داعى السماء، بعد أن ملأ الدنيا نوراً وبركة، قبل ظهر يوم السبت ٢٧ ربيع الأولى سنة ١١٨١هـ، وصلى عليه فى الأزهر يوم الأحد، فى مشهد عظيم جداً ودفن بقرافة المجاورين القديمة مع أخيه العلامة الشيخ يوسف الحفناوى المتوفى سنة ١١٧٨هـ.



أزهريون خالدون

كانت للعلماء، في جميع عصور الإسلام، الريادة والقيادة: يرودون الحياة أمام الناس ويقدمون لهم ثمة هذه الريادة من العلم والتجربة والثقافة والفضائل والتقوى. ويقودونهم -أفرادًا وجماعات- إلى طريق الخير والفلاح. وفي بعض عصور التاريخ نجد لهؤلاء العلماء ريادة أخرى وقيادة للسياسة والثورة في سبيل رفع الظلم ورد العدوان، كان ذلك أوضح ما يكون الوضوح في مصر في القرن الثامن عشر، حيث أفحش الظالمون في ظلمهم واعتدى المعتدون على وطنهم.

في هذا القرن كانت تقوم ثورات شعبية كثيرة يهب فيها أهل مصر لرد عدوان الظالمين -وعقابهم أيضًا- وكان علماء الأزهر^(١) يشاركون الشعب إحساسه وثورته، بل كثيرًا ما كانوا يقودونه في ثورته، ويحرضونه.

الشيخ الدردير يقود ثورة:

وللشيخ أحمد الدردير -وكان مفتيًا للمالكية ومن أكبر علماء عصره- في ذلك مواقف كريمة نذكر بعضها منها:

في يوم من أيام ربيع الأول من سنة ١٢٠٠ هـ (يناير ١٧٨٦م) قام حسن بك شفت^(٢) أحد كبار المماليك، ومعه طائفة من جنوده قاصدًا منطقة الحسينية واقتحم دار رجل اسمه أحمد سالم الجزار، كان رئيسًا على دراويش الشيخ البيومي، ونهب الأمير حسين دار هذا الشيخ. وفي صباح اليوم التالي ثار جماعة الدردير، فجمعهم في ثورتهم، وغضب لهم وقال لهم: أنا معكم. فقام الغاضبون إلى أبواب الأزهر فغلقوها، وصعدت طائفة منهم على المآذن يصيحون، ويدقون الطبول، وانتشر الناس في الأسواق وقد ظهر عليهم الغضب والتحفز، وأقفل التجار متاجرهم. فلما رأى الشيخ الدردير ثورتهم هذه قال لهم: موعدنا غدًا لنجمع الناس من أطراف المدينة، وبولاق ومصر القديمة، وأسير معكم إلى بيوت

(١) الأستاذ محمود الشرقاوى عن مجلة الأزهر.

(٢) يقول الجبرتي إن «شفت» معناها اليهودي والأرجح أنها محرفة من كلمة «جفت» التركية بهذا المعنى.

هؤلاء الأمراء نهبها كما ينهبون بيوتنا. وسينصرنا الله عليهم، أو غموت شهداء. وبعد ساعات من النهار أرسل إبراهيم بك: شيخ البلد وكبير الممالك، نائبه، وأميراً آخر إلى الشيخ الدردير يرجوه أن يرسل إليه قائمة بجميع ما نهب من بيت الشيخ الجزار حتى يرده إليه.

وفي شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها كان مولد السيد البدوي، في طنطا، وكان الشيخ الدردير في المولد، وجاء كاشف^(١) الغربية، من قبل إبراهيم بك، ففرض على الناس مغارم ثقيلة، وأخذ إبلاً لبعض الأعراب كانوا يبيعونها في المولد، فشكوا أمرهم إلى الشيخ، فأمر بعض أتباعه أن يذهبوا إلى الكاشف، فخشوا بطشه ولم يذهبوا، فركب الشيخ بنفسه ومعه بعض أتباعه، وكثير من العامة، فلما أقبل على خيمة الكاشف ناداه فحضر إليه، وكلمه الشيخ، وهو على ظهر بغلته، وقال له: إنكم لا تخافون الله. واشتد عليه بالزجر والتأنيب. فلما رأى الناس ذلك خرجوا عن طورهم، وضربوا نائب الكاشف، وقامت فتنة بينهم وبين الجند فهرب فيها وأسر واحد من أتباع الشيخ، وذهب كاشف المنوفية وكاشف الغربية بعد ذلك يعتذران إلى الشيخ، ولما عاد إلى القاهرة قدم إبراهيم بك بنفسه إلى منزله معتذراً ومعه كبار الممالك.

الشيخ عباس ووقف المغاربة:

وقبل ذلك بعشر سنوات آلت بعض الأوقاف المحبوسة على طلبية العلم إلى الطلبة المغاربة، ولكن واضع اليد جحد هذه الأيلولة وأبى أن يسلم الحق لأصحابه، ولجأ في ذلك إلى الأمير يوسف بك أمير الحج فنصره هذا على باطله، وأقام المغاربة دعواهم أمام القاضى فأثبت لهم حقهم، ولكن الأمر كبر على يوسف بك، وأبى أن يمثل لحكم القضاء، بل أمر بالشيخ عباس -زعيم المطالبين بوقف المغاربة- أن يساق إلى السجن. فلما ذهب رسل الأمير يوسف بك إلى الأزهر لأخذ الشيخ عباس طردهم الأزهريون وسبوههم ولم يمكنوهم منه، ثم قصدوا إلى الشيخ أحمد الدردير فأخبروه الخبر، فكتب الشيخ إلى يوسف بك ألا يتعرض لأهل العلم، وألا يعاند في حكم أصدره القاضى، وأرسل الشيخ كتابه

(١) كاشف: حاكم.

هذا إلى يوسف بك مع شيخين اختارهما لذلك. فلما وصل الشيخان برسالة الدردير أمر يوسف بك بالقبض عليهما وزجرهما زجراً شديداً ثم سجنهما.

ووصل خبر ذلك إلى الشيخ الدردير، وأهل الأزهر، فاجتمعوا عند الصباح وأبطلوا دروس العلم، والآذان، والصلاة، وأقفلوا أبواب الجامع. وجلس العلماء عند القبلة القديمة. وكان الأزهر يموج بالناس، فصعد الصغار منهم إلى المنارات والمآذن يكثرون من الدعاء على الأمراء، وشارك الشعب أهل الأزهر شعورهم بالسخط واحتجاجهم على الظلم، فغلقت الحوانيت والمتاجر، وعرف الأمراء ما جرى فأرسلوا إلى يوسف بك ليطلق سراح الشيخين، فأطلقهما، وأرسل شيخ البلد إبراهيم بك، كبيراً من رجاله إلى العلماء، فلم يستطع إرضاءهم، وجاء كبير آخر يطلب إلى الناس أن يفتحوا متاجرهم، وينصرفوا لشأنهم، فذهب إليه طلبة الأزهر، وجموع من الشعب بأيديهم العصي والمساوق، وضربوا أتباع هذا الكبير ورجموهم بالحجارة. فأطلق عليهم هو ورجاله الرصاص. وقتل ثلاثة من الطلبة، وجرح بعض أفراد الشعب وخشى الأمراء بعد ذلك أن يتفاقم الخطب، وتزيد ثورة الشعب والعلماء اشتعالاً، فأرسلوا في اليوم التالي كبيراً منهم، مع الشيخ السادات، وآخرين من الأمراء، ورأوا من الحكمة ألا يذهبوا إلى الأزهر، ففى وسط هذه الفتنة فجلسوا فى مسجد الأشرف، وأرسلوا إلى أهل الأزهر ومن معهم من الثائرين، أن طلباتهم أجبت، فلم يقنعهم ذلك، ولم يتركوا أماكنهم، فلم ير إسماعيل بك، كبير الأمراء، بدا من أن يذهب بنفسه إليهم، فنزل مع الشيخ السادات، ولم يستطع أن يواجه الثائرين داخل الأزهر، فجلس مع السادات فى مسجد المؤيد، وأرسل إليهم كتاباً تعهد فيه إسماعيل بك أن يجيب رغائبهم ويقبل جميع ما يطلبون، وقال: إن ضمينه فى ذلك الشيخ السادات، وظل إسماعيل بك يرأسل المتترسين داخل الأزهر يوماً كاملاً حتى استجابوا، وفتحوا أبواب الأزهر، وكان مما شرطوه على إسماعيل بك ألا يمر الأغا، ولا الوالى، ولا المستحب قريباً من الأزهر.

الشيخ السادات يقود الثورة:

كان الشيخ السادات، من أكبر الشيوخ مقاماً، وأعظمهم شأنًا، وأوسعهم جاهًا وثروة، وأعزهم منزلة لدى الناس، ولدى الأمراء على السواء. ولكنه، مع اختيار

نابليون له عضواً في الديوان، وزيارته له في بيته، كان من أكبر خصوم الفرنسيين، والمحرضين على الثورة عليهم.

فعندما قامت ثورة القاهرة الأولى تبين أن زعيمها الأول هو الشيخ السادات. وثبت لديهم ذلك حتى أمر الجنرال كليبر بإعدامه، ولكن نابليون رده عن ذلك، مع يقينه من زعامته للثورة، وقال: إن قتل شيخ في مكانة السادات يضر أبلغ الضرر بمركز الفرنسيين، ويزيد في حقد المصريين وكراحتهم له.

ثم قامت ثورة القاهرة الثانية على الجنرال كليبر. وكان السادات من المحرضين عليها. فجاءت فرصة كليبر لشفاء ما في نفسه من السادات. وكان يذكر نصيحة نابليون فلم يقتله، ولكنه أوقع به من العذاب والمهانة شيئاً كثيراً. حيث فرض عليه ضريبة فادحة، قدرها مائة وخمسون ألف فرنك. فلما رفض أن يدفعها أمر بسجنه في القلعة. وكان ينام على التراب، ويمشون به على قدميه في شوارع القاهرة، ويضرب في صباح كل يوم خمس عشرة عصا، ومثلها في كل مساء وحبسوا أتباعه وخدمه. وطلبوا زوجه وابنه فلم يجدوهما. فعذبوا خادماً له عذاباً شديداً حتى دل على مكانهما، فسجنوهما. ووضعوا معه زوجته في سجن واحد، فكانوا يضربونه أمامها، وهي تبكي. وهاجموا داره، ففتشوها ونهبوا ما كان فيها من مال ومتاع وحفروا أرضها للبحث عما فيها من سلاح ومال. وجعلوا على بيته عشرين حارساً. وعندما أعادوا تشكيل «الديوان»^(١) أخرجوه منه.

وبعد أن أنزلوه من القلعة عادوا فسجنوه فيها مرة أخرى خمسين يوماً، ثم أخرجوه بعد أن أتم دفع ما فرضوا عليه، ولكنهم عادوا فصادروا جميع ممتلكاته وإقطاعياته -وكانت شيئاً كثيراً- وحبسوا مرتباته وأوقافه وأوقاف زوجاته، وبيع الأوقاف التي كانت محبوسة على زوجات أجداده. وشرطوا عليه ألا يجتمع بالناس، وألا يخرج إلا بإذنهم، وأن يقتصد في نفقاته، وينقص عدد أتباعه وخدمه.

(١) عندما دخل نابليون القاهرة ألف «الديوان» من طبقتين «العمومي» و«الخصوصي» وكان الأخير يتألف من كبار العلماء والتجار وأهل الرأي والمنزلة من المصريين. وكان رئيسه الشيخ عبد الله الشراكوي ومن أبرز أعضائه الشيخ السادات.

ويخاف منه الأتراك أيضاً:

وعندما قدمت الحملة التركية الإنجليزية لحرب الفرنسيين وإخراجهم من مصر، سنة ١٨٠١، وعلم الجنرال مينو، نائب نابليون وقائد الجيوش الفرنسية، أنها نزلت أبى قير فى الإسكندرية، أمر للمرة الرابعة، بالقبض على الشيخ السادات حتى لا يثير المصريين عليهم. وسجن فى القلعة، وبقي فيها سجيناً حتى بارح الفرنسيون مصر.

وقد مات ابن الشيخ السادات وهو فى السجن فلم يسمحوا له بالخروج ليراه، بل أذنوا له بالسير فى جنازته تحت الحراسة، ثم أعادوه إلى السجن. ومن مواقف الشيخ السادات الوطنية الكريمة، أنه عندما ضربت الحرب والحصار بالثائرين فى القاهرة، التزم بالإنفاق على المحاربين والمجاهدين فى المنطقة التى كان يقيم فيها، عند قناطر السباع. ومات الشيخ السادات بعد ذلك فى مارس سنة ١٨١٣ فى عهد محمد على بعد أن عرف له الناس وسجل التاريخ هذه الشجاعة وهذا البذل.



الأزهري الشيخ سليمان الجوسقي

فرغ الشيخ سليمان الجوسقي^(١) من صلاة الفجر في الجامع الأزهر على عادته في كل يوم، ولكنه في ذلك اليوم كان يبدو على غير عادته في كل شيء، فهو ساهم واجم يستغرقه تفكير عميق ثقيل، وهو في تفكيره منصرف عن كل شيء من حوله، حتى كان إخوانه يتلقونه بتحية الصباح فلا يجيبهم، وكان طلابه يكبون على يده يقبلونها فيلقونها إليهم في إغفال واستسلام كأنه لا يبالي شيئاً من أمرهم.

ومضى الشيخ الجوسقي إلى حلقة الدرس وهو على هذه الحال، ساهم واجم، مستغرق في ذلك التفكير العميق الثقيل، ولقد أخذ مكانه في حلقة الدرس والطلاب يحفون به منصتين، ولكنه جلس صامتاً واجماً لم يتكلم بكلمة، ولم يعنه أن يسأل الطلاب فيما حققوا من مسائل الدرس أو صادفوا من مصاعبه كشأنه معهم في كل يوم.

وما كان الشيخ الجوسقي هكذا أبداً، ولا عرف طلابه عنه هذه الحال في يوم من الأيام، فقد كان شيخاً مكفوف البصر، يتولى شئون طائفة العميان والتدريس لهم في الأزهر، ولكنه لم يكن يرى في تلك المحنة حذاء يعوقه عن أى شأن من شئون الحياة، فكان معروفاً بين إخوانه بقوة الشكيمة والصرامة في الحق، يحرص كل الحرص على مصالح طائفته، ويبذل كل الجهد لاستخلاص حقوقهم، ولو أدى ذلك إلى الاعتماد على القوة، والالتحام في المعركة، وكان إلى جانب هذا متفتح النفس، يهش للدعابة، ويطيب له التبسط في الحديث مع طلابه ومريديه، ويعنيه أن يتحقق بنفسه شئونهم العامة، ومساائلهم الخاصة، ومن ثم كان طلابه يخشونه أشد الخشية، ويحبونه أعظم الحب، وكان إذا ما أقبل على الدرس في كل يوم بعد الصلاة الأولى أقبلوا عليه، فيفضون إليه بما في نفوسهم، ويسمعون منه بما يشير به عليهم، ثم يفرغون معه لدرس التفسير في كتاب الله الكريم، وما يزالون حتى ترتفع الشمس، ثم ينصرفون للاستعداد لدرس آخر.

(١) مجلة الأزهر الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف.

ولكن الشيخ أقبل على طلابه في ذلك اليوم، وهو على تلك الحال التي لم يألّفوها منه، ولم يعرفوها عنه، وأشفق الطلاب أن يكون قد نزل بشيخهم مكروه في نفسه أو في أسرته، فقال قائل منهم: لا بأس على مولانا الشيخ فيما نرى، فقد فات موعد الدرس وهو منصرف عنا!

قال الشيخ في صوت محتبس أجش: كيف وهذا هو اليأس يأخذ بناوصينا وأقدامنا، وهذا هو الكرب يشد على خناقنا شداً عنيقاً، فليس لنا منه متنفس، وفيكم أنتم وهذا الدرس، وما هو إلا كلام تلوكونه بالسستكم، وتخورون به خوار البقر، ولكنكم والله لا تحسونه بقلوبكم، ولا تعرفون فيه حتى دينكم، وهل حسبتم أن الإسلام هو تلك الكلمات التي تردّدونها وتناقشونها ثم تنصرفون بها إلى الناس، وكأنها تجارة كلامية، حسبكم من الربح فيها تلك الفضلات التي تقيم أودكم، وتمسك رmqكم، إذن فيا ضيعة الإسلام فيكم ويا خسارته بكم ولست أدري أهى نهاية الزمان أم أن الله مقيض لهذا الأمر من ينهض به ويبعثه بعثاً جديداً في عقول هذه الأمة وقلوبها؟!

قال الطالب: وهل عرف شيخنا على أحد منا سوءاً في دينه، أو تفريطاً في حق من حقوقه؟!

قال الشيخ: وماذا بقى هناك من حقوق دينكم؟ وأى أثر لذلك في نفوسكم؟ لقد جل الخطب حتى أوشك أن يبقى من هذا الدين بقية تتصل بأرواحكم، هؤلاء هم الفرنسيون الكفار قد وطأوا بلادكم فسكتكم، ثم انتهبوا دوركم وأموالكم فأذعنتم، ثم انتهكوا حرماكم وأعراضكم فرضيتهم وصبرتم، وها هم أولاء -فيما عرفت- يعمدون إلى تغيير نظام الموارث في دينكم، يجعلون حق الإرث كله للبنات وليس للولد منه شيء كما هو شرعهم، ومتى بطل جزء من الشريعة فإنها جميعها لا بد صائرة إلى المسخ والزوال، وإنكم لصائرون غداً أرقاء في خدمة هؤلاء الفرنسيين الكفار، وبكم تكون نهاية هذا الدين، وزوال الملة، ونعوذ بالله من هذا الزمان.

وسرت بين الطلاب همهمة وغمغمة، وارتفعت الصيحات استنكاراً لتلك النازلة الساحقة التي حلت بالمسلمين في دراهم، ووقف بعض الطلاب يتكلمون،

فمنهم من يلقى اللوم على أولئك المماليك الجبناء الذين فروا من مواجهة العدو وتركوا الشعب يتلظى في آتون المعركة، ومنهم من يعتب على دولة بنى عثمان التي تركت الفرنسيين يصلون إلى فتح هذه الديار، ومنهم من يسب الخائنين والمارقين من أبناء الطوائف الدخيلة على البلاد لأنهم تعاونوا مع العدو ومكنوه من رقاب الشعب، ومنهم من يقول: إنه غضب الله على المسلمين جزاء ما فرطوا في دينهم، وحقوق ملتهم.

وعاد الشيخ الجوسقى يتكلم فقال: حسبكم يا أبنائي هذا الضجيج على غير طائل، إننا اليوم لسنا في مقام توزيع التبعات وليس من الحكمة أن نترك السفينة تهوى إلى القاع ونحن مشغولون بمعرفة الملولم في هذه الكارثة، وإنما الواجب أن نفرغ لدفع النازلة التي دخلت بنا، ثم نصحى أمورنا إذا بقي لنا أمر بعد ذلك، فحرام عليكم طعامكم وشرابكم، وحرام عليكم أن تقيموا على الضيم في وطنكم، وأن تجلسوا في هذا المكان باسم الإسلام والفرنسيون يصنعون بإسلامكم ما شاءوا أن يصنعوا.

قال قائل منهم: وماذا في طاعتنا أن نصنع إزاء حرب الفرنسيين. وقد حرمانا نعمة البصر فما ندرى إلى أين نسير، والله يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ [النور: ٦١].

ولم يكد الطالب يتم قوله حتى انفجر الشيخ كالبركان قائلاً: ألا لعنة الله عليكم إن كان هذا هو مدى إدراككم ويقينكم، نعم لا حرج عليكم فيما هو من شئونكم الخاصة، ولكنكم اليوم إزاء كارثة حلت بدار الإسلام، وإنها لأخذه بركابكم جميعاً، والله يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، فانفروا إلى الناس في دورهم، وحثوهم في أعمالهم، وتفرقوا على أبواب الطرق والحارات، وقولوا لكل من لقيتم إنكم اليوم بين شقى الرحى، وإن الفرنسيين قد استباحوا حرمانكم، وأهانوا شرفكم، ونهبوا أموالكم، وبدلوا دينكم، فلا عزة بين الأمم، ولا كرامة عند ربكم إذا ما رضيت بهذا الأمر فيكم.

ووقف الشيخ في انفعال وقوة، وأخذ يصرخ قائلاً والدموع تنحدر على خديه: والله ما قام عمود هذا الدين إلا بالجهاد، ولا أزهرت شجرة الإسلام إلا بدماء

الشهداء، ولقد خاض رسول الله ﷺ الحرب حتى شج وجهه وكسرت رباعيته، وفي سبيل الله استشهد سادتنا من الصحابة والتابعين، فلعنة الله علينا إن كنا من القاعدين بعد اليوم. . ثم اندفع الشيخ واندفع معه طلابه إلى الخارج وهم يصيحون: إلى الجهاد والاستشهاد، إلى الموت في سبيل الله. . وكانت الثورة.



كانت الشمس ترتفع للضحى، وكانت القاهرة تبدو هامدة واجمة تحت وطأة ذلك الكابوس الفرنسي الذي جثم على قلبها فجأة، وكان الناس يغدون ويروحون وهم لا يدرون من أمرهم شيئاً لليوم أو الغد، فما هي إلا ساعات من نهار حتى كانت القاهرة تغلى كالمرجل، وكان الناس يقفون فيها على قدم وساق متوثبين متحفزين لأمر له ما بعده، فقد تفرق شيوخ الأزهر وطلابه على أبواب الطرق، وتغلغلوا في الحارات والأزقة بحى الأزهر والحسينية، وراحوا يتحدثون إلى الناس بشأن هؤلاء الفرنسيين الذين استعمروا بلادهم ونهبوا أموالهم، واستباحوا حرمتهم، وأخذوا يذكرونهم بحق الدين في الجهاد والاستشهاد، وكأنها كانت الشرارة قد اندلعت في الهشيم، فإذا بالجموع تتداعى من كل ناحية، والصيحات ترتفع من كل جانب: إلى الجهاد إلى الاستشهاد، النصر للإسلام.

واتصل الخبر بالسلطات الفرنسية، فركب الضابط «ديوى» على رأس قوة كبيرة من الفرسان والجنود، ومر بشارع الغورية، وعطف على خط الصنادقية، ثم قصد إلى بيت القاضي فوجد جموعاً كبيرة من المصريين وهم يصيحون ويتوعدون، فراجع أمامهم وأراد أن يخرج من بين القصرين، ولكنهم أدركوه والتحموا به في معركة عنيفة أسفرت عن جرح «ديوى» بجراح بالغة وقتل أكثر فرسانه وجنوده، ولم يفلت القائد الفرنسي من براثنهم إلا بأعجوبة. . وأيقن أبناء القاهرة أن هذه المعركة ليست إلا بداية موقف حاسم بينهم وبين الفرنسيين، وأخذوا من وقتهم يستعدون لهذا الموقف، فربطت الجموع عند الأطراف وعلى مداخل القاهرة عند باب الفتوح وباب النصر والبرقية وباب زويلة وباب الشعرية، وأقاموا المتاريس في كل مكان مفتوح للهجوم، وأخرجوا ما عندهم من السلاح والذخيرة، وباتوا الليل ساهرين منتظرين.

وأصبح الصباح، وكانت القوات الفرنسية قد أخذت أماكنها فوق تلال البرقية والقلعة، وهى مستعدة بالعتاد الكامل، والمدافع الثقيلة، ثم أخذت تقصف القاهرة بالقنابل وركزت الضرب على حى الأزهر بصفة خاصة، وتساقطت القنابل على الدور وفوق السكان، ولم يكن دوى القنابل مألوفًا لعامة الشعب، فسار بينهم الفرع والرعب، ولكن المرابطين على المناريس وقفوا ثابتين يدافعون فى شجاعة وعناد، وأمضيت القاهرة ليلة مظلمة لم تعتادها من قبل، فكنت لا تسمع فى وسط ذلك الظلام الخائى الرهيب، إلا دوى القنابل وهى تتساقط فى كل مكان، وإلا صيحات المجاهدين والمدافعين وهى تتجاوب بالثبات والإقدام، وطال الترقب، والفريقان يتبادلان الرمى والضرب، وأرسل الفرنسيون إلى شيوخ الأزهر أكثر من مرة لعلهم يتدخلون لتهدة الثورة، ولكن المواطنين أصروا على الكفاح إلى آخر رمق من حياتهم.

واستمرت المعركة دائرة يومين وليلة وتساقط القتلى من الجانبين فى الشوارع والطرق وتهدمت الدور فى كثير من المواقع، وبقي المواطنون فى أماكنهم صامدين، يناضلون ويدافعون حتى فقدت الذخيرة منهم، فوقفوا عن الضرب والرمى، وانفتحت الأبواب أمام الفرنسيين، فأنحدروا إلى القاهرة بخيلهم ورجلهم وهم يمعنون فى الأهالى العزل قتلاً وفتكاً، وعاثوا فى حى الأزهر جميعه، ثم اقتحموا الجامع الأزهر بخيولهم واستباح أولئك الذين جاءوا يبشرون فى الشرف بمبادئ الثورة الفرنسية ذلك الحرم المقدس، فربطوا فيه خيولهم، وشربوا فيه الخمر، وعاثوا بكل ما فيه من المصاحف والكتب والخزائن فساداً وتلفاً وداسوها بنعالهم.

وأصبح الصباح فى اليوم التالى، وكانت القوات الفرنسية كلها قد تجمعت فى حى الأزهر، وفى جميع الأحياء التى عضدت الثورة، وأخذوا ينهبون الدور ويحشون عن السلاح فى كل مكان، ثم أخذوا يحشون عن الشيوخ الذين تزعموا الثورة واعتقلوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان، والشيخ أحمد الشرقاوى، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى، والشيخ يوسف المصيلحى، والشيخ إسماعيل البراوى، وحبسوهم فى بيت البكرى بعض الوقت، ثم نقلوهم إلى القلعة.

وقصد الشيخ السادات ومعه بعض كبار المشايخ بالأزهر إلى القائد الفرنسي وطلبوا منه العفو عن الشيوخ المعتقلين فأمهلهم بعض الوقت، وفي كل يوم كانوا يذهبون إليه متشفعين فيمهلهم حتى يستقر الأمن، وبعد خمس عشر يوماً انكشفت الحقيقة في صنع الاستعماريين، فقد وجدت جثث الشيوخ الخمسة وراء سور القلعة، بعد أن قتلهم الفرنسيون ومثلوا بهم أشنع تمثيل، ذلك لأنهم ارتكبوا أشنع جرم في حق أبناء المدينة الفرنسية، فطالبوا بحق أمتهم في الحرية والحياة . . .



رفاعة رافع الطهطاوى

* رفاعة رافع الطهطاوى.. ولد فى ديسمبر سنة ١٨٠١ ببلدة طهطا محافظة جرجا ويختلف المؤرخون حول يوم مولده.

* كان والده تاجراً صغيراً توفى ورفاعة فى سن الخامسة عشرة فرحل إلى القاهرة طلباً للعلم والتحق بالأزهر وقد كانت وسيلة سفره سفينة شراعية فاستغرقت الرحلة أسبوعين^(١).

* فى عام ١٨٢٤ عين واعظاً وإماماً لإحدى فرق الجيش النظامى الذى أسسه محمد على وكان قائداً لفرقة حسن المانسترلى «بك».

* سافر إلى فرنسا عام ١٨٢٦ إماماً للبعثة التعليمية المصرية بباريس وتقرر له مرتب يوزباشى.. وحضر قيام الثورة الفرنسية ضد شارل العاشر سنة ١٨٣٠.

* تأثر بالعلوم السياسية الفرنسية فترجم الدستور الفرنسى (دستور ١٨١٤) معلقاً على مواده بما يدل على فهم دستورى صحيح.

* عاد إلى مصر سنة ١٨٣١ فتولى منصب أستاذ ترجمة وتدریس اللغة الفرنسية بمدرسة الطب.

* فى عام ١٨٣٣ نقل من مدرسة الطب إلى المدفعية برتبة أميرلاى وعهد إليه بترجمة العلوم الهندسية والفنون الحربية.

* أنشأ مدرسة الألسن سنة ١٨٣٦ بسرأى الألفى بالأزبكية.

* فى عام ١٨٥١ أرسله الخديو عباس الأول إلى السودان بعد أن أغلق مدرسة الألسن بحجة توليه إدارة مدرسة أنشئت بالسودان وكان القصد إبعاده.

* عاد من السودان عام ١٨٥٤ بعد وفاة الخديو عباس وتقلب فى عدة وظائف حتى أسندت إليه سنة ١٨٥٥ وكالة المدرسة الحربية.

(١) سارت به السفينة فى النيل من الصعيد إلى القاهرة.

* أسس أول مدرسة لتعليم البنات سنة ١٨٧٣ .

* من أشهر كتبه . . «تخليص الإبريز في تلخيص باريس» .

* توفي في ٢٧ مايو سنة ١٨٧٣ . . ونشر نعيه بالوقائع المصرية جريدة الدولة الرسمية .

إن أول صحفى فى مصر^(١) بل وفى العالم العربى كله، كان أزهرياً وهو المرحوم الشيخ إسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب قال عنه: (الفيكونت فيليب دى ترازى) فى كتابه (تاريخ الصحافة العربية) عند حديثه عن البعثة العلمية التى رافقت حملة نابليون بونابرت إلى مصر أنها أحضرت معها مطبعة من باريس ثم يقول:

(وأول عمل باشرته هذه البعثة العلمية أنها نشرت ثلاث جرائد فى المطبعة المذكورة إحداها (الحوادث اليومية) كان يحررها إسماعيل بن سعد الخشاب وهى أول الصحف فى لغة الناطقين بالضاد).

ويقول عنه الجبرتى فى كتابه التاريخى المعروف: (تولع السيد إسماعيل بحفظ القرآن ثم بطلب العلم ولازم حضور السيد على المقدسى وغيره من أفاضل الوقت وأنجب فى الفقه الشافعى والمعقول وتثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض).

ولما رتب الفرنساوية ديواناً لقضايا المسلمين تعين المترجم فى كتابة تاريخ حوادث الديوان، وما يقع فيه من ذلك اليوم . . لأن القوم كان لهم مزيد الاعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق فى ملخص، يرفع فى سجلهم، بعد أن يطبعوا منه نسخاً عديدة يوزعونها فى جميع الجيش . . . حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف، فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم.

فلما رتبوا ذلك الديوان، كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس: من أمر ونهى، أو خطاب أو جواب، أو خطأ أو صواب، وقرروا له فى كل شهر سبعة آلاف ونصف فضة.

(١) مجلة الأزهر - الأستاذ محمد على غريب.

فلم يزل متقيداً في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك مينو، حتى ارتحلوا من الإقليم، ولقد جمع من سجلات الحوادث عدة كرايس ولا أدري ما فعل بها.

هذا هو إسماعيل الخشاب، أول صحفى عربى على الإطلاق، خرج من الأزهر إلى الصحافة، وكانت صحفيته صغيرة لا يقرأها إلا القليلون.

ويجئ من بعده المغفور له الشيخ (رفاعة رافع الطهطاوى) وهو المقصود بحدیثنا وصاحب أكبر فضل على النهضة العلمية والأدبية والاجتماعية في مصر، ولقد ولد عام ١٨٠١ وتوفي عام ١٨٧٣ وكانت مسقط رأسه مدينة (طهطا) في الصعيد ولقد نشأ في أسرة كانت من أهل اليسار ثم أخنى عليها الدهر فمضى والده في طلب الرزق إلى مدينة (قنا) وبعدها إلى مدينة (فرشوط).

وقد سافر إلى فرنسا ورأى حرية هناك جعلته يشعر بالطغيان الذى يعانیه أبناء وطنه مصر ورأى ما يمكن أن يقدمه الفكر الراجح من أساليب النشاط الإنسانى فى شتى مناحى الحياة، وفى فرنسا رأى الصناعة الزاخرة بالخير والنفع على الفرنسيين أجمعين فدعا إلى التصنيع فى بلاده.

ولقد دعا رفاعة الطهطاوى، المصريين إلى الحفاظ على نعمة الحرية وإعلاء شأن الفكر وإنشاء المصانع لتنافس أمتهم أرقى شعوب العالم فى الحضارة والمدنية، ولتعود إليها سيرتها الأولى فى التقدم والازدهار.

وعاد رفاعة الطهطاوى إلى مصر وكله شغلة من الوطنية المتأججة، فأشار على محمد على بأن يصدر صحيفة «الوقائع المصرية» وتولى الشيخ رفاعة رئاسة تحريرها وراح يكتب فيها المقالات التى تحت على استنهاض الهمم وبعث الشعور القومى وشحذ العزائم فى سبيل خدمة الوطن.

وهى أقدم جريدة عربية على الإطلاق إذ لم تسبقها جريدة عربية أنشأها عربى فى وطننا العربى الكبير.

وما صنعه رفاعة الطهطاوى لأمته يكسر إحصاؤه على المغرمين بالأرقام، فقد ترجم عشرات الكتب من الفرنسية إلى العربية وأودع ثمراتها عقول أولئك

المتعطين إلى العلم والمعرفة، وبارك الله فى جهوده فألف وصنف، وكانت غاية جهاده أن يرتقى بأمته إلى المكان الذى رأى فيه فرنسا.

ولقد خلف رفاعة الطهطاوى وراءه ثروة أدبية ضخمة هى طراز لما يجب أن يقوم به الرائد العظيم نذكر منها: (خلاصة الإبريز والديوان النفيس) و(التعريبات الشافية لمريد الجغرافية) و(جغرافية ملطبرون) و(قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر) و(المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين) و(التحفة المكتبية) و(مواقع الأفلاك فى أخبار تليماك) و(مباهج الألباب المصرية فى منهاج الألباب العصرية) و(مختصر معاهد التنصيص) و(المذاهب الأربعة) و(شرح لامية العرب) و(القانون المدنى الإفرنجى) و(توفيق الجليل وتوثيق بنى إسماعيل) و(هندسة ساسير) و(رسالة فى الطب) و(جمال الأجرومية) و(نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز).

وهكذا عاش رفاعة الطهطاوى حياته كلها خادماً أميناً للدين وللعلم وللمعرفة باذلاً غاية جهده فى تحريك موجات الفكر فى بحرنا الأدمى المتلاطم.

رفاعة بك الطهطاوى رائد التنوير:

هو السيد رفاعة بك بن بدوى بن على بن رافع ينتهى نسبه إلى محمد الباقى بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن فاطمة الزهراء -رضى الله عنها- ولد عام ١٨٠١م فى طهطا بمديرية جرجا فى صعيد مصر، ومما قاله عن نفسه أن أجداده كانوا أهل غنى ويسار، لكن الدهر أخنى عليهم ففتحت عيناه على الضيق والعسر، فرحلوا إلى قرية منشأة لنيدة بين قوم كرام فى بيت أبى قطنه ثم إلى قنا وحفظ كتاب الله ثم إلى فرشوط ليستهى به المقام إلى طهطا مرة أخرى لىتم فيها حفظ القرآن وكثيراً من المتون الأزهرية على يد إخوانه وكانوا من علماء الأزهر وهم الشيخ عبد الصمد وأبو الحسن وفراج الأنصارى، ثم توفى والده ورحل بعدها إلى الجامع الأزهر عام ١٢٢٣هـ وظل به ثمانى سنوات حتى صار من طبقة العلماء فى اللغة والحديث والفقه وسائر علوم الأزهر، وتلقى العلم على كبار العلماء منهم الشيخ حسن العطار المتوفى عام ١٤٥٠هـ الذى كان يعطف عليه لنجابهته وذكائه ويشاركه فى الاطلاع على كتب الغرب التى لم يتداولها أبناء الأزهر إلا نادراً.

وقد ألف لأستاذه وهو فى صحن الأزهر فى جلسة واحدة خاتمة كتاب «قطر الندى وبل الصدى» مما يدل على مهارته وهو ابن العشرين، ثم عمل بالتدريس فى الأزهر صباح مساء فى البيان والبديع والعروض والمنطق والأدب واللغة وفنون الإدارة والشريعة والقوانين الأجنبية وفنون الأدب وفى الترجمة والتأليف وعمل خطيباً وواعظاً بأمر من كبار الدولة.

جهوده العلمية والأدبية:

فى بعثة باريس استشار الوالى محمد على شيخ الأزهر حسن العطار أن ينتخب لبعثة باريس إماماً وشيخاً لها فوق اختياره على رفاة صاحب الترجمة وأوصاه شيخه بأن يسجل كل ما يقع فى رحلته فى فرنسا من أحوال وأخلاق وعادات ودونها فى كتابه المشهور «تخليص الإبريز والديوان النفيس» واتخذ له استاذاً يعلمه الفرنسية وعلومها على نفقته ومنهم «المسيو جومار» والعالم الشهير «البارون دساسى» وفى المدة ما بين «١٢٤١ - ١٢٤٦هـ» نبغ فى العلوم والمعارف الأجنبية وخاصة الترجمة فى سائر العلوم، فى مؤلفات كثيرة منها «قلائد المفاهر» وغيرها.

وبعد عودته بسنوات عين فى عام ١٢٤٩هـ بمدرسة الطب فى وظائف كثيرة - مترجم ومدرس اللغة الفرنسية ورئيساً لقسم الجغرافيا ثم انتقل إلى مدرسة «الطوبجية» عام ١٢٥١هـ فى وظيفة مترجم وكاتب مدرسة العسكرية وكانت له ترجمة فى الهندسة يقرأها على طلاب مدرسة سانسيراف بفرنسا.

ثم أسندت إليه نظارة «قلم أفرنجى» فى عهد محمد سعيد باشا ونظارة دار كتب القصر العينى التى تضم خمسة عشر ألف مجلد بالفرنسية والإيطالية كما كان رئيساً لفرقة الجغرافيا بالقصر.

ثم أسس مدرسة الألسن بعد أن عرض فكرتها على الجناب العالى ليستغنى بخريجها من أبناء الوطن عن الأجانب الدخلاء عليه وانتقى لها نخبة من أبناء مصر وكان مديراً ومشرفاً ومترجماً بها، وأعانه فى ذلك مدرس فرنسى لكثرة وظائفه.

وتولى أيضاً نظارة التجهيزية والوقائع المصرية والكتبخانة وقلم الترجمة، ومدرسة المحاسبة والفقه الشرعى والأحكام الإفرنجية، والمكتب العالى بالخانقاه، وناظر للمدرسة الابتدائية بالخرطوم.

نفيه إلى الخرطوم:

بعد وفاة إبراهيم باشا تولى الحكم من بعده عباس باشا الأول التي قامت سياسته على تدمير الجهود التي بذلها محمد علي وإبراهيم ابنه في الإصلاح الداخلى والسياسة والنهضة العلمية فى البلاد، فأغلق جميع المدارس الخصوصية ومنها مدرسة الألسن التي أسسها رفاعة وناظرها، وكانت لنقل الحضارة والثقافة الأوروبية، والتي كان يعاديهها عباس باشا وأخذ يعادى رفاعة الذي أسس هذه الحضارة والثقافة فهو حامل لواءها، ولذلك نفاه إلى السودان وخاصة بعد طباعة كتابه «تخليص الإبريز» للمرة الثانية عام ١٢٦٥هـ فى عهده وكان الكتاب يتضمن مبادئ لا ترغب فى الحاكم المستبد، الذي كان الاستبداد من طبع عباس الأول وخاصة بعد أن زين له حساد رفاعة ذلك وأسند إليه نظارة مدرسة الخرطوم.

قياس رفاعة أعاده إلى مصر:

ومن باب المصادفات الطريفة تلك القصة التي وقعت بينه وبين كبار المصريين فى السودان فى شهر شوال سنة ١٢٧٠هـ حين أعد حكمدار السودان وليمة لهم فى سفينة بمياه النيل تجاه الخرطوم ودعا إليها سفراء الدول وبينهم رفاعة بك بينما هم يمرحون ويسمرون فاجأهم رفاعة بأن عباس قتل فاضطرب الجميع وتفرقوا ولما عاد إلى مدرسة الخرطوم سأل زملأؤه عن سبب عودته فأخبرهم بأن عباس قتل، وذكر لهم سبب ذلك فذكر لهم قياساً فقال لهم فى ترجمة «تليماك» أنه انضم إلى الملوك المتعاهدة لمحاربة ملك الدونية فيعدم بيد تليماك لارتكابه كل الأمور التي ارتكب مثلها عباس الأول فكان جزاؤه هو كذلك القتل، فقالوا ألم تكفك الغربية، فادعيت هذا القياس الخرافى مما يترتب عليه إبعادنا عن الخرطوم.

وفى اليوم التالى لهذه القصة استدعى الحكمدار رفاعة ليزف إليه بشرى سعيد باشا أمر بإعادته هو ومن معه إلى مصر وأعطاه هدية من الذهب ليسلمها إلى الوالى الجديد سعيد باشا.

آثار رفاعة في السودان:

مكث في السودان أربع سنوات شعر فيها بحرارة الحزن والألم لبعده عن أولاده وهو يتذوق علقم الظلم والجور ولجزعه على علم من أعلام النهضة هو «محمد بيومي» أستاذ الرياضيات في مصر ورئيس أحد أقسام الترجمة وقد حبه في باريس وفي السودان الذي مات بها، وفقد نصف صحبه أيضاً هناك.

ونشر علمه وثقافته في السودان وأدار المدرسة وتخرج على يديه أعلام في السودان، ونظم شعراً كثيراً واشتغل بالترجمة ومنها قصة تليماك الرائعة.

وبعد عودته من السودان:

وبعد عودته اشتغل عضواً ومترجماً في مجلس المحافظة تحت أدهم باشا ثم تولى نظارة مدرسة الحربية بالحوض أولاً ثم بالقلعة ثانياً، ثم أحيلت إليه نظارة قلم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية والتفتيش والعمارة ولما ألغيت مدرسة الحربية وقلم الترجمة كان عضواً بقومسيون المدارس مع الإشراف على صحيفة «روضة المدارس» وظل بها حتى توفي في ربيع الآخر ١٢٩٠هـ.

أثره في النهضة ومؤلفاته:

١- كان مؤلفاً ومترجماً ومعلماً ورائداً نقل إلى مصر علوم أوروبا وآدابها وفنونها ومختلف ثقافاتنا ونظم رقيها ومجدها وتقدمها.

٢- صنع على عينه تلامذة له أذكاء وأفذاذ نهجوا نهجه وسلكوا طريقه وعملوا على نهضة البلاد، ومنهم أبو عبد الله أبو السعود وأحمد حسن الرشيدى، وإبراهيم النبراوى ومحمد بيومي وغيرهم.

٣- كان أول مترجم مصرى في النهضة الحديثة وأشرف على قلم الترجمة الذي كان يضم خمسين مترجماً ليوجههم ويرشدهم وقد تولى رئاستها بعد رجل شامى يدعى عنجورى شهد له بالأحقية والنظارة والجدارة والسبق.

٤- أنشأ أول صحيفة في مصر وهى صحيفة «روضة المدارس».

٥- وقوفه على التواريخ القديمة والحديثة والانساب ونشر العلوم والمعارف.

٦- طبعه كثيراً من الكتب العربية على نفقة الحكومة مثل تفسير الرازي ومعاهد التنصيص وخزانة الأدب ومقامات الحريري وغيرها.

وكان من مؤلفاته الكثيرة:

- ١- تخلص الإبريز والديوان النفيس.
- ٢- قلائد المفاخر فى غرائب الأوائل والأواخر.
- ٣- المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين.
- ٤- التحفة المكتبية فى النحو.
- ٥- مواقع الأفلاك فى أخبار تليماك.
- ٦- مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية.
- ٧- بداية القدماء وهداية الحكماء.
- ٨- التعريبات الشافية لمريد الجغرافية.
- ٩- أنوار توفيق الجليل وتوثيق بنى إسماعيل، وغيرها فيما يزيد على أربعين كتاباً ورسالة وبحثاً.

شعره ونثره الفنى:

قد زينوا بالحسن والإحسان	هذا لعمري أن فيها سادة
فإليك أن الشاهد السنان	يا أيها الخافى عليك فخارها
وقطوفها لفائزين دوانى	ولئن حلفت بأن مصر لجنة
لأبر كل البر فى إيمانى	والنيل كوثرها الشهى شرابه
بعزيزها جدى بنى عثمان	دار يحق لها التفاخى سما

ومن نثره فى تلخيص الإبريز:

كان نثره متحرراً نوعاً من السجع والتكلف، وكذلك فإن شعره كذلك يقول
يتغنى بمحاسن مصر فى نثره الفتى:

«فلما اشتد الأمر وعلم الملك بذلك وهو خارج، أمر أن يجعل المدينة محاصرة حكماً، وجعل قائد العسكر أميراً من أعداء فرنساوية مشهوراً عندهم بالخيانة لمذهب الحرية مع أن هذا خلاف الكياسة والسياسة والرياسة، فقد دلهم هذا أن الملك ليس جليل الرأي... إلخ»^(١).

(١) صوت الأزهري: د. على صبح ٢٠/١٢/٢٠٠٢ م.



رفاعة الطهطاوى

صورة عن الإمام الشيخ محمد عبده^(١)



نسبه ومولده ونشأته:

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله، من أسرة مصرية ريفية متوسطة الثراء، في قرية من إقليم البحيرة بشمال مصر تسمى محلة نصر، وكان أبوه يشتغل بالزراعة شأنه شأن سكان الريف جميعاً. وولد له ابنه محمد في عام ١٢٦٦هـ. ونشأ في أول الأمر مدلاً ثائراً على وضعه الاجتماعي، فأبى أن يشارك أباه في

عمله، وعزف عن التعليم في كتاب القرية على عادة أمثاله ولداته، وظل كذلك حتى بلغ العاشرة من عمره، واشتد القلق بوالده فأحضر له فقيهاً لازمه حتى حفظ القرآن الكريم. وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم أرسل به إلى طنطا فوجد القرآن وأحسن تلاوته، ثم ألحقه بمعهدا الديني. وقد بلغ عمره خمسة عشر عاماً، ولكن محمداً لم يفتح قلبه لطرق الدراسة حينذاك، ففر من معهده مراراً، وأبوه يحاوله ويعالجه، وهو يلج في العناد والإباء. وأخيراً نزل ضيقاً على خال لآبيه في إحدى القرى المجاورة لبلدته، وكان عالماً ذكياً استطاع أن ينفذ إلى قلبه، وأن يحبب إليه العلم والدراسة، فلحقه تفسير القرآن. وقرأ عليه عدة كتب في الحديث من أشهرها موطأ الإمام مالك، ثم عاد بعد ذلك إلى معهده فأنتم الدراسة فيه، وانتقل إلى الأزهر في عام ١٢٨٢هـ ورأى أن يتنقل من مذهب مالك إلى مذهب أبي حنيفة لأنه المذهب الرسمي للحكومة وعليه القضاء والفتيا، وظل ينازع نفسه، ويغالب السأم والملل من الدراسات المعقدة والأساليب الملتوية، حتى حصل على شهادة العالمية في عام ١٢٩٤هـ، وقد انتزعها انتزاعاً بعد معارضة بعض العلماء في منحه إياها لجرأته وصراحته، ووزارته بنظم الأزهر وطريقة التدريس فيه في ذلك الوقت، واصطدامه ببعض شيوخه ومخالفتهم في كثير من الآراء والعقائد.

(١) هذه إضافات جديدة تكمل ما سبق عن الشيخ محمد عبده مع الحرص على أمانة التحقيق بأن يظل ما نشر في الطبعين الأولى والثانية كما هو دون إضافة أو حذف أو تغيير.

ثقافته وأساتذته:

كان الإمام ذكياً ألعياً يتمتع بذهن متوقد، وفكر ثاقب، ونفس طلعة متحررة، لا تحب القيود، ولا تخضع لما تواضع عليه الناس، فمال إلى التزود بجميع أنواع الثقافات، وفتن بالعلوم العقلية واللسانية والأدبية، واستقى الدين من منابعه الأولى، ضارباً صفحاً عما ابتدعه العلماء من مذاهب وعقائد، وما أدخلوه في الدين من بدع وأساطير وخرافات.

اقتنع الشيخ بانحراف العلماء عن سنة السلف، ومال إلى الدراسة الاستقلالية الحرة، وشغف بالتاريخ والمنطق والفلسفة الإسلامية، والرياضة والفلك، وتلمس السبل لفهم ما استعصى عليه، فاتصل وهو طالب بعالم فحل اسمه الشيخ حسن الطويل، ولازمه وأفاد منه، ووجد عنده ما افتقده عند غيره من العلماء فلم يظفر به، واتصل كذلك بجمال الدين الأفغاني منذ وفد على مصر وأخذ عنه الأدب والتوحيد والمنطق وأصول الفقه والفلسفة وغير ذلك من العلوم - كما أخذ عنه آراءه في السياسة والاجتماع، وثورته على ظلم الحكام واستبداد الولاة، ودعوته إلى نظام شورى إسلامى يقضى على المطامع والنفعية والاستغلال.

بيئته وأثرها فى حياته:

نشأ الشيخ فى عصر يموج بالأحداث والأعاصير، وتتوالى فيه الكوارث السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فقد كبل إسماعيل البلاد بأغلال الدين، ومكن للأجانب من التدخل فى شئونها، والإشراف على مواردها ومنحهم امتيازات سيطروا بها على الوطنيين وانتشروا فى المدن والقرى يبيعون الخمر والسموم، ويتعاملون بالربا، وتسقط الثروات فى أيديهم كما تسقط أوراق الشجر إذا أدركه الخريف، ثم كان عهد توفيق وقيام الثورة العربية، واستعانة هذا الحاكم الخائن بالإنجليز ليحتلوا البلاد وينكلوا بقادتها وزعمائها، ويلقوا بهم فى السجون والمعتقلات، ويقذفوا ببعضهم إلى خارج البلاد ليذوقوا مرارة النفى وألم البعاد والتشريد، وكان للشيخ دور بارز فى مقاومة البغى والعدوان، وجاهد بقلمه ولسانه فى صفوف الثورة، وأفتى بخلع الخديو فحكم عليه بالنفى، وقضى عدة سنوات بسوريا وفرنسا وتونس، ولقى من الشدائد والأهوال ما الله به عليم.

ولكن الإمام أفاد من هذا الكفاح، واكتسب خبرة بشئون الحياة لم تنتهياً لغيره من القادة والزعماء، ولم يكف عن أداء رسالته الدينية والوطنية، فتولى التدريس بسوريا وتونس، واشترك مع جمال الدين الأفغانى فى إنشاء صحيفة العروة الوثقى بفرنسا، وعاد من النفى أمر عودا وأصلب مكسراً، وكانت له بعد ذلك جولات وصولات.

تقلبه فى مناصب الدولة:

تولى الشيخ عقب تخرجه فى الأزهر دراسة التاريخ الإسلامى بدار العلوم، ودراسة اللغة العربية بمدرسة الألسن، ثم عزلته الحكومة من عمله مخافة انتشار آرائه وأفكاره بين التلاميذ، وقوة تأثيره فى الأوساط الوطنية والشعبية، ثم اختير بعد ذلك لرياسة تحرير الوقائع المصرية، وبعد عودته من النفى أبعد عن التدريس، وعين قاضياً بالمحاكم الأهلية، وعضواً فى مجلس الأزهر الأعلى، ثم اختير لمنصب الإفتاء وعضوية مجلس الأوقاف الأعلى، كما كان عضواً بمجلس الشورى، ورأس جمعية إحياء العلوم العربية التى أسست سنة ١٣١٨هـ، وإليه يرجع الفضل فى نشاط هذه الجمعية وإحياء كثير من كتب الأدب والدين وغيرهما.

وطنيته ودعوته للحرية السياسية والفكرية:

عاش الشيخ طول حياته مجاهداً مكافحاً، داعياً للتحرر الوطنى، وإرساء قواعد الحكم الشورى، ومقاومة المحتلين وأذئابهم، وعمل على نشر الوعى القومى فى نفوس النشء، وتحرير الفكر العربى من شوائب الجهالة، وتكوين مجتمع إسلامى يتعاون أبنائه لإقامة وحدة تعمل على ترقية شئونهم السياسية والاجتماعية، وقد ألهم عواطف الوطنيين بقلمه ولسانه، وبث بذور الثورة على الطغيان التركى، وفساد أداة الحكم فى مصر. ولو أن العرايين استمعوا لنصحه، وترثوا قليلاً حتى يستكملوا عدتهم وعتادهم لبلغت الثورة هدفها، وآل حكم البلاد إلى بنيتها، ونجت مصر من الاحتلال الإنجليزى الذى جثم على صدرها طويلاً.

إصلاحاته وآراؤه والصراع بينه وبين علماء عصره:

كان الشيخ يرى أن إصلاح المجتمع الإسلامى يجب أن ينبع من الأزهر، وأن يكون علماء الدين هم رسل النهضة وقادة الإصلاح، ولكى يقوم الأزهر برسالته

لا بد له من الخروج عن عزلته وجموده، وأن يوثق صلته بالشعب، ويجدد في نظمه وطرق التدريس فيه، ويظهر الدين من الشوائب والخرافات، وأن يعيد النظر في الآراء الاجتهادية التي أثبت العلم بطلانها، ويعالج المشاكل التي نبتت في العصور الحديثة وبين حكم الدين فيها، وأن يعنى بالتقويم الخلقى ومحاربة البدع والضلالات، والرد على ما أثاره خصوم الإسلام من شبه تتناول أصوله وفروعه، وأن يعد أبنائه للاضطلاع بوظائف الدولة، وتولى شئون القضاء والتدريس على النظم الحديثة.

وقد وضع رحمه الله نظامًا لإصلاح المحاكم الشرعية، ومشروعًا لإصلاح الأزهر في النواحي الإدارية والعلمية، وأراد أن يجدد في منهج التدريس بطريقة عملية بارعة حببت إلى الناس طلب العلم، وغشى حلقاته كثير من الأزهريين وغيرهم، كما درس التفسير والمنطق والحكمة والفلسفة وعلم الكلام بأسلوب بليغ وعبارات جيزة فياضة. وقوة في الدليل والترجيح بين الآراء، ونفى ما يثبت بطلانه وعدم جدواه.

وقد ثار بعض المستزمين من الأزهريين والمتصوفة على الشيخ ورموه بالإلحاد والزندقة، والخروج عما تواضع عليه العلماء والمؤلفون. وأقاموا من حوله سياجًا من الشك والشبهات، ولجوا في معارضته والطعن عليه، وهو صابر محتسب، يقابل أذاهم بالتسامح، ومعارضتهم بالحجج الدامغة والبراهين الواضحة. وإلى هذا يشير حافظ إبراهيم في رثاءه للإمام إذ يقول:

وأذكوك في دين الإله وأنكروا	مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى في جانب الله لذة	ورحت ولم تهتم لهم بشكاة
لقد كنت فيهم كوكبًا في غياهب	ومعرفة في أنفس نكرات
أبنت لنا التنزيل حكما وحكمة	وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجا	فأطلعت نوراً في ثلاث جهات
وقفت لهانوتو ورينان وقفه	أمدك فيها الروح بالنفحات

ولما كان غضب بعض الأزهرين عليه لأنه كشف عن جهلهم وعجزهم عن أداء رسالة الدين والعلم - كما كان غضب الصوفية عليه لأنه سقّ طرقيهم وأوضح دجلهم وتضليلهم لعقول الناس، حتى أحالوا الدين إلى خرافات وأوهام لا تتصل به من قريب أو بعيد.

ويعد الأستاذ الإمام مجدد الأدب النثرى فى العصر الحديث. ومحرره من القيود التى أثقلتة وجنت عليه فى العصور الوسطى. جدد الشيخ فى أسلوب النثر، وفى معانيه وموضوعاته، وامتازت كتاباته بالوضوح وحسن الترتيب وسلامة التراكيب، والبراءة من الغريب والحشو والتوعر.

والتأمل فى أدبه يراه قد تنقل فى أطوار عدة، فقد كان أول أمره يميل إلى السجع والتكلف والصنعة، وبعض المحسنات البديعية والمصطلحات العلمية. ويستعمل ألفاظاً دخيلة من اللغات الأوروبية أو التركية، ثم أخذ يتحلل من قيود الصنعة شيئاً فشيئاً بعد تضلعه فى الأدب العربى، والإكثار من قراءة الكتب القديمة، ثم سما وعذب ورق بعد دراسته اللغة الفرنسية والآداب الأوروبية الحديثة - وقد شاعت طريقته بين المتأدبين فى هذا العصر فترسموا خطاه وساروا على نهجه.

مؤلفاته العلمية والأدبية:

لم تدع الأحداث السياسية والحركات الإصلاحية لدى الأستاذ الإمام متسعاً من الوقت للإنتاج والتأليف، ولكنه استرق من وقته فترات ألف فيها رسالة التوحيد وتفسير جزء عم، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، وشرح نهج البلاغة، ومقامات البديع، وهو فى جميع هذه الكتب محقق، واسع الأفق، عميق الفكرة، واضح الحجة، فخم العبارة، قوى الأسلوب.

ولم يعن الإمام بفرض الشعر مع كثرة حفظه له، واستشهاده به، ولم يسمع عنه سوى أبيات نسبت إليه، وزعم بعض المتصلين به أنه قالها وهو يستقبل الموت، وهى:

ولست أبالى أن يقال محمد أبلّ أو اكتنظت عليه المآثم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضى عليه العمائم

فيا رب إن قدرت رجعى قريبة إلى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضيء النهج والليل قاتم
وإنما كانت عنايته منصرفة إلى النثر في جميع فنونه وأغراضه، وهذه نماذج منه:
١- كتب في رسالة إخوانية إلى بعض أصدقائه، وفيها سجع متخير مقبول، قال:

تناولت كتابك ولم يذكر منى ناسباً، ولم ينبه لذكرك لاهياً، فإني من يوم
عرفتك لم يغب عني مثالك ولا تزال تتمثل لي خلالك، ولو كشف لك من
نفسك ما كشف لنا منها لفتنت بها، ولحق لك أن تتيه على الناس أجمعين،
ولكن ستر الله عنك منها خير ما أودع لك فيها لتزينها بالتواضع، وتجميلها
بالوداعة، ولتسعى إلى ما لم يبلغه ساع، فتكون قدوة في علو الهمة، وبذل ما
يعز على النفس من نفع الأمة، زادك الله من نعمه، وأوسع لك من فضله
وكرمه، ومتعنى بصدق ولائك، وجعلك لي عوناً على الحق الذي أدعو إليه،
ولا أحيا إلا به وله. والسلام.

٢- وكتب إلى حافظ إبراهيم حين أهده كتاب «البؤساء»، ومعه رسالة تقدير
وإطراء، فقال:

لو كان لي أن أشكرك لفن بالغت في تحسينه، أو أحمذك لرأى لك فينا أبدعت
في تزيينه، لكان لقلمي مطمع أن يدنو من الوفاء بما يوجهه حقك، ويجرى في
الشكر إلى الغاية كما يطلبه فضلك، لكنك لم تقف بعرفك عندنا، بل عممت
من حولنا، وسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا.

ررفت إلى العربية عذراء من بنات الحكمة الغربية، سحرت قومها، وملك
فيهم يومها، ولا تزال تنبه منهم خامداً، وتهز فيهم جامداً، بل لا تنفك تحيي
من قلوبهم ما أماتته القسوة، وتقوم من نفوسهم ما أعذرت فيه الأسوة، كلمة
أفاضها الله على رجل منهم فهدى إلى التقاطها رجلاً ما، فجردها من ثوبها
الغريب، وكساها حلة من نسج الأديب، وجلاها للناس، وجلاها للطالب،
بعدما أصلح من خلقها، وزان من معارفها، حتى ظهرت محبة للقلوب،
رشيقة في مؤانسة البصائر، تهش للفهم، وتبش للطف الذوق، وتسابق الفكر

إلى مواطن العلم، فلا يكاد يلحظها الوهم إلا وهى من النفس فى مكان الإلهام، فما أعجز قلمي عن الشكر لك، وما أحقك بأن ترضى من الوفاء باللقاء.

٣- وكتب إلى أحد أصحابه وهو فى السجن كتاباً يفيض بالألم، استهله بقول الشاعر:

تقلدتنى الليالى وهى مدبرة كأننى صارم فى كف منهزم

ثم قال بعد قليل:

رأيت نفس اليوم فى مهمة لا يأتى البصر على أطرافه، فى ليلة داجية غطى فيها وجه السماء بغمام سوء، فتكاثف ركاماً ركاماً، لا أرى إنساناً، ولا أسمع ناطقاً، ولا أتوهم مجيئاً، أسمع ذئاباً تعوى، وسباعاً تزار، وكلاباً تنبح، كلها يطلب فريسة واحدة، هى ذات الكاتب، ذهب ذوو السلطان فى بحور الحوادث الماضية يغوضون لطلب أصداف من الشبه، ومقذوفات من التهم، وسواقيط من اللمم، ليموهوها بمياه السفسطة، ويغشوها بأغشية من معادن القوة، ليبرزها فى معرض السطوة، ويغشوا بها أعين الناظرين.

وقال فى آخره:

آه ما أطيب هذا القلب الذى يملأ هذه الأحرف، ما أشد خطبه للولاء، وما أغيره على حقوق الأولياء، وما أثبتته على الوفاء، هذا القلب الذى يؤلمونه بأكاذيبهم، هو الذى سر قلوبهم بالترقية، وملأها فرحاً بالتقدم.

٤- ومن رسالة له إلى بعض علماء الشام حين هنأه بمنصب الإفتاء، قال:

أما قومى فأبعدهم عنى أشدهم قرباً منى، وما أبعد الإنصاف منهم، يظنون بى الظنون، بل يتربصون بى ريب المنون، تسرعاً منهم فى الأحكام، وذهاباً مع الأوهام، وولعاً بكثرة الكلام، وتلذذاً بلوك الملام، أدعو فلا يستجيبون، وأعمل فلا يهتدون، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون، وأضع أيديهم عليها فلا يحسون بل يفرون إلى حيث يهلكون، شأنهم الصياح والعويل، والصخب والتهويل، حتى إذا جاء حين العمل صدق فيهم قول القائل:

لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا وأقول: ولا في الخير.

ولأما مثلى فيهم مثل أخ جهله، أو أب عفته ذريته، أو ابن لم يحن عليه أبواه وعمومته، مع حاجة الجميع إليه، وقيام عمدهم عليه، يهدمون منافعهم بإيذائه، ولو شاءوا لاستبقوا باستبقائه، وهو يسعى ويدأب، ليطعم من يلهو ويلعب، على أنى أحمد الله على الصبر، وسعة الصدر، إذا ضاق الأمر، وقوة العزم، وثبات الحلم، إذا اشتد الظلم، وإن كنت في خوف من حلول الأجل، قبل بلوغ الأمل... الخ.

٥- ومن أمثلة كتابته العلمية قوله في أحد فصول رسالة التوحيد:

جاء القرآن فنهج بالدين منهجاً لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة، منهجاً يمكن لأهل الزمن الذي أنزل فيه ولمن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه، فلم يقصر الاستدلال على نبوة النبي ﷺ بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة، بل جعل الدليل في حال النسي مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته، ولو في مثل أقصر سورة منه، وقص علينا من صفات الله ما أذن الله لنا، أو ما أوجب علينا أن نعلم، لكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته، ولكنه أقام الدعوى وبرهن، وحكى مذاهب المخالفين وكر عليها بالحجة، وخاطب العقل، واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان على أنظار العقول، وطالبها بالإمعان فيها لتصل إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه، حتى أنه في سياق قصص أحوال السابقين. كان يقرر أن للخلق سنة لا تغير، وقاعدة لا تبدل فقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣] وصرح سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

واعترض بالدليل في باب الأدب فقال ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وتأخى العقل والدين لأول مرة في

كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة -إلا من لاثقة بعقله ولا بدينه- أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وبقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما يوحى به إليهم، وإرادته لاختصاصهم برسالاته، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، وكالتصديق بالرسالة نفسها، كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشيء قد يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل.

دفاع الشيخ عن الإسلام، وتفنيذ مزاعم المبشرين:

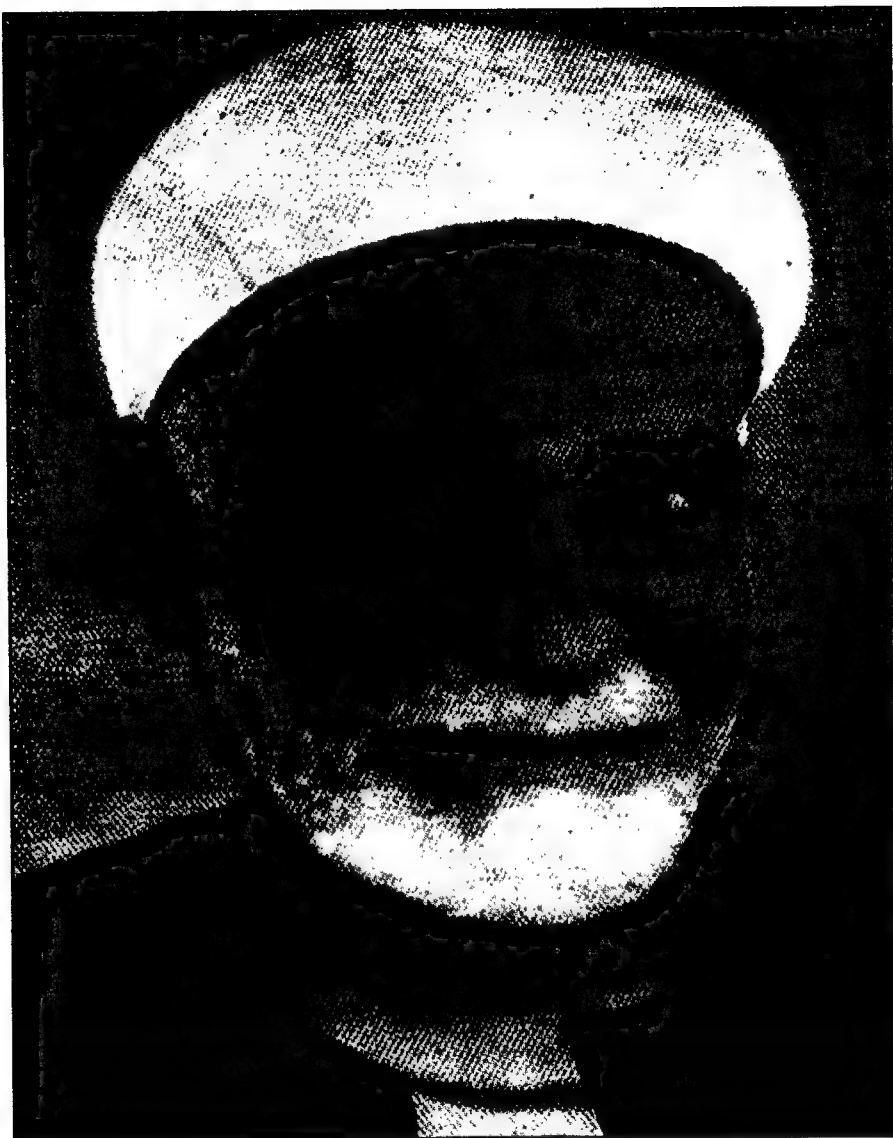
شمر الشيخ عن ساعد الجدد، وانبرى للمبشرين المسيحيين الذين تناولوا الإسلام بالطعن والتجريح، وسفها عقائد المسلمين، وحاولوا النيل من الرسول وصحبه، وشوهوا تعاليمه ومبادئه، ومن ورائهم جمعيات مزودة بالمال والمطابع والصحف، كى يزعموا يقين المسلمين فى دينهم، ويصدوا عنه من أراد الدخول فيه من غير أهله -انبرى الشيخ لهؤلاء جميعا ومن بينهم رينان وهانوتو وأضرابهما، وأخذ يفند مزاعمهم، ويبطل حججهم ويبين أكاذيبهم وخدعهم، حتى صرعهم وفضحهم فى المجال الدولى، وعرف العالم الإسلام على حقيقته، وقال بعض فلاسفتهم: (إذا كان الإسلام كما يقول الشيخ محمد عبده فأحرى بنا جميعا أن ندخل فيه، ونستظل برأيته).

كتب رحمة الله حين سخر هانوتو من تشريع الحج عند المسلمين، وكتب بعض الكاتين مقالة يرد بها عليه ورأى الأستاذ الإمام أنها تحتاج إلى دعم وتوضيح فكتب يقول:

يكتب بعض أرباب الأقلام من المسلمين فى حكمة الحج، ويقول: إنه صلة بين المسلمين فى جميع أقطار الأرض، ومن أفضل الوسائل للتعاون بينهم، فعليهم أن يستفيدوا منه وهو كلام حق، لكن لا ينبغى أن يفهم على غير وجهه، فإن الغرض منه أن يذكر المسلمون ما بينهم من جامعة الدين، حتى يستعين بعضهم ببعض على إصلاح ما فسد من عقائدهم، أو أضل من أعمالهم، وفى مدافعة ما ينزل بهم من قحط أو ظلم أو بلاء، وهو معهود عند جميع الأمم التى تدين بدين واحد، خصوصا عند الأوربيين.

وكتب إلى الفيلسوف تولستوى حين حرّمته الكنيسة لدعوته إلى التوحيد:
أيها الحكيم، لم نحظ بمعرفة شخصك، ولكننا لم نحرم التعارف مع روحك،
لقد سطع علينا نور من أفكارك، وأشرق في أفقنا شمس من آرائك، ألقت بين
نفوس العقلاء ونفسك، ونظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد، ووصلت
بها إلى حقيقة التوحيد، ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هداك إليه الله.
وحقا لقد كان الشيخ محمد عبده عالماً فذاً، ومصلحاً قديراً، ومجاهداً إسلامياً
عظيماً، وقد عاش مسلماً صادقاً، ومات وهو في صفوف المجاهدين المؤمنين -وقد
توفي رحمه الله في عام ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م ولا يزال المصلحون يترسمون خطاه
إلى اليوم.





الشيخ الإمام مصطفى عبد الرازق

الشيخ مصطفى عبد الرزاق

١٨٨٥ - ١٥ فبراير ١٩٤٧^(١)

ولد رحمه الله عام ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٥ م بأبى جرج من أعمال مديرية المنيا، وهو الابن الثانى من أولاد المرحوم حسن عبد الرزاق (باشا)، وبعد أن أتم تعليمه الأولى حفظ القرآن الكريم وجوّدته، ثم التحق لطلب العلم بالأزهر الشريف، وتخرج فى سنة ١٩٠٦، وحصل على شهادة العالمية من الدرجة الأولى بين زملائه الشافعية، وعين للتدريس فى مدرسة القضاء الشرعى، وفى سنة ١٩٠٩ سافر إلى فرنسا والتحق بجامعة السربون ليضم إلى ثقافة الشرق ثقافة الغرب، وندبه مسيو لابيير لتدريس بعض المباحث الإسلامية بجامعة ليون، ثم عاد من فرنسا فى أوائل الحرب الكبرى، وعين سكرتيراً لمجلس الأزهر، وكان ذلك فى سنة ١٩١٦، وفى سنة ١٩٢١ عين مفتشاً فى المحاكم الشرعية، ثم عين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وظل فى كرسى الأستاذية، حتى اختير فى سنة ١٩٣٨ وزيراً للأوقاف فى وزارة محمد محمود (باشا) الثانية، اختير عدة مرات فى وزارات مختلفة لتولى هذا المنصب، حتى انتقل المغفور له الشيخ المراغى شيخ الأزهر إلى جوار ربه، فاختير لهذا المنصب وهو وزير للأوقاف، وصدر الأمر بتعيينه شيخاً للأزهر فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٥، واختير أميراً للحج فى العام الذى توفى فيه، فكان خير مبعوث لمصر بين أبناء البلاد الإسلامية عند البيت الحرام، وتوفى فى ١٥ فبراير سنة ١٩٤٧، ويقول عنه محمد فريد وجدى:

«كان الأستاذ الأكبر بشخصيته الممتازة، وسعة أفقه الثقافى، خير من يدرك آثار هذا العهد فى حياة الأمم، وأصلح من يوكل إليه أمر التوفيق بينهما لمصلحة الدين والدنيا معاً، فلا غرو إن ساور الهلع كل نفس تنتظر عهد الاستقرار والهدوء والتقدم، لم أر فيمن قابلت من القادة والأعلىين أكرم خلقاً فى غير استكانة، ولا أهدأ نفساً فى غير وهن، ولا أكثر بشاشة فى غير رخوة، من الشيخ مصطفى عبد الرزاق، وكل ذلك إلى حزم لا يعتوره لوث، واحتياط لا يشوبه تنطع، وأناة لا

(١) هذه إضافات لما سبق حرصاً على أمانة التحقيق أن يبقى الأصل دون تغيير.

يفسدها فتور، وإدمان على العمل ينسى معها نفسه، وهى صفات كبار القادة، وعليه المصلحين، ممن خلقوا لمعالجة الشئون المعقدة، وحسم المنازعات الشائكة، والتوفيق بين المطالب المتنافرة، وهذه مواقف كما تقتضى مضاء العزيمة، تحتاج إلى هودة الأناة، وكما تستدعى سرعة البت، لا بد لها من القدرة على إزالة الحوائل، وقديماً قالوا: رب عجلة أورث ريثاً، ورب إقدام جر إلى نكوص، فكان بما حباه بارئه من هذه المواهب النادرة، كفاء المهمة التى وفق المسئولون فى إسنادها إليه، وكنت لا أشك فى أنه بما جبل عليه من حب الإصلاح، وما اتصف به من الصفات التى سردناها آنفاً، سيصل إلى حل مشكلة الأزهر حلاً حاسماً، يعيش تحت نظامه أمناً شر العوادي، وفى منجاة من عوامل القلق والاضطراب، ذلك أنه بما تضلع من إلمام بنظم الجامعات، وما حصل من علم بمقوماتها وحاجاتها، لتمضيته فى صميمها سنين طوالاً من حياته طالباً ومدرساً، يعرف من أسرار حياتها وبقائها وبواعث عللها وأغراضها، ما لا يعلمه إلا الأقلون، والأزهر لا يخرج عن جامعة قديمة فى دور انتقال، تتفاعل لتناسب والعهد الذى تعيش فيه، فهى فى حاجة إلى أن تحصل على المقومات التى تؤتيها بهذا التناسب، وهو لا ينحصر فى زيادة ميزانيتها، ولا فى تهذيب برامج دراستها، ولكنه يتعداهما إلى ما هو إيجاد المجال الحيوى لخريجها، وهو أمر لا يستطيع حله إلا بعد تمهيد الطريق إليه، ورفع العقبات دونه. والشيخ الراحل لما اتصف به فى بعد النظر، وتخير الظروف، كان أجدر الناس بإصابة هذا الغرض البعيد، ولكن الله أثر له الدار الآخرة، فكان ما أراد، وترك الأمر لمن يخلفه، والله فى ذلك حكمة، وهو يتولى الصالحين.

ومما هو جدير بالذكر أن جميع مدرسى الفلسفة فى عهدنا الحاضر بجامعة القاهرة والإسكندرية من تلاميذه، لم تنقطع صلتهم به، وقد أسندت إليه وزارة الأوقاف مرتين، ولما توفى الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى، وعز وجود من يملأ مكانه، أسندت المشيخة إليه فى ٢٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٥، ومن مؤلفاته العديدة.

١- ترجمة فرنسية لرسالة التوحيد تأليف الشيخ محمد عبده، وضعها بالاشتراك مع الأستاذ ميشيل، وحلاها هو بمقدمة طويلة.

٢- رسائل صغيرة بالفرنسية عن المرحوم الأثرى الكبير بهجت بك، وعن معنى الإسلام ومعنى الدين فى الإسلام.

- ٣- كتاب التمهيد لتاريخ الفلسفة.
- ٤- فيلسوف العرب والمعلم الثانى.
- ٥- الدين والوحى فى الإسلام.
- ٦- الإمام الشافعى.
- ٧- الإمام محمد عبده، وهو مجموعة محاضرات ألقى فى الجامعة الشعبية سنة ١٩١٩، وكلها مؤلفات تعتبر غاية فى الإفادة.
- وله كتب لم تنشر، منها: مؤلف كبير فى المنطق، وكتاب فى التصوف، وفصول فى الأدب تقع فى مجلدين كبيرين، وكان رئيساً لمجلس إدارة الجمعية الخيرية، التى كان والده من مؤسسيها، وكان عضواً فى مجمع اللغة العربية، والمجمع العالمى المصرى.
- وفى ٢٧ مارس عام ١٩٤٧ أقيمت حفلة لتأبينه فى جامعة القاهرة، ألقى فيها لطفى السيد، وعبد العزيز فهمى، والدكتور حسين هيكل، ومنصور فهمى، وإبراهيم دسوقي أباطة، وطه حسين، وأمين الخولى، والعقاد وغيرهم كلمات وقصائد فى الإشادة بمناقبه.
- ومن كلمات الشيخ كلمة ألقاها بمناسبة اختياره رئيساً فخرياً لجمعيات المحافظة على القرآن الكريم بعد وفاة الشيخ المراغى، قال فيها: القرآن مصقلة القلوب كما ورد فى الحديث، وما أحوج قلوبنا إلى ما يصقلها، ويجلو منها الصدا، والقرآن من بعد هذا ثقاف للألسن، يقوم عوجها، ويصلح عجمتها، ويغذى من البلاغة مادتها، فمن عملى على تنشئة أطفالنا على حفظ القرآن وترتيله ومدارسته، فإنما يصلح القلوب، ويقوم الأخلاق، ويخدم العربية، وما أشرف ذلك مقصداً وأعظمه نفعاً! ويتقاضانا الوفاء بمناسبة أول احتفال سنوى بعد وفاة الرئيس الفخرى السابق رضى الله عنه أن نذكر مآثره الباقيات فى خدمة القرآن الكريم: كان رحمه الله مسلماً صادقاً، وكان يحب القرآن حباً جمّاً، وقد عنى فى أكثر دروسه الدينية بالتفسير فى أسلوب يلائم جلال كتاب الله، ويوطد أسباب فهمه لأذواق الأجيال الحاضرة، كما كان يصنع من قبل أستاذنا الإمام «الشيخ محمد

عبد، ووجه الأزهر إلى العناية بالدراسات العالمية لعلوم القرآن، وقد أنشأ معهد القراءات والتجويد، والمرجو أن يتابع الأزهر السير في هذه السبيل، فيقوى معهد القراءات ويكمله، وينشئ إلى جانبه دراسات عالية للحديث وعلومه، حتى يستوفى الأزهر جميع الوسائل التي تعده لأن يكون كعبة المسلمين في كل ما يتصل بالقرآن والحديث... وفي مجلة الأزهر دراسة عن الشيخ مصطفى عبد الرازق الشاعر^(١).



(١) عدد شعبان ١٣٧٠.

أزهرى يرد على إسماعيل باشا

نشبت الحرب بين مصر والحبشة فى عصر الخديو إسماعيل . . وعلى غير ما كان يتوقع الخديو توالى الهزائم على مصر وتواردت الأخبار كل يوم من ميادين المعارك تحمل إليه مزيداً من الأسى واليأس . . والخلاف والخلاف الذى يدب بين قواده!!

وضاق صدر الخديو يوماً بما يتلقاه من أنباء سيئة فاستدعى شريف باشا وركب معه محاولاً أن يرفه عن نفسه . . وفجأة التفت الخديو إلى شريف باشا وقال له:

- ماذا تصنع حينما تلم بك ملمة تريد أن تدفعها؟!

قال شريف باشا:

- يا أفندينا إن الله عودنى إذا حاق بى شئ من هذا أن ألجأ إلى صحيح البخارى يقرأه لى علماء أطهار الأنفاس فيفرج الله عنى!

انزاح الهم عن صدر الخديو واتسعت الابتسامة على وجهه . . فإذا كان الأمر كما يقول شريف باشا فبمقدوره أن يحول الهزائم إلى انتصارات دون أن يكلف خزانته شيئاً!!

عاد الخديو إلى قصره وأرسل فى استدعاء الشيخ العروسى شيخ الأزهر وقتئذ وطلب منه أن يجمع له جمعاً من العلماء الصالحين ليقوموا بتلاوة البخارى أمام القبلة القديمة فى الجامع الأزهر بنية دفع الهزيمة عن مصر!

نفذ الشيخ العروسى أمر الخديو وجلس جمع العلماء، المختارين بعناية . . أمام القبلة يتلون البخارى آناء الليل والنهار، ولكن دون جدوى . . فالهزائم لم تتوقف ساعة واحدة . . وأخبارها تتوالى دون انقطاع!!

واستبد الغضب بالخديو فصحب شريف باشا إلى العلماء . . وقال لهم.

- إما أن هذا الذى تقرأونه ليس صحيح البخارى، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئاً؟!

وجميع العلماء لم يجد أحدهم جواباً.. ووسط الصمت الرهيب الذى ساد المكان ارتفع صوت شيخ من آخر الصف موجهًا حديثه للخديو.

- منك يا إسماعيل.. . فإننا روينا عن النبى ﷺ أنه قال: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»!
ركب الفزع وجوه المشايخ لهذه الجراءة من صاحبهم وتوقعوا عقاباً صارماً يشملهم جميعاً.. إلا أن الخديو لم ينبس بكلمة وسارع بالانصراف هو وشريف باشا!

التف العلماء حول صاحبهم وأخذوا فى تأنيبه ولومه.. . وبينما هم كذلك أقبل شريف باشا يسأل عن الشيخ الذى رد على الخديو.. . ثم صاحبه معه وزملاؤه يودعون وداع الذهاب إلى حتفه.

دخل شريف باشا ومعه الشيخ على الخديو فى قصره فطلب من الشيخ أن يجلس على كرسى بجواره وقال له: أعد يا أستاذ ما قلت لى فى الأزهر، فأعاد العالم قوله وشرح للخديو حديث الرسول الكريم.. . فقال الخديو:

- وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟

قال الشيخ:

- يا أفندينا أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يبيح الربا؟ أليس الفجور برخصة، أليس الخمر مباحة.

وأخذ يعدد للخديو أنواع المنكرات التى تجرى دون أن ينكرها أحد.. . ثم قال:

فكيف تنتظر النصر من السماء؟!

قال الخديو:

- وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه مدينتهم؟!

- إذن فما ذنب البخارى وما حيلة العلماء؟!

قال الشيخ:

سكت الخديو وأطرق طويلاً.. . ثم قال له:

- صدقت.. صدقت.. عاد الشيخ إلى زملائه بعد أن يتسوا من لقاءه في الدنيا، وقد رتب له الخديو مبلغاً كبيراً يتقاضاه كل شهر!!!
وانتهت قصة الشيخ الذي حقق قول رسول الله: «لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه».
أما التاريخ فلم ينته.. إنه ماضٍ في طريقه يضع بصمته على مصير الشعوب!!



مفتى.. قبرص

عاش طالباً في الأزهر منذ سنوات وعاد هذا الشهر إلى القاهرة يحمل لقب مفتى قبرص.. خامس مفتى للأتراك رشح لمنصبه بالانتخاب في الجزيرة الاستراتيجية في البحر الأبيض المتوسط.. عاد يحمل لقب دكتور في الشريعة الإسلامية من جامعة أنقرة.. دكتور مصطفى رفعت ٤٣ سنة، أحد الوجوه التي اشترك لأول مرة في القاهرة في المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر.

«بدأ التاريخ الإسلامي في قبرص أيام الخليفة عثمان بن عفان عندما أرسل معاوية إلى الشام في حملة استولت على جزيرة قبرص عام ٢٨هـ. وكانت الحملة تضم السيدة أم حرم بنت ملحان خالة النبي في الرضاعة والتي كان النبي يجلبها كثيراً ويعتبرها كأمه وكمرضعة أولى في الإسلام كما جاء في الحديث النبوي الشريف وعندما تقدم الجيش الإسلامي الذي فتح الجزيرة من سواحلها الجنوبية سقطت بنت ملحان من فوق فرسها وماتت على الفور ودفنت في المكان الذي توفيت فيه وأصبح ضريحها هذا منذ ذلك التاريخ البعيد مكاناً مقدساً يحج إليه المسلمون ويتبركون به ثم جلب معاوية إلى الجزيرة ١٢ ألفاً من المسلمين وأسكنهم فيها وأنشأ مدناً إسلامية مختلفة في الجزيرة وبعد الأمويين جاء العباسيون والفاطيون والأيوبيون إلى أن جاءت دولة المماليك حيث فتحوا الجزيرة وأسروا ملكها وأخذوه معهم إلى مصر وبعد مدة أعادوه ملكاً على الجزيرة عندما تأكدوا من إخلاصه لهم وأصبح كل الملوك الذين حكموا بعده تابعين لأوامر المماليك في مصر حتى عام ٥٧١ عندما استولى العثمانيون على قبرص وبقيت تحت حكمهم وإدارتهم أكثر من ثلاثة قرون».

وجميع الأتراك مسلمون في الجزيرة على مذهب السنية وقيمون جميع شعائر الإسلام بل إن ركعات صلاتهم كثيرة فهي تضم الفروض والسنن المؤكدة والسنن غير المؤكدة فمثلاً ركعات صلاة الجمعة ١٦ ركعة.

وأسماءهم محمد وأحمد وإبراهيم ومصطفى وعائشة وأم كلثوم وفاطمة .
أكبر التزامات الأسرة التى تنجب أنثى أن تدخر من أجلها الكثير لتقدم بها عند
زواجها منزلاً مستقلاً وعربة لتنقلاتها مع زوجها . . والطفل يبدأ صلاته فى سن
الخامسة وصيام رمضان فى السابعة . . المرأة غير محجبة لكنها لا تذهب إلى الجامع
بل تصلى فى بيتها . . صلواتهم ودعاؤهم باللغة العربية الفصحى وتحتهم «السلام
عليكم» .



مسيرة الألف عام

مجلة الإذاعة المصرية ١٩٧٢/١١/٢٥

كل مسيرة تبدأ بخطوة.. كذلك بدأت رحلة الألف عام من ١٤ رمضان سنة ٣٥٩ هجرية.. عندما بدأ القائد جوهر الصقلي -بعد التمكين للفاطميين في مصر- من بناء الجامع الأزهر.

وهذه الألف سنة، ليست عمر.. المآذن والصحن والقباب فحسب، ولكنها عمر مصر أيضاً، بكل ما تمثله من ريادة في مختلف نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، وكمركز إشعاع يفيض بنوره الذي يصل إلى أركان الدنيا، فقد امتزج تاريخ الأزهر امتزاجاً عضوياً بتاريخ «الشعب المصري» على توالى الحقب والقرون، بحيث يصعب الفصل بينهما.

وشمخ الأزهر طوال حياته المديدة والعامرة.. بوصفه أقدم وأعظم جامعة في دنيا الإسلام، وكان أغنى المتاريس التي تصدت لكل احتلال طمع في مصر، ومعقلاً من أهم معازل القومية العربية، ثم ها هو يستجيب لدواعي التطور وأسبابه فيصبح جامعة عصرية.. تضم حناته مختلف الكليات العلمية، وتستوعب مدرجاته طلاباً من ٦٥ دولة إسلامية.

ولم يكن دور الأزهر، مقصوراً منذ البداية، على إقامة الشعائر فقط، بل كان مدرسة لعلوم الدين والفقه.. وارتبط في أذهان العالم الإسلامي كجامعة إسلامية.. حملت لواء الفكر الإسلامى والإنسانى، ومشعلا من المشاعل التى أضاءت للبشرية طريقها على امتداد القرون، ولمع فى صحنه وأروقته.. كثير من الأسماء الخالدة.. التى أعطت وألهمت وغذت مسيرة الإسلام.. مثل «ابن الفارض».. و«ابن خلكان» و«البوصيرى»، و«ابن دقمان» المؤرخ المصرى، و«المقرئى» صاحب الخطوط و«السيوفى» وله ٥٠٠ مؤلف من بينها تاريخ الخلفاء، و«ابن إياس» المؤرخ المصرى وتآلق بجانب هؤلاء.. مفكرون جاءوا إلى مصر ليتلقوا العلم فى الأزهر... مثل «ابن خلدون».. و«ابن بطوطة» و«الجبرتى».

ولا شك أن الفكر المصرى والإسلامى . . يدين بالكثير للأزهر الذى تخرج فيه «ابن الهيثم» العالم الذى يشيد بفضله الأوروبيون خصوصا فى الطبيعة وطب العيون. و«الشعرانى» إمام المتصوفة فى مصر، ومؤرخ! . . . «رفاعة الطهطاوى» مؤسس الفكر المصرى الحديث . . خصوصا فى الترجمة والصحافة. و«الشيخ محمد عبده» و«عبد الله النديم» و«أحمد عرابى» زعيم الثورة العربية . . و«سعد زغلول» قائد ثورة ١٩١٩. و«الدكتور طه حسين». . عميد الأدب العربى . . و . . و . .



وفى رسالة الدكتوراه عن دور الأزهر فى الحياة المصرية أثناء الحملة الفرنسية التى كتبها د. مصطفى رمضان

أبرز الباحث حركة علماء الأزهر قبل الحملة فى مجالين: المعارضة الدستورية فى الديوان العثمانى، مما يدل على أن علماء الأزهر شاركوا فى قضايا المجتمع، وقيادة علماء الأزهر للحركات الشعبية الثورية ضد الحكام الظالمين من العثمانيين والمماليك، وبذلك نظموا كفاح الشعب المصرى قبل مجيء الحملة الفرنسية..

وأبرزت الرسالة شخصية الأزهر أثناء الحملة الفرنسية، وبروز الزعامة الشعبية فى مجال الدفاع الداخلى، واستشهاد عدد كبير من زعماء الأزهر.

وقد دبرت خطة لاغتيال كليبر قائد الحملة الفرنسية وكان المنفذ سليمان الحلبي، وهو من أبناء حلب بالشام.

وتتضمن الرسالة عدة نقاط أهمها:

إبراز دور الأزهر بعد الحملة الفرنسية حيث عاشت مصر فى ظل عهد من الفوضى السياسية والاجتماعية وتعددت مراكز القوى فى البلاد وحمل الأزهر لواء المعارضة وإظهار الكيان المصرى مهما كان الثمن.

حارب الأزهر الابتزاز التركى للشعب.

- عارض علماء الأزهر سياسة المماليك فى استغلال الشعب، وتزعموا حركة لطردهم من القاهرة سنة ١٨٠٤.

- عندما جاء «خورشيد» إلى الحكم، يدفعه جشع شديد لابتزاز الأموال، نظم الأزهر حركة ثورية بقيادة «عمر مكرم»، وحاصرت خورشيد بالقلعة ١٨٠٥، وأجبرته على التخلّى عن الحكم، وعينت «محمد على» والياً على مصر، متوسمة فيه الحرص على مطالب الشعب.. ولكن «محمد على» خان مبادئ الشعب وزعماءه، ولعب دوراً فى تصفية الزعامة الشعبية، بعد أن استفاد بها فى المجالات الآتية:

- جمع الضرائب وخداع المماليك وعدم السماح لهم بدخول القاهرة.

- مقاومة الحملة الإنجليزية بقيادة فريزر عام ١٨٠٧.

حوار بين العلماء والوالى

فى عام ١٨٠٩ جاء إلى مصر تركى جديد هو «أحمد باشا» المعروف بكور وزيراً وكان الوزير كما يقول الجبرتى من «أرباب الفضائل وله رغبة فى العلوم الرياضية... وقابله صدور العلماء فى ذلك الوقت وهم الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر، والشيخ سالم النفراوى والشيخ سليمان المنصورى، فتكلم معهم وناقشهم وباحثهم ثم تكلم معهم فى الرياضيات فأحجموا وقالوا: لا نعرف هذه العلوم فتعجب وسكت».

ويواصل الجبرتى رواية هذه الحادثة الهامة الطريفة معاً «فى الجزء الأول من عجائب الآثار ص ١٩٤، وقد نقل الدكتور حسين فوزى النجار هذه الفقرة عن الجبرتى فى كتابه عن رفاعة الطهطاوى ص ٩». يقول الجبرتى:

إن الشيخ الشبراوى دخل على الباشا فى يوم جمعة يحادثه كعادته فقال له الباشا: المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت فى غاية الشوق إلى المجيء إليها، فلما جئتها وجدته كما قيل: تسمع بالمعيدى خير من أن تراه، فقال له الشيخ هى يا مولانا كما سمعتم معدن العلوم والمعارف: فقال وأين هى وأنتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئاً، وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل ونبذتم المقاصد، فقال له: نحن لسنا أعظم علمائها وإنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام، وغالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والموارث كعلم الحساب والغيار فقال له: وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية بل هو من شروط صحة العبادة كالعلم بدخول الوقت واستقبال القبلة وأوقات الصوم والأهلة وغير ذلك فقال: نعم معرفة ذلك من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين، وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية كركة الطبيعة وحسن الوضع والخط والرسم والتشكيل... والأمور العطاردية، وأهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم

فقراء وأخلاق مجتمعة من القرى والآفاق فيندر فيهم القابلية لذلك، فقال: وأين البعض، فقال: موجودون في بيوتهم يسعى إليهم، ثم أخبره عن الشيخ الوالد «يقصد أباه الشيخ حسن الجبرتي» وعرفه عنه وأطنب في ذكره، فقال التمس منكم إرساله عندي، فقال يا مولانا إنه عظيم القدر وليس هو تحت أمرى فقال: وكيف الطريق إلى حضوره؟ قال: تكتبون له ارسالية مع بعض خواصكم فلا يسعه الامتناع ففعل ذلك، وطلع إليه ولبي دعوته وسر برؤياه واغتنب به كثيراً وكان يتردد عليه يومين في الجمعة وهما السبت والأربعاء، وأدرك منه مأموله وواصله بالبر والإكرام الزائد».

ثم يقول الجبرتي بعد ذلك «وكان المرحوم الشيخ الشبراوى كلما تلاقى مع المرحوم الوالد يقول له: سترك الله كما سترتنا عند هذا الباشا فإنه لولا وجودك كنا جميعاً عنده حمير».

هذه هي القصة الواقعية التي يرويها الجبرتي عن مصر في منتصف القرن الثامن عشر، فمصر آنذاك لم يكن فيها سوى عالم واحد استطاع باجتهاده الخاص أن يتعلم بعض أصول الرياضيات، أما بقية علماء مصر فلم يكونوا يعرفون أكثر من العلوم التي تدور حول اللغة والدين مثل الفقه والنحو وما إلى ذلك^(١).



أ.د مصطفى رمضان رئيس قسم التاريخ
والحضارة الإسلامية في كلية اللغة العربية

(١) ستأتي السيرة الذاتية لفضيلته في كتاب الحركة العلمية في الأزهر في القرنين التاسع عشر والعشرين الجزء الرابع تحت الطبع.

الأزهر أكسفورد الشرق^(١)

تذكرت الأزهر.. وأنا أطوف في أرجاء «أوكسفورد».. صور الأساقفة ذكرتني بشيوخ الأزهر الذين عاصروا الحملة الفرنسية، وسجنتهم الثورة الفرنسية في القلعة، وانتهم فنان الجيش المناسبة، فخلدهم في لوحات قبيل إعدامهم أو جلدتهم أو تغريمهم.

المدينة حول الجامعة، يعيش فيها الطلاب والأساتذة، ذكرتني بجو الأزهر في عصور سالفة.. يوم كان قلب القاهرة النابض يعيش فيه العلماء في منازل مستقلة، طابقتها الأسفل مفتوح باستمرار للضيوف من العلماء أو الطلبة (المجاورين) يتجادلون ويتبادلون المعرفة والأحاجي..

القاعات والخزائن والردهات، وبقايا مساكن الطلبة في القرون الماضية كلها منقولة عن أروقة الأزهر..

«فأوكسفورد» التي قامت بعد الأزهر بقرنين.. إنما أنشئت على نظام الأزهر ووفق تقاليدته، بل ويكتب مترجمة عن مؤلفات علماء الأزهر، بعد أن عاد الصليبيون من الشرق، وقد تعلموا عاداتين: الاستحمام والعلم... وحملوا أول ورقة كتابة إلى أوروبا من إنتاج مصانع الورق العربية!

فلم تكن «أوكسفورد» في البداية، إلا مكانًا يلتقى فيه بعض العارفين، ببعض الراغبين في المعرفة ثم تطورت إلى جامعة لعلوم اللاهوت، تنقسم إلى أروقة لكل رواق «ماستر» أو «شيخ الرواق»، كما كان الحال في الأزهر، ويسكن فيها الطلبة الذين كان سنهم لا يزيد على ١٣ سنة عند الالتحاق.. وقد استمر نظام الأروقة حتى القرن الخامس عشر..

ولكن الكليات كانت قد ظهرت منذ أواسط القرن الـ١٣ بينما استمر نظام الأروقة في الأزهر إلى القرن العشرين.

(١) جريدة النهضة الكويتية - عام ١٩٧٣م.

وكان لكل رواق شيخ.. يضم الرواق أبناء جهة واحدة، فهناك رواق للمغاربة ورواق للشوام، وآخر للصعايدة.. وكان لكل رواق جراية (أى راتب) خاصة، يوقفها عليه الأمراء والأغنياء، ونفس النظام فى «أوكسفورد»..

وكانت الجراية فى الأزهر تدفع خبزاً، وهى درجات: رغبان للطالب المنتسب، والذى يتحقق انتسابه بحصوله على خزانة يضع فيها كتبه، وانتسابه إلى رواق ينال فيه، وجراية «أوتوزير» (اسم مملوك) وهى أربعة أرغفة لا تعطى إلا لمن يجتاز امتحاناً خاصاً.. وجراية زينب هاتم خمسة وعشرون رغباً.. وتعطى للعلماء.. وكانت هناك جرايات نقدية بعضها يصل إلى ثلاثمائة جنيه فى السنة، وأبطل الجراية الشيخ المراعى.

وهذه الوقفيات، مكنت الأساتذة من التفرغ للعلم، والعيش مع الطلبة.. وكانت الدراسة حرة على أحدث النظم الجامعية الحالية، أو بمعنى أصح، كما نقلت النظم الجامعية المعاصرة عن الأزهر.

فالاستاذ ذو الكرسي.. أو بتعبير العصر القديم: «من له عامود فى الأزهر» هو الذى امتحنته لجنة من العلماء.. وأجازت له حق التدريس، ويتم الامتحان علناً أمام جمهور من الطلبة، وعلى يد لجنة من شيوخه.. فإذا جاز الطالب الامتحان سمح له بأن يضع مقعداً بجوار أحد أعمدة المسجد وبدأ فى تلاوة درسه، وينضم لحلقته من يشاء من الطلبة الذين يحضرون ما يحلو لهم من دروس بلا تقييد.. ويتقدمون للامتحانات متى وجدوا فى أنفسهم استعداداً.. وكانت تدرس فى الأزهر شتى العلوم من الفقه إلى ضرب العود والكمان كما كان يفعل الشيخ العطار فى مطلع القرن التاسع عشر..

أبراج الكنائس التى يعتليها طلبة «أوكسفورد» فى شهر مايو (أيار) من كل عام يتلون من فوقها صلاة لاتينية تمجد الثالوث المقدس.. ذكرتنى بمآذن الأزهر التى كان يعتليها المجاورون (الطلبة) يتلون الابتهالات والمدائح النبوية فى أيام الرضا.. ويكبرون فى غير أوقات الصلاة، إذا ما نشب خلاف بين الأزهر وسلطات المدينة، أو قاد الأزهر ثورة الأهالى ضد استبداد السلطة.. تماماً كمعارك طلاب

«أوكسفورد» و«كمبريدج» مع سلطات المدينة منذ سبعة قرون.. لقد نشزت أوكسفورد فى القرن الثانى عشر.. بينما وضع حجر الأساس فى بناء الأزهر فى نيسان (أبريل) ٩٧٠ وتم بناؤه فى حزيران (يونيو) ٩٧٢، أى أنه أكمل ألف عام.. شهد فيها الفصل الدرامى من تاريخ حضارتنا.. تألفها.. فجمودها.. ثم انهيارها..

ولا شك أن كل الذين قارنوا بين تاريخ الأزهر، و«أوكسفورد»، وعرفوا كيف قامت جامعات أوروبا الحديثة على غرار الأزهر ووفق نظمه، بل وبالمعرفة التى نقلتها أوروبا عن الأزهر.

يدركون أن أقدم كتاب فى جامعة «أوكسفورد» مكتوب سنة ١٣٧٩..

وعندما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر -وهى أكبر فصل فى تاريخ الأزهر كمؤسسة قيادية- كان أحدث الكتب التى تدرس فيه قد كتبت حول هذا التاريخ!.. فالأزهر كان ذروة تألف حضارات بدأت رحلة الانهيار.. أما «أوكسفورد» فكانت بداية حضارة جديدة فى طريق النمو والازدهار.. فنمت الجامعات مع المجتمع النامى من حولها.

عندما بنى الأزهر كانت الحضارة العربية قد امتلكت كل أسس المعرفة اللازمة لانطلاق الثورة الصناعية، لولا أن هب على العالم الإسلامى إعصاران.. الحروب الصليبية، ثم الخراب المغولى.. فتحول المجتمع المدنى المتحضر، إلى مجتمع عسكرى خشن.. وتراجع العلماء ليحكم العسكر.. وحشدت موارد البلاد واستنزفت فى القتال.. وأحرقت المدن والمزارع وكل آثار الحضارة على يد الفاتح المتقدم، أو المنهزم المنسحب.

وانتقلت شعلة الحضارة من الشرق المغزوء، إلى الغرب الغازى وهناك افرخت ونمت، وتطورت إلى الحضارة الحديثة..

وكان الثمن فادحاً:

- تخلفت مسيرة الحضارة العالمية، حوالى خمسة قرون، قضتها أوروبا فى النقل الحذر المستريب للعلوم الإسلامية مع حصر المعرفة بها فى دوائر خاصة.. ثم

التوسع فى الترجمة والدرس والفهم والتمثل وأخيراً التطور.. ولو استمرت شعلة الحضارة فى النمو على شواطئنا، لما كانت هناك هذه الفجوة..

- كذلك اقترن النمو الحضارى الجديد بالاستعمار، ولو مضت حضارتنا فى نموها لما كانت البشرية قد عرفت الاستعمار، ولا كان التخلف قد فرض على ثلاثة أرباع شعوب العالم، من أجل تقدم ورفاهية الربع.. فحضارتنا لم تعرف الاستعمار، بل قامت مراكز المدنية والرفاهية فى كل البلدان، وعلى قدم المساواة، ووفق إمكانات كل بلد، ولعل أقلها حظاً كانت الجزيرة، بلاد الفاتحين..

ألف عام.. بدايتها الأزهر.. الجامع الجامعة، والأصل فى المسجد أنه جامعة.. ومن المسجد وفى المسجد ظهر ونبع كل العلماء ودرست كل العلوم..

وإن كان الجيل المعاصر، يحفظ أسماء طلاب أوكسفورد وكمبريدج عن ظهر قلب من إسحق نيوتن إلى سبنسر، وجون ميلتون.. فليسمحوا لنا فى الذكرى الألفية للأزهر أن نقدم لهم أحد العلماء الذين درسوا فيه سنة (١٠٣٨).. تعرفنا به كاتبة ألمانية هى الدكتورة «سيجيريد هونكة» فتقول: «إن الحسن بن الهيثم توصل إلى نظرية فى علم الضوء خاصة بالأشعة وانكسارها كانت نقطة تحول فى أبحاث الطبيعة وبخاصة علم الضوء.. وهو الذى أثر فى أوروبا تأثيراً بعيداً وعرفته باسم «الهزن» وكان أشهر الأساتذة العرب الذين أخذوا بيدها فى هذا المضمار من البحوث. فقد وضع نظرية حول حركة الأفلاك.. وقد ظلت هذه النظرية تدرس بغير تعديل فى أوروبا أربعة قرون، فوجدت مائدة فى ألمانيا محفورة سنة ١٤٢٨ عليها نظرية «الحسن» فى حركة الأفلاك».

«وقد نقد الحسن سنة ١٠٣٨ نظرية اقليدس وبطليموس فى علم الضوء، فقال: إن الأجسام المرئية هى التى يصدر منا شعاع الضوء فتراه العين وليس بالعكس». «وكانت هذه النظرية قفزة فى علم الضوء. وهو مؤسس العلم التجريبى وليس روجيه بيبكون أو باكوفون فرولام أو ليوناردو دفينشى أو جاليليو.. وأصبح اسم الحسن بن الهيثم هو النجم الذى أضاء الطريق ومهد لقيام الأبحاث الحديثة بعد أن سبق أوروبا إليها.. وهو الذى فسر خسوف الشمس والقمر، واكتشف أن القمر

جسم مظلم بعكس النجوم، وهو أول من اخترع صندوقاً للضوء يشبه آلة التصوير، وهو أول إنسان رأى صورة العالم مقلوباً من خلال مرور الصورة في جهازه العجيب.. وهو الذى فسر انكسار الضوء فى الهواء والماء واستطاع تحديد ارتفاع الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية. «والجدير بالذكر أنه توصل إلى تحديدها بدقة، وعرف أنها خمسة عشر كيلو متراً».

«وفسر قوس قزح الذى عجز أرسطو عن تفسيره، واخترع أول نظارة للقراءة.. وحتى يومنا هذا تعرف فى جامعات أوروبا المسألة المعقدة المتصلة بالإلمام بالطبيعة والرياضة معاً والتي حلها الحسن بن الهيثم بمعادلة من الدرجة الرابعة أظهرت نبوغه الرياضى فى الجبر.. إذ حسب البعد البؤرى لمرآة مقعرة.. تعرف هذه المسألة باسم «مسألة الهزن» (الحسن)».

وكتابه المتضمن لهذه النظريات لا وجود له بالعربية، بل بقت ترجمته اللاتينية.. ضاع الأصل العربى مع ضياع الحضارة، ونفى العالم العربى وكتابه: «كتاب المناظر» إلى أوروبا حيث ساهم فى بناء العلم الحديث.

وإذا كانت جامعة «أوكسفورد» قد بدأت مكتبتها بكتابين لازالا مربوطين بالسلال إلى الان كما كان وضعهما فى القرن الثالث عشر.. فإن مكتبة الأزهر فى القرن العاشر كان بها مليون وستمائة ألف كتاب.. ولكن الانهيار الحضارى جعل الخليفة يسدد مراتب الجند والموظفين بالكتب.. وكان «الفرنجية» يشترون هذه الكتب بالرطل، وينقلونها إلى كنائس وأديرة.. فجامعات أوروبا.

فالأزهر لم يبدأ بالفقه والنحو والعروض وحدهم كما يتصور البعض، بل كانت تدرس فيه كل علوم العصر، من علوم الدين والفلسفة والمنطق إلى الرياضيات والطب والهندسة والفلك.. واستمر الحال على ذلك رغم التدهور الحضارى.. ذلك أن الإسلام، بطبيعته، يحتم دراسة حد أدنى من العلوم التطبيقية، فنظام الميراث يحتم دراسة الحساب بل ويقود إلى الجبر وكذلك الزكاة، وضبط الكيل والميزان يفتح الباب بدراسة الأثقال والحجوم والروافع وخواص المواد التى تصنع منها، ومراقبة الهلال لمعرفة أوائل الشهور ودراسة حركة الشمس والظل لتحديد مواقيت الصلاة، وتحديد العدة، والقبلة.. كلها تحتم دراسة الفلك وتقسيم الزمن،

وتفتح الباب لدراسات عن الجغرافيا والهندسة والطب، وقادت إلى اكتشاف البوصلة.

وقد تركزت الزعامة الشعبية في العلماء، وكان الأزهر هو مركز القيادة الشعبية، وحلقة الوصل بين السلطة والعامّة، وقائد مقاومة الجماهير ضد استبداد السلطة وانحرافها.. وقد سلمت السلطة بهذه المكانة لشيوخ الأزهر، والتفت الجماهير حول الشيوخ.. الذين قادوها في أكثر من معركة سجل منها تاريخ القرن الثامن عشر معارك تتعلق باستقلال الجامعة الأزهرية، فعندما حاول السلطان والأمراء تعيين شيخ للأزهر من المذهب الحنفى، وهو المذهب الرسمى للدولة، رفض الشيوخ، لأن ذلك اعتداء على استقلال الأزهر، والعرف المقرر فيه أن يكون شيخ الأزهر شافعيًا.. وفشلت كل جهود الدولة في حماية مرشحها ومذهبها الرسمى، وانتصرت إرادة المشايخ.. وإذا كان عمدة «أوكسفورد» قد أحرق كل وثائق الملكية الخاصة بعلماء وطلبة جامعة «أوكسفورد» عام ١٣٨١.. فإن علماء الأزهر في ذلك التاريخ كانوا يملكون بيع سلطان مصر في المزاد العلنى (حادثة العز بن عبد السلام).. وبعد ذلك بأربعة قرون (١٧٣٥) حاول السلطان العثمانى أن يبعد تنظيم الأوضاع المالية، بما يشكل اعتداء على الحقوق المكتسبة لبعض الفئات، وليس المشايخ منهم. فاعترض المشايخ وألغوا قرار السلطان معلنين أنه «ليس من حق السلطان تجاوز التشريعات القائمة». وكان ذلك قبل سقوط الباستيل بنصف قرن وقبل أن يكفر عقل فى القارة الأوروبية بتحدى سلطة الملوك الإلهية.

وأخيرًا قاد المشايخ ثورة فلاحين لانتزاع أول دستور مكتوب.. ١٧٩٤.. فى الوقت الذى كان العامة فى فرنسا يبحثون هل دم الأمراء أزرق؟.

فعندما جاء نابليون بأول احتلال غربى للوطن العربى.. كان الأزهر هو القلعة التى اصطدم بها، بعد انهيار المؤسسة العسكرية (المماليك)، وقاد الأزهر المقاومة العربية ضد الاحتلال الفرنسى، فكانت ثورة القاهرة الأولى، التى قادتها لجنة من مشايخ الأزهر بقيادة الشيخ السادات استطاعت أن تشكل تنظيمًا دقيقًا يمتد من صحن الأزهر إلى أصغر قرية فى الريف المصرى، وهو تنظيم عجز العالم العربى عن تكرار مثله لأكثر من قرن بعد تنحى الأزهر.. وعرف نابليون، ممثل الثورة

الفرنسية، خصمه الحقيقي، فصب هجومه على الأزهر، وضرب المسجد . . الجامعة . . القيادة . . التراث . . التاريخ . . وأهم من ذلك أنه كان إمكانية المستقبل . . ضرب ذلك كله بالمدافع، واحتله الجنود ودخلته الخيل لأول مرة في تاريخه معلنة هزيمة الحضارة التي يمثلها.

وأصدر نابليون أمره بأن «يباد كل من فى الجامع»، ودخلت الجند المسجد: «وهم راكبون الخيول، وبينهم المشاة كالوعول، وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا القناديل والسهارات، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين، والكتبة. ونهبوا ما وجدوه من المتاع، والأواني والقصاع، والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات، ورشقوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا فيه وتغوطوا، وبالوا وتمخطوا، وشربوا الشراب، وكسروا آوانيه، وألقوها بحصنه ونواحيه، وكل من صادفوه به عروه ومن ثيابه أخرجوه».

وأعدم نابليون ثمانين شيخًا من قيادة الثورة . .

صحيح أن عدوان نابليون على الأزهر، قضى على كل آماله فى الشرق، ولكنه أيضًا كشف للأمة العربية أنها عزلاء، لا تستطيع حماية قيادتها، ومقدساتها.

وأصبحت القضية مطروحة على النحو التالى: من وجهة نظر الاستعمار العربى . . لابد أن تتحطم قيادة الأزهر لكى تخضع الأمة العربية للاستعمار.

ومن وجهة نظر الأمة العربية، لابد من حركة بعث قادرة على مواجهة الغرب الاستعماري.

وأدرك الاستعمار أن تحطيم الأزهر بالمدافع لا يجدى . . فبعد ضربه واحتلاله فى الثورة الأولى، عاد ونظم ثورة القاهرة الثانية (١٨٠٠)، وهى الثورة الكبرى المعروفة.



الأزهر وأثره فى الحياة الإنسانية

إن الأزهر الشريف^(١) يرجع فى قيامه إلى ألف سنة مضت. وقام ليؤدى رسالة ويحتفظ بتراث. أما الرسالة فهى تنوير المسلمين بمبادئ الإسلام. وأما التراث الذى يحتفظ به فهو تراث المسلمين العقلى والروحى والأدبى على السواء.

وظل يقوم بهذه الرسالة ويحتفظ بهذا التراث طوال هذه المدة الطويلة التى مضت على قيامه. وقد مرت به أحداث، وعاصر ظروفًا وخرج من هذه وتلك دون أن يفقد هذه الرسالة، ودون أن يبدد هذا التراث.

فهو مدرسة وسجل للتاريخ معًا. ترى فى بحوثه ودراساته آثار المسلمين الذهنية، وتسمع من خلال هذه الآثار مبادئ الإسلام كما ذكرنا.

ولأنه قام لمهمة مرتبطة بالبحوث الإسلامية كان لا يحتك به من الأحداث إلا تلك التى تتصل بكيان الأمة الإسلامية والشعوب العربية، وفى مقدمة هذه الشعوب شعب الأقليم المصرى.

والتحول الذى طرأ على التوجيه فيه من أنه كان مدرسة لتعاليم الفاطميين ثم تغير الوضع فيه إلى أن يكون التوجيه الذى يباشره يتصل بتوجيه أهل السنة - هذا التحول لا يغير من مهمته الأصلية وهى العناية بنشر مبادئ الإسلام والاحتفاظ بتراث المسلمين العقلى والروحى. ولذا فمحاولة وضع هوة فى تاريخه بين عهدين له، وإبراز مراحل تطوره على أنه كان لانتجاء معين انقلب إلى ضده فيما بعد - لا تقلل من شأن رسالته فى واقع الأمر من حيث أنها رسالة الأمة الإسلامية والشعب العربى.

والأزهر بما له من هذا الماضى الطويل، وبما وضع لنفسه من رسالة احتل فى العالم الإسلامى منزلة كبيرة وخالدة فى الوقت نفسه. وأصبح مركز تنوير المسلمين بمبادئ دينهم، وأصبح أمر الاحتفاظ بالتراث الثقافى والروحى والأدبى للمسلمين مرتبطًا ارتباطًا قويًا بمهمة الأزهر وبما يباشره من وظيفة ورسالة.

(١) د. محمد البهى - مجلة قافلة الزيت.

وإذا كان قد مرت على الأزهري أحداث تأثر بها، وهى الأحداث التى تتصل بالوطن الإسلامى أو العربى، وإذا كانت هذه الأحداث قد غيرت من اتجاهه وتحول بسببها من جانب إلى جانب، فإن الشئ الذى يمكن الوقوف عنده فى تاريخه هو سير الحركة العلمية وتغير طريقة البحث والدرس فيه. فحركة التأليف العربى التى وجدت فى آخر القرن الأول الهجرى وازدهرت فى القرنين التاليين له مالت رويداً رويداً إلى الضعف من جانب والركود من جانب آخر، وكان للأحداث الخارجية وهى أحداث المغول والتتار فى الشرق وأحداث الصليبيين من الغرب أثر آخر بجانب ما لضعف حركة التأليف وركود النشاط فيه، وهذا الأثر سواء أكان عن طريق الأحداث الخارجية أم طريق العوامل الداخلية والمحلية هو تقوية روح التبعية للخصومات المذهبية وللمؤلفين فيما كتبوا فى العهود المتأخرة فى تاريخ التأليف العربى.

والأزهري عندما قام يؤدى رسالة تنوير المسلمين اعتمد فى ارسال إشعاعه وفى بحوثه ونشر تعاليمه على قسط كبير من كتب أولئك المؤلفين الذين تأخر بهم الزمن فى تاريخ التأليف، وتأثروا بموجة الضعف والركود الداخلية والخارجية. ولأن مهمة الأزهري تتصل بالدين، أخذ خصيصة التقاليد وهى عدم قبوله لمبدأ التطور لا فى الدين نفسه ولكن فيما صنعه الإنسان المسلم المفكر حول الدين وفيما سطره من آراء يخرج بها بعض أفكاره. وهنا كان تقبل الأزهري للخروج عن نطاق هذه الكتب التى تمثل ظاهرة الضعف والركود الفكرى فى تاريخ التأليف العربى أمراً ليس هيناً، وإن تقبل مبدأ التغير والانتقال من عهد إلى عهد فى التعرف على مبادئ الإسلام وآراء المسلمين، فإنه يتقبلها فى احتياط وفى بطة.

ومن ثم كانت مسابقة الأزهري - لا أقول لمبدأ التطور، وإنما أقول لفكرة الانتقال من عهد إلى عهد فى تاريخ التأليف العربى، أى الانتقال من عهد الضعف والركود مثلاً إلى عهد القوة والأصالة فى العصور السابقة على هذا العهد - مسابقة تجمد تارة وتبطل فى سيرها تارة أخرى.

ومن هنا كان لتوجيهه أثر على الشعوب الإسلامية ينعكس فى هذا الأثر ما يتلزمه هو فى دائرة التوجيه من الركون إلى آراء معينة أو الوقوف فى استمداد

التعاليم الإسلامية من بعض مصادر التأليف فى الحقبة الأخيرة. وبمقدار ما يتحرك الأزهر فى دائرة التأليف العربى الإسلامى بمقدار ما يكون لتوجيهه من أثر إيجابى أو سلبى.

والحركات الإصلاحية التى قامت فيه والتى باشرها بعض شيوخ الأزهر من أمثال الشيخ محمد عبده لم تقصد إلى الخروج عن دائرة التراث الثقافى والروحى للمسلمين كلية. وإنما قصدت إلى شىء واحد هو محاولة الانتقال - كى يفهم الإسلام فهماً صحيحاً - من عهد الركود إلى عهد الإمامة والأصالة فى تاريخ التأليف العربى الإسلامى. إذ أن تأليف المتقدمين من علماء المسلمين كان أقرب إلى أصول الإسلام وإلى التعبير عما يهدف إليه القرآن مما كان للمؤلفين المتأخرين.

وهذا معناه أن يكون للعالم الأزهرى فرصة فى اختيار الرأى من بين آراء المسلمين. كما تكون له فرصة عرض بعض آراء المسلمين اعتماداً على القرآن الكريم والسنة الصحيحة. وأى الآراء من بينها أقرب إلى روح القرآن والسنة الصحيحة هو أقواها وضوحاً فى التعبير عن رأى الإسلام وأكثرها قبولاً للمسلم فى حياته اليومية.

والنتيجة الحتمية لهذه الحركة الإصلاحية هى وضع العلماء فى مواجهة القرآن وضعاً مباشراً دون وسيط يلتزم رأيه وينفذ حكمه على أداء القرآن لأحكام الله وللطريق العملى الذى يسلكه المسلم. وهنا يكون مبدأ التوجيهات حقيقة واقعية يمارسها القادرون فى فهم القرآن أو تحت ضوء القرآن وضوء السنة الصحيحة.

وبمقدار ما تعبر التعاليم التى يرسلها الأزهر إلى خارجه فى نطاق الشعوب العربية والإسلامية بمقدار ما تتحقق روح الإسلام فى حياة المسلمين. وروح الإسلام هى روح الإنسانية الصافية فى معاملة المسلم للمسلم ومعاملة المسلم لغير المسلم من أهل الكتاب ومعاملة المسلم لمن ليس بذى دين أو لمنكر الدين والإيمان.

ومعاملة المسلم للمسلم - كما تملئ روح الإسلام - هى معاملة الأخ للأخ والصديق للصديق ومعاملة الإنسان للإنسان فى دائرة دفع الأذى والضرر وتحقيق السلم والرخاء العام. ومعاملة المسلم لغير المسلم ممن ليس بذى دين أو لمنكر الدين

هى معاملة الإنسان لمن يتحدى خصائص الإنسانية ويتحدى علاقة السلم وتبادل النفع والرخاء بين الناس جميعاً. إذ الذى ينكر الدين والإيمان بالله ينكر على البشر أن يسلكوا طريق الحق، وسبيل الاستقامة وسبيل الإنسانية مذعنين لتوجيه القادر العليم مدبر الكون كله. ينكر على البشر أن يطيعوا الله خشية منه، ويحرضهم فى الوقت نفسه على أن يتمردوا على القيم البشرية بدعوى ممارسة الحرية الفردية، أو بدعوى سمو الإنسان عن خالقه، أو بدعوى الاستجابة لوى الطبيعة وما تمليه من توجيه وما ترسمه من قدر ومصير.

والإنسان مهما سما فى تفكيره وإدركه لا يصل إلى تحديد المنهج المستقيم تحديداً واضحاً لا خلط فيه، أو تحديداً مستمراً صالحاً لجماعة معينة فضلاً عن أن يكون صالحاً لجماعات وشعوب كثيرة. والطبيعة أن ترك الإنسان نفسه يطيع ما ترسمه من توجيه فإنها ستجعله يطيع دوماً ما تمليه مظاهر الحس المختلفة وعندئذ يكون شأن الإنسان شأن الحيوان فى تبعيته لما يحس وعدم ارتفاعه عن هذا الذى يحس للسيطرة عليه وتوجيهه.

ومن هنا كان أثر الأزهر الدينى فى توجيه المسلمين أثراً إيجابياً فى علاقة المسلم بالمسلم، وفى علاقة المسلم بأهل الكتاب، وفى موقف المسلم من الاتحاد والتحدى بإنكار الإيمان، ما يعبر فى تعاليمه التى ينشرها عن الإسلام فى صفاء آرائه ووضوح هدفه.

أما الأثر الأدبى للأزهر ورسائله فهو خدمة الإنسانية وخدمة المستوى الفاضل لها. فالإسلام إذا سار المسلمون على مبادئه يكون من الدعائم القوية فى تركيز خصائص الإنسانية فى نفوس البشرية. فهو رسالة كرسالة الله فيما أوحاه إلى موسى وإلى عيسى عليهما السلام تساق الطبيعة الإنسانية فى أخص صفاتها ومقوماتها. وأخص هذه الصفات والمقومات التى تدعو إليها الرسالة الآلهية هى: المحبة، الإخوة، السلام. ولا شك أن هذه الغايات لا تتحقق إلا إذا ارتفع الإنسان عن مستوى الخصومة ومستوى الحقد والضعف بسبب التهالك على المادة أو بسبب الانطواء تحت مظاهر الحس التى يدعو إليها الاتحاد، ويدعو إليها التحدى للإيمان.

والدين الآلهى لذلك ضرورة لضمان تحقيق هذه الأهداف الثلاثة فى حياة الإنسان. وإذا ما تحققت هذه الأهداف فى حياة الإنسان أصبحت البشرية فى أوضح مظاهرها حقيقة عملية، وبالتالي أصبح الناس سعداء لأن الشر أو الشقاء لا يكمن إلا فى الخصومة وفى القلق والاضطراب والحيرة. وليس من أسباب الخصومة والقلق والاضطراب والحيرة سوى تنافس الناس على ما فى أيدي بعضهم بعضاً، وهنا كان الطمع والجشع أمراً مكروهاً لذلك فى كل رسالة إلهية. وكان البر والإحسان أمراً مطلوباً فى كل رسالة إلهية.

إن رسالة الأزهر فى تمكين السلام العالمى واستقرار النفوس البشرية وتوكيد الترابط الأخوى والإنسانى ودفع شرور الاحاد وتحدى الإيمان بالله، وهو لذلك ضرورة فى حياة مجموعة الشعوب العربية والإسلامية كضرورة الدين نفسه فى حياة الإنسانية.



قرارات مؤتمر البحوث الإسلامية

في الدورة الثانية لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الذي عقد بالأزهر واستمر شهراً كاملاً.. كانت هذه الدورة مقصورة على أعضاء المجمع في المؤتمر الذين عهد إليهم بدراسة صورة المجتمع الإسلامي. وانتهت الدراسات إلى حصر المشكلات التي تواجه المجتمع الإسلامي المعاصر تحت أربعة عناصر رئيسية هي: مقاومة العدو المشترك للإسلام والمسلمين.

وتجريد الإسلام مما علق به من الفضول والشوائب.

وتنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين على أساس إسلامي سليم، للعمل على توحيد كلمة المسلمين ومحو أسباب التقاطع بينهم، وإزالة أسباب الخلافات المذهبية.

وقد اتخذ المؤتمر أربعة قرارات هامة تدور حول هذه العناصر، وهي:

أولاً: يقرر المؤتمر أن الاستعمار -سواء في البلاد التي لم تزل ترزح تحت نيره، أو في البلاد التي جلا عنها مخلقاً آثاره- هو الخطر الأول الذي يجب على المسلمين أفراداً وجماعات ودولاً أن يجاهدوه بالمقاومة الجادة المستمرة، حتى يتم تحرير المسلم قلباً وضميراً ووطناً ومعرفة، وأن كل تقصير في ذلك هو عصيان لله -تعالى- وإثم كبير لأنه يقوى يد العدو على إنزال الأذى بالمسلمين.

وإن الصهيونية التي يحاول الاستعمار بعد أن تحطمت أسبابه الظاهرة أن يغلف بها أهدافه تحت ستار جديد، هي داء استعماري خبيث يستهدف به الاستعمار أن يتمكن بآثاره في حياة المسلمين لاستمرار سيطرته عليهم، ومن ثم كانت مجاهدتها فرضاً كذلك على كل مسلم حيثما كان.. وكل تخلف عن ذلك عصيان لله.

ثانياً: يقرر المؤتمر أن الكتاب الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان للأحكام الشرعية، وأن الاجتهاد لاستنباط الأحكام منهما حق لكل من استكمل شروط الاجتهاد المقررة، كما أن السبيل لمراعاة المصالح ومواجهة الحوادث المتجددة

هى أن يتخير من أحكام المذاهب الفقهيّة ما يفيّ بذلك، فإن لم يكن فى أحكامها ما يفيّ به فالاجتهاد الجماعى المذهبى، فإن لم يف كان الاجتهاد الجماعى المطلق.

ثالثاً: أن موضوع الزكاة والموارد المالية فى الإسلام وطرق الاستثمار وعلاقتها بالأفراد والمجتمعات وحقوق الملكية الخاصة والعامة، هى موضوعات الساعة لأنها ملتقى شعبتين من شعب الشريعة الإسلامية وهما العبادة والسلوك الاجتماعى.

ومن أجل ذلك يقرر المؤتمر أن تكون هذه الموضوعات محور نشاط المجمع فى دورته المقبلة.

ويقرر المؤتمر، بعد الدراسة المستفيضة لموضوع الملكية، أن حق التملك والملكية الخاصة من الحقوق التى قررها الإسلام وكفل حمايتها. . وأن من حق أولياء الأمر فى كل شئ أن يجدوا من حرية التملك بالقدر الذى يكفل درء المفساد وتحقيق المصالح، وأن أموال المظالم وسائر الأموال المشبوهة يجب أن ترد إلى ذويها أو إلى الدولة. . بل إن المال الطيب، إذا احتاجت المصلحة العامة إلى شئ منه، أخذ من صاحبه نظير قيمته يوم أخذه وأن تقدير المصلحة من حق أولياء الأمور.

رابعاً: يقرر المؤتمر أن واقع المجتمع الإسلامى المعاصر يفرض على مجمع البحوث الإسلامية أن يلتمس الوسائل لتوثيق الصلة بين المسلمين فى شتى بلادهم ليجمعهم على كلمة ويوحدهم رئيساً وينظمهم للتعاون أفراداً وجماعات على ما فيه خيرهم وخير الإنسانية من غير إقليمية ولا مذهبية ولا تنازع.

كما يقرر أن استكمال المجمع لأجهزته اللازمة لنشر المبادئ الإسلامية وتجليتها أمر ضرورى تجب المبادرة إليه لينهض المجتمع الإسلامى بمسئوليّاته التى يفرضها عليه واقعه.



قصة الأزهري الجامعي بعد عشرين عاماً^(١)

الأزهري القديم حافل بالذكريات المجيدة الخالدة المشهورة، التي فصل الحديث فيها المؤرخون والباحثون.

أما «أزهرنا» اليوم فلا حول ولا قوة إلا بالله، فليس فيه من الأزهري القديم شبه، وليس بينه وبينه صلة، وهو حائر الرأي، متبعثر الخطى، كأنما يريد أن ينقض إشفاقاً على حملة تراثه، من جسامه المسؤولية، وفداحة التبعة، وهول الحساب.. وأما «أزهرنا» في الغد، فأتخيله منارة مشرقة، وجامعة تعود إلى فهم رسالتها، وإلى أدائها، وإلى الجهاد مرة أخرى من أجل الإسلام والمسلمين وتقدم النهضة الفكرية، ومن أجل ازدهار حركة الأحياء والتجديد والإصلاح الديني.. وسيكون الفضل في ذلك راجعاً إلى يقظة الرأي العام في الأزهر بعد سبات، وإلى انتباه الشباب فيه بعد غفلة، وإلى حرص الأمة والمسؤولين على إصلاح الأزهر وتجديد معالم النهضة الدينية والعلمية في أروقته ومحاربه.

سيكون الأزهر بعد عشرين عاماً جامعة هيكلاً وروحاً ورسالة، بعد أن كان في القديم جامعة بهيكله، وبعد أن كان في عصرنا الراهن جامعة اسمًا فحسب.. وستؤدي هذه الجامعة الأمانة العلمية والدينية الملقاة على كاهلها على خير الوجوه وأجلها، وستعود حلقات الدرس في الأزهر إلى نشاطها العلمي من جديد، منقحة ومحقة ومجددة مبتدعة، وسيحفل الأزهر آنذاك بالعديد من الأعلام من بنيه، الذين سيكونون خير سند لنهضته الفكرية والروحية.

وستمتلىء نفوس الأزهريين بعد عشرين عاماً بالعزة والكرامة، فلا تجد فيهم ضعيف الرأي، أو منافق اللسان، أو هداماً يستر عيوبه بالحق على الناس، أو أنانياً يسعى لنفسه ولو كان في ذلك الهلاك للجماعة.. وستقوى صلة الأزهر بالأمة، فتنزله منها منزلة الرائد الأمين، ويحلها من نفسه مكانة عزيزة بالتوجيه والإيثار والنصح، والدعوة إلى المثل العليا الكريمة التي يدعو إليها الإسلام الكريم.

(١) ص ١٥٥ قصص من التاريخ للمؤلف.

أما مناهج الأزهر وكتبه وكنوزه القديمة فسينالها ثورة العصر الجديد، فتعود كنوزنا العلمية إلى التأثير في العقل العربي الحديث تأثيراً قوياً نافعاً، وتصبح مناهج الأزهر وكتبه ونظمه محققة لرسائله الجامعية الصحيحة.. وسيكون منصب «شيخ الأزهر» بالانتخاب من حملة الدكتوراه أو ما يعادلها من الأزهر، وسيعود لمنصب المشيخة سالف مجده وعظمته وهيمنته الروحية الكبيرة على العالم الإسلامي كافة، وستنال جماعة كبار العلماء ولجنة الإفتاء ومجلة الأزهر ومكتبته وأروقته ومعاهده وكلياته وبعوثه الإسلامية نصيبها من الإحياء والبعث والتجديد، وستسهم البعث الإسلامية الأزهرية في ميادين النشاط الديني والعلمي بنصيب كبير، وستحمل مدرجات الأزهر أسماء الخالدين من أبنائه.. ويطلق على الكراسى العلمية المنشأة في كلياته كذلك أسماء الأعلام من علمائه.. وسنرى مدينة الأزهر الجامعية، واتحاد الأزهر الجامعي، وحفلات الذكرى الألفية لإنشاء الأزهر، واللغات الحية التي تدرس في جميع أقسامه وفروعه، وقلوبنا يملؤها البشر والفخر والإعجاب.

وسوف تقيم كليات الأزهر مواسم علمية وأدبية ضخمة، وسيعلن آنذاك عن رحلات لطلبة كليات الأزهر في البلاد العربية والإسلامية خلال إجازة نصف السنة وفي الإجازة الصيفية.

وسيكون في كلية اللغة العربية عدة كراسى علمية، للنقد الأدبي ومذاهب الأدب وأصول النحو والبلاغة واللغات السامية واللهجات القديمة والحديثة وسيتبعها معهد للصحافة وتنطق باسمها مجلة علمية ضخمة، وسيعلن عن مناقشة رسالة للدكتوراه فيها آنذاك، عنوانها: «مذهب أدبي جديد» يبشر صاحبها فيها بالثالية الأدبية. وفي كلية أصول الدين ستنشأ كراسى أخرى للفلسفة والتصوف الإسلامي وعلم الأخلاق الديني وعلم الاجتماع ومناهج الوعظ، وسواها. وسيعلن آنذاك عن مناقشة رسالة للدكتوراه. فيها موضوعها «فلسفة الشك بين ابن عربي وديكارت»، وعن مناقشة رسالة ثانية موضوعها «علم الاجتماع بين أرسطو والفارابي وابن خلدون وغوستاف لوبون» وسيعكف أحد طلبة الدكتوراه فيها آنذاك على كتابة رسالة عن «الذرة عند فلاسفة الإسلام».. وفي كلية الشريعة ستنشأ

كذلك كراسى علمية جديدة لأصول الاجتهاد والقانون «المقارن» والشرعية الإسلامية ومذاهب المجتهدين وسواها، وسيعلم عن قيام طلبة الدكتوراه في الكلية بنشر مجموعات القوانين الجنائية والمدنية والاقتصادية والقانون الدولي في الشريعة الإسلامية، وستناقش رسالة للدكتوراه عنوانها أصول مذهبى الأوزاعى والليث بن سعد. . وستبادل الجامعات فى الشرق والغرب رسائل الأزهر العلمية.

ومن أهم حركات التجديد فى الأزهر توطيد النظام الجامعى ورفع مستوى الكادر الجامعى فى كلياته وتبادل الأساتذة بين الأزهر وشتى جامعات العالم، وستقوم الدول الإسلامية بعبء الأموال اللازمة للبعوث الإسلامية الأزهرية، وسيتولى الأزهر الإشراف على المساجد والمعاهد الكبرى فى العالم الإسلامى، وستعلن جامعة «هارفرد» عن قدوم أستاذ أزهرى زائر فيها لتدريس «أصول التشريع الإسلامى وأثرها فى نشأة علم الاجتماع وفى الحضارة العالمية».

ويومذاك سيكون للأزهر معاهد علمية ثقافية فى الخرطوم وإشبيلية والقدس وكراشى وبغداد ولندن وبرلين وباريس ونيويورك، وسترسل ثلاثون بعثة علمية لشتى جامعات الغرب. . وستستعين جامعة إيران وجامعة موسكو وبرلين ولندن والسوريون وجامعات الهند والصين وباكستان وسواها بأساتذة من الأزهر. ومن أهم ما سنراه فى الأزهر بعد عشرين عامًا تبادل الطلاب بين كلية اللغة وكليات الآداب فى مصر والغرب، وبين كليات الشريعة وكليات الحقوق، وبين كلية أصول الدين وكليات الفلسفة فى الغرب، وكذلك اعتراف الجامعات فى العالم بشهادات الأزهر العلمية، وسيدرس الطب العربى القديم فى الأزهر، وسيباح لخريجى كلية أصول الدين فتح «عيادات» نفسية للطب النفسى العلاجى. وسيكون لخريجى الأزهر دخول الكلية الحربية عامًا واحدًا يمنحون بعده رتبة عسكرية ويعملون فى الجيش فى شتى وحداته، وسيكون القائد العام للجيش المصرى آنذاك أزهرى التعليم، وسينشئ الأزهر كلية الجامعية للفتاة المصرية. . وستنال المعاهد الابتدائية حظها من الرعاية والتجديد والإصلاح، ويباح تبادل الطلاب بين الأزهر والمدارس الابتدائية والثانوية، وسيوحد الزى بين الأزهر والجامعات المصرية.

ويومئذ سيكون الأزهر الصرح الإسلامى الأكبر فى البلاد الإسلامية.

الأزهر حصن العربية

يعنى الأزهر فيما^(١) يعنى المعقل الذى حفظ الثقافة العربية ألف سنة ونيقاً، يسهر عليها ويزيد فيها وينفق منها على طلاب المعرفة فى الشرق والغرب، على حين دمر الجهل والكفر حصونها فى بغداد والأندلس.

ويعنى الأزهر فيما يعنى، الحصن الذى اعتصمت به اللغة العربية من عدوان الشعوبية والعامية والتركية حين استعجم اللسان واستترك السلطان وفشت الجهالة، وضعفت الخلافة وعز الناصر وذل الأهل.

ويعنى الأزهر فيما يعنى القبة الثانية التى يوجه المسلمون فى جميع أقطار الأرض قلوبهم إليها يتلمسون على هداها الطريق إلى الحق والسييل إلى الله.

ويعنى الأزهر فيما يعنى الملاذ للشعب المظلوم كلما عسفه الطغيان وبغى عليه الحكم فىأوى منه إلى ركن شديد وحام قادر.

ويعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، لا ييغون من وراء ذلك مالا ولا جاهاً ولا شهرة.

ويعنى الأزهر فيما يعنى الخانقاة التى آوت العباد والزهاد والحفاظ وحفظة وحملة البركة.

ويعنى الأزهر فيما يعنى القاعدة الروحية التى كان يخشاها المستعمرون فحاولوا سرّاً وعلناً أن يدمروها ليتقوها، فلما استيأسوا من تدميرها أو إضعاف تأثيرها سالوها وناققوها. ثم جهدوا أن يستميلوها ليستغلوها.

ويعنى الأزهر فيما يعنى، الصرح الوطنى الذى أوجع الثورات على الفساد، وخرج القيادات للجهاد، وقام من نهضة العرب الحديثة مقام الرأس واليد، يمدها بالروح ويرفدها بالقوة. ثار على الغزو الفرنسى بقيادة ستة من علمائه، وثار على

(١) مجلة الأزهر - عدد رمضان ١٣٨٠هـ - أحمد حسن الزيات.

الطغيان التركي بقيادة شيخه عبد الله الشرقاوى، وثار على ظلم الخديوى بقيادة ابنه أحمد عرابى، وثار على الاحتلال البريطانى بقيادة ابنه سعد زغلول.

كل أولئك يعنيه لفظ الأزهر، وأكثر من أولئك يلزم معنى الأزهر، ولكنى بسبيل الحديث عن نصيب اللغة العربية من فضل الأزهر فلا أخوض فى حديث غيره.

إن فضل الأزهر على اللغة العربية مستمد من فضل القرآن الكريم عليها؛ وبعض فضله أنه كسبها عذوبة فى اللفظ ورقة فى التركيب ودقة فى الأداء، وقوة فى المنطق وثروة فى المعانى. وكان سبباً فى استحداث العلوم الشرعية والأدبية التى حفظت مادتها بالقواعد وفى المعجمات، ووسعت دائرتها بالألفاظ والمصطلحات، كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه، والمعانى والبيان والبديع لتقرير الإعجاز فيه، وعلى اللغة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله، والحديث والأصول والفقه والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه، وهو الذى وحدها على كل لسان، ونشرها معه فى كل مكان. وحفظها أربعة عشر قرناً إلا قليلاً لا تفسد ولا تجمد ولا تتغير مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وحفظ القرآن يستلزم حفظ لغته، والناظر فى تاريخ الأديان السماوية والأرضية لا يجد ديناً حملته لغته التى أنزل بها أو كتب فيها إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب فى مدى ١٣٨٠ سنة ثم بقيت محافظة على قوتها وجودتها ووحدتها وطبيعتها إلا دين الإسلام ولغة العرب، أما سائر الأديان فلا تقرأ كتبها الأصلية إلا فى لغة البلد الذى ظهرت فيه. فإذا نقلت إلى بلد آخر عن طريق الدعوة قرئت مترجمة إلى لغته، واختص بمعرفة الأصل طائفة قليلة من رجال ذلك الدين، فمدونة الأسفار البوذية المسماة بالسلات الثلاث لا يقرأها أتباع هذه الملة فى الصين واليابان إلا منقولة إلى الصينية واليابانية، والتوراة والإنجيل - وهما كتابان منزلا - لا يقرآن فى العالم المسيحى إلا فى لغة كل قطر من أقطاره، لذلك ظل تأثيرهما فى الآداب الأخرى ضئيلاً حتى ترجما إلى اللاتينية والتونينية القديمة فظهر أثرهما قوياً فى الآداب الأوروبية.

وليس كذلك الحال في القرآن، فإن المسلمين اعتقدوا بحق أن لغته جزء من حقيقة الإسلام، لأنها كانت ترجماناً لوحى الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولساناً لدعوته، ثم هذبها النبي الكريم بحديثه ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده فالقرآن لا يسمى قرآنًا إلا فيها، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها، لذلك سارعوا إلى تعلمها والتكلم بها والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها والدعوة إليها حتى حلت محل الفارسية في العراق والرومية في الشام والقبطية في مصر والبربرية في المغرب، وأصبحت في عصر بنى العباس وهو عصرها الذهبي لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والإدارة والحضارة في أكثر الدنيا القديمة، وأصبح المسلم على اختلاف جنسه ينتقل من قطر إلى قطر في عالمه الإسلامي كما ينتقل من بلد إلى بلد في وطنه الأصلي، لا يجد مشقة في التفاهم، ولا صعوبة في التعامل، ولا شدة في المعيشة ثم شغل المسلمون -عربهم وعجمهم- بالقرآن وفرغوا له، فكان دعاءهم في المسجد، ونظامهم في البيت، ومنهاجهم في العمل، ودستورهم في الحكومة، فسرى هديه منهم مسرى الروح، وجرى وحيه فيه مجرى الطبع، وأثر في ألسنتهم وأفئدتهم وأنظمتهم تأثيراً لم يؤثره كتاب سماوى آخر في أهله ومن هنا كانت ثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين هما الدين بعلومه المختلفة واللغة بفنونها المعروفة، وهذان الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسكه، فالإسلام بغير العربية ينهم ويضمحل، والعربية من غير الإسلام تنكمش وتزول، واللغات السامية مدنية ببقائها للدين، فلولا اليهودية ما بقيت العبرية، ولولا المسيحية ما بقيت السريانية، ولولا الإسلام ما بقيت العربية، ولكن الفرق بين بقاء العربية وبقاء العبرية والسريانية هو الفرق بين الروح والدماء. أو بين العين والاثَر. والأزهر هو وارث النبوة وحامى العقيدة وناشر الدعوة لا يمكن أن تقوم رسالته إلا على هذين الركنين، وقد زادها بتأييد الله وتوفيقه تأدية أحلته من العالم الإسلامي كله محل الزعامة.

على أن فضله على علوم القرآن وعلوم اللسان قد يشاركه فيه بالكثير أو بالقليل طائفة من المدارس والجوامع أنشأها السلاطين في القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والنجف وقرطبة والقيروان والزيتونة، كالناصرية والقمحية والصلاحية والمؤيدية

والمنصورية والشيخونية والظاهرية والكاملية والنظامية؛ ولكن هذه المدارس التي عفى على أكثرها الزمن لم تستطع في حياتها منفردة أو مجتمعة أن تؤول الأزهري فضله الخالد على اللغة العربية في بقائها لسانًا للعلم ورباطًا للمسلمين إلى اليوم.

تحيقت الخطوب السود لغة القرآن في محنتين أشرفت فيهما على الموت لولا أن تداركها الله بفضلها: محنة الغزو المغولي في منتصف القرن السابع حين انتكث قتل العباسيين في العراق بتنافس الفرس والترك، وتحارب الشيعة والسنة، وذهاب جلال الخلافة من النفوس، فقوض هولاء عرشها سنة ٦٥٦هـ، وتضعض أمر الأمويين في الأندلس بتغلب البربر والموالي على ملكهم وتقسيمه بينهم إلى دويلات سهل على الفرنج ابتلاعها قطعة قطعة حتى ابتلعوها لقمة سائغة سنة ٨٩٨هـ. ودالت دولة الفاطميين في مصر والشام فوقعتا في أيدي الأيوبيين، ثم صارتا إلى المماليك وظلتا تحت سلطانهم حتى دخلتا في حكم الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٣هـ، فأتى على العرب ستون وخمسمائة عام لم يكن لهم فيها سلطان ولا ملك، فأصبحت ديارهم وآثارهم نهبًا مقسمًا بين المغول والترك والفرس والجركس ثم الأسبان بعد قليل، وكان أكثر هؤلاء الأعجام وحشيين أميين فخربوا الدور وهتكوا الخدور وفجعوا اللغة وآدابها وعلومها بتحريق المكاتب وتعطيل المدارس وتفويض المراسد وتقتيل العلماء. ناهيكم بما فعله التتار في بخارى وبغداد، والصليبيون بالشام، والإفرنج بالأندلس، فلو أن الزمان عفى على اللغة العربية وألحقها بأخوتها السامية لما كان ذلك خارقًا لطبيعة الأشياء ولا بدعًا في منطق التاريخ، ولكنها بقيت على الرغم من هذه الخطوب لسانًا للدين والعلم، ولغة للحكومة والأمة في بلاد المغرب ومصر والشام وبلاد العرب والجزيرة، ولولا نعمة الترك وعصبية الفرس لكانت لغة المسلمين كافة. والفضل في بقائها بعد إدبار الزمان والسلطان عن أبنائها، إنما كان لهذا الأزهري الجليل الذي اختصه الله بمزايا تميز بها على غيره، منها صبغته العربية الخالصة بحكم نشأته وبيئته، وموقعه الوسط بين الشرقين الأدنى والأوسط، فكان ملتقى المسلمين من هنا وهناك، ومنها قربه من الحجاز فكان طريق الحجاج والرحالين من علماء أفريقية والأندلس. ومنها تخريجه طائفة كبيرة من أعلام الفقه وأعيان الأدب جمعوا شتات اللغة والعلوم والآداب في أسفار أشبه بدوائر المعارف،

ومنها مكانته التي بلغت بعض المشكلات السياسية والاجتماعية، ومنها كفايته الأساتذة والطلاب مؤونة العيش بأن كفل لهم الغذاء والكساء والمأوى والكتاب، ومنها إيواؤه الناجين بحياتهم ودينهم وعلمهم وأدبهم وكتبهم من غارة المغول حين اكتسحوا خراسان والفرس والعراق، فكان من مهاجرة هؤلاء العلماء من الشرق والغرب إلى القاهرة من البحث والابتكار ما كان لمهاجرة علماء المسيحية من القسطنطينية إلى روما من البعث والازدهار. ومنها مناصرة الأيوبيين له بالمال والتعصيد؛ لأنهم وإن كانوا أكراداً قد تكلموا بلغة العرب وتأدبوا بأدب العرب ونبغ من بينهم الشاعر والعالم والمؤرخ، كالملك المؤيد عماد الدين أبى الفداء، والملك الأفضل على بن صلاح الدين، وكان هذا الملك ضعيف الرأى كثير الغفلة فغلبه عمه العادل أبو بكر وأخوه العزيز عثمان على ملك الشام ومصر، فكتب إلى الخليفة الناصر العباسى كتاباً يشكو إليه فيه ذلك، وقد بدأه بيتين من الشعر أجاد فى نظمهما كل الإجادة وهما:

مولاي إنا أبا بكر وصاحبه عثمان قد أخذ بالسيف حق على
فانظر إلى حرف هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول
يريد بأبى بكر عمه، وبعثمان أخاه، وبعلى نفسه، فأجابه الخليفة الناصر بقوله:
وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً بالصدق يخبر أن أصلك طاهر
غصبوا علياً حقه إذ لم يكن بعد النبى له يثرب ناصر
فاصبر فإن غداً عليه حسابهم وأبشر فتاصرك الإمام الناصر
والجزالة ظاهرة فى شعر الملك الكردي ظهور الركافة فى شعر الخليفة العربى!.

كذلك أقول فى الممالك فقد أيدوه وأمدوه؛ لأنهم اتخذوا مصر وطناً، والإسلام ديناً، والعربية لغة، وكان من بينهم شعراء عالجوا القريض وأجادوه كالسلطان الغورى، هؤلاء الممالك قد عضدوا العلماء وقربوا الأدباء، وشدوا أزر المعلمين والمؤلفين، حتى خرج الأزهري فى ظلهم أولئك الأئمة الذين استودع الله صدورهم ذخائر العلم والحكمة فأودعوها الكتب، وأخرجوها للناس: كجمال الدين بن منظور، وجمال الدين بن هشام، وشمس الدين النويرى، وابن فضل الله

العمري، وشمس الدين الذهبي، والحافظ بن حجر العسقلاني، وأبى العباس القلقشندي، وتقى الدين المقریزی، وبدر الدين العيني، وسراج الدين البلقيني، وبدر الدين الدماميني وشمس الدين السخاوي، وكمال الدين الدميري، وتقى الدين الدميري، وجلال الدين السيوطي، وتقى الدين القشيري المعروف بابن دقيق العيد.

لهذه المزايا انتهت إلى الأزهري في القرون الثلاثة السابع والثامن والتاسع زعامة الثقافة في جميع البلاد العربية والإسلامية، فحفظ وجود اللغة، ورفع سقوط الأدب، وجمع شمل العلم، ولولاه لانقطع ما بين الأديين القديم والحديث.

أما المحنة الأخرى التي امتحنت بها العربية وكان للأزهري الفضل في وقايتها وسلامتها فهي محنة الغزو التركي في أوائل القرن العاشر حين استولى السلطان سليم الأول على مصر والشام سنة ٩٢٣هـ فأصبحت الخلافة عثمانية عباسية، وعاصمة الإسلام القسطنطينية لا القاهرة، واللغة الرسمية التركية لا العربية، ومكث الغازي سليم في مصر بعد الغزو ثمانية أشهر سلبها فيها أنفُسَ أعلامها من الكتب والتحف والآثار لنوابغ الفنانين والمؤلفين الذين تخرجوا في الأزهري وأنتجوا في مصر مدى القرون الثلاثة التي سبقت الغزو العثماني، وأخذ الغزاة يغلبون لغتهم على اللغة العربية في الدواوين، ويطاردونها في المدارس، حتى كانوا يعلمون قواعد اللغة العربية باللغة التركية في الشام والعراق! ففشا في اللغة العامي والدخيل، وذهبت أساليبها من النظم والنثر، وخيم الظلم والظلام على النفوس فخدمت القرائع، وضعفت رغبة الحكام في العلم، وانقطعت أسباب الطلب له، واستطاع الترك أن يتركو كل شيء في مصر من سياسة وإدارة وتعليم وجيش إلا الأزهري، فقد راعهم ما أحسوا من جلاله وما سمعوا عن مجده، فوقفوا على أبوابه خاشعين يلتمسون منه العون على ما ينجم من أحداث، والرأى فيما يشكل من الأمور.

والسلطان سليم نفسه قد زاره مراراً فصى فيه وتبرك به. ومن قبل قد غزا الأزهري بلاد الأتراك بعلمه وأدبه وكتبه فعرب طائفة منهم تعلموا العربية وتكلموا بها وألفوا فيها كالفيروز أبادي وأبى السعود والفناري وملا خسرو والجامي والخيالي

وخوجه زادة وملا مسكين وملا لطفى وحاجى خليفة وطاشكبرى زاده وابن كمال باشا وكان سلاطين العثمانيين أنفسهم يدرسون العربية وآدابها كما كانوا يدرسون التركية وآدابها، ومنهم من قرض الشعر العربى ورواه كالسلطان أحمد الأول فقد رويوا له قصيدة غزلية مطلعها:

ظبى يصول ولا وصول إليه جرح الفؤاد بصارمى لحظيه

ولم تضعف عناية علماء الترك بالعربية إلا فى عهد السلطان محمود الثانى وابنه السلطان عبد المجيد الأول حين أحيا اللغة التركية وقربا مواردها وبسطا قواعدها وسمياها اللغة العثمانية، فأنتم ترون أن اللغة العربية قد أتى عليها ستة قرون قضتها بين الاحتضار والموت، ثلاثة منها فى العصر المغولى، وثلاثة أخرى فى العصر العثمانى، أمحت فيها من الهند وخراسان والعراق وبلاد الروم والأندلس، وبقيت فى الأقطار العربية بقاء المريض أشرف على الموت ولم يبق منه إلا زمن ذلك الرمق هو الذى كفله الأزهر وتعهده فغذاه وقواه ورعاه، حتى إذا انحجب عن مصر ققام الحكم العثمانى وأراد الله لشمس الحضارة أن تشرق مرة أخرى على وادى النيل زایل اللغة الوهن وسرت فيها الحياة، ففى الأزهر كان ملاذها وغيائها، وفى الأزهر كان بقاؤها وانبعائها.

كان الأزهر بعد انتهاء تلك الغمرة باحتلال نابليون، وابتداء هذه النهضة باستقلال محمد على، قائد الشعب فى الكفاح ورائد الحكومة فى الإصلاح، تمثلت قيادته فى شيوخه الأجلاء خليل البكرى، وعبد الله الشرقاوى، ومحمد المهدي وسليمان الفيومى، وحسن العطار. وتحملت ريادته فى طلابه النجباء الذين أرسلوا إلى أوروبا ليستفيدوا ويستزيدوا كإبراهيم النبراوى، وأحمد حسن الرشيدى، ومحمد على البقلى، ورفاعة الطهطاوى، وعلى مبارك، وتلك يد أخرى لهذا المعهد الجليل على اللغة العربية، ساعدها على النهوض، كما حماها من قبل دون السقوط.

وهناك محنة ثالثة تجتازها اللغة اليوم وتوشك أن تبلبل اللسان وتعطل القرآن وتقطع الدين عن أصله، وتفصل العربى عن أهله، وتهبط بالأدب من جبل

الوحي وهيكلك عطارده حيث الترفع والسمو والنبيل، إلى حضيض المادية حيث التسفل والتبذل والفحش.

تلك هي محنة الإباحية اللغوية التي تغلب العامية على الفصحى، وتؤثر أدب العامة على أدب الخاصة، وتفضل الموضوع المثير على الموضوع المنير، وتريد أن يكتب الكاتب وينظم الشاعر كما يشاء، لا يتقيد بقاعدة من نحو ولا قياس من صرف ولا نظام من بلاغة ولا وزن من عروض ولا مثال من خلق. ولهذه المحنة أو المشكلة أصلاً: الاستعمار والجهل. أما الاستعمار فلأنه رأى أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف أقطارهم وتباعد ديارهم هي الدين واللغة، ومادامت أمة محمد روحاً واحداً بالإسلام، ولساناً واحداً بالعربية، فإن استغلالها موقوت وإن طال، وإن استقلالها آت وإن تأخر، لذلك سعت فرنسا سعيها الدائب في الجزائر لفتنه البربر عن دينهم بإصدار الظهير المعروف، وقطع العرب عن لغتهم بطردها من المدارس والدواوين. ولكن دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا، ولغة المصحف كانت أمضى من لغة السيف. واكتفت إنجلترا على عاداتها من الدهاء والكياسة بمحاربة الفصحى فدعت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشريها ومشتريها؛ لأن اللغات العامية تختلف في البلاد العربية اختلافاً شديداً يكاد يجعل من كل لهجة لغة مستقلة. وإذا انهزمت أمامها اللغة المشتركة وهي الفصحى استحال التفاهم وضعفت العقيدة، وانقطعت الصلة، وتفرقت الوحدة، وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يلتقمها لقمة لقمة فلا يغص ولا يشجى. ولكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار في الشرق، وقوة الوعي في العرب. وأما الجهل وهو الأصل الآخر لمحنة اللغة العربية فقد خلف الاستعمار في هذه الدعوة المجرمة، والمراد بالجهل جهل أبناء العربية بها، وعزوفهم عن علومها وأدبها، وهو جنابة المدرسة المدنية الحديثة، فقد فشلت بعد طول الزمن وكثرة التجارب في تخريج القارئ الذي يقرأ بفهم، والكاتب الذي يكتب عن علم، والمفكر الذي يفكر عن أصالة، وليس أدل على هذا الفشل من أن الطالب يتعلم النحو عشر سنين دأباً ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يعبر عن فكره تعبيراً صحيحاً لا بلسانه ولا بقلمه، فإذا دفعه استعداده الأدبي إلى الكتابة أثر العامية على الفصحى ودعا إلى التحلل من القواعد

والقيود ليجعل الفوضى نظاماً والخطأ مذهباً والعجز شركة. كانت علوم العربية تدرس في الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى وفيما يجرى على منهجه من معاهد لبنان وسورية والعراق والمغرب دراسة عميقة تمكن الطالب المجتهد المستعد من فهم ما يقرأ وفقه ما يعلم وتعليل ما ينقد وتحليل ما يذوق. فإذا اتصل النظر بالعمل واقرن الحكم بالتطبيق وصادف ذلك استعداداً فى المتعلم ظهر الكاتب الذى يكتب فيجيد، والشاعر الذى ينظم فيبدع، والناقد الذى يحكم فيصيب، أما إذا فتر الاجتهاد وضعف الاستعداد ظهر الأديب العالم الذى يهيمُّ الوسائل ويقرب المناهل ويوجه المواهب ويسدد الخطى، ومن هاتين الفتتين تستمد الحركة الأدبية عناصرها الحيوية فتقوى لتزدهر وتنمو لتنتشر وتسمو لتخلد. وكان من خريجي هذا المنهج القديم أولئك الأدباء الأصلاء الذين حفظوا تراث اللغة وجددوا شباب الأدب وأسسوا هذه النهضة الأدبية الحديثة، ولا يزال من هذه الطبقة الكريمة فئة قليلة فى أقطار العروبة تستبطن لغتها وتعمق أدبها وتعرف لماذا تكتب الجملة على وضع دون آخر، فإذا خلا المجتمع بعد أجل طويل أو قصير فهل يخلف من بعدهم خلف يحملون أمانة اللغة ويبلغون رسالة الأدب؟

الجواب عن هذا السؤال عند الأزهر وحده؛ فهو بحكم طبيعته وعلة وجوده معتصم اللغة ومنجاها فى الماضى والمستقبل، أما المعاهد الأخرى فكل شىء فيها يبعث على التشاؤم: منهج تطبيقى يكاد يخلو من القواعد، وتعليم سطحي مقتضب لا هدف له إلا اجتياز الامتحان العام بأية وسيلة، فالمطلوب تختصر، والمختصرات تختزل، فلا يبقى بعد ذلك فى ذاكرة الطالب إلا رموز على معان عائمة غائمة لا هى مستقرة ولا هى واضحة. ذلكم إلى زهادة فى الجدل النافع من ثقافة اللسان والقلم تقعد النشء عن تعمق الأصول وتقصى الفروع، وتقنعهم بالقدر الذى ينقلهم من سنة إلى سنة أو من شهادة إلى شهادة، فإذا ما تخرج الناشئ بهذا الحظ المنكود من اللغة وكان فى نفسه ميل إلى الأدب، وفى طبعه استعداد للكتابة، انصرف عن كنوز الأدب العربى، لأن مفاتيحها ليست عنده، وأقبل على روائع الأدب الغربى يحاكيها ويستوحىها حتى إذا امتلأ ذهنه وفاض شعوره وأراد أن ينتج شيئاً يفيد الناس وجد فى نفسه الملكة التى تخلق وفى حسه

الصورة التى تمتع، ولكنه لا يجد فى لسانه اللغة التى تعبر، ولا فى قلبه الأسلوب الذى يؤثر، فيضيق ويسخط ويثور، ويزعم أن قواعد اللغة غصة لا تساغ، وأن إعراب الكلمة عقبة لا تذلل، ثم يتطرف فيدعو إلى إطلاق الحرية للكاتب فيكتب كما يشاء.

تلك حال المتخرج الأديب بطبعه أما المتخرج العادى فإنه يعود أمياً كما بدأ، لا يقرأ إذا قرأ إلا السهل، ولا يطلب هذا السهل إلا فى قصة عامية تخدر الشعور، أو فى مجلة فكاهية تنبه الشهوة، حتى تنشأ من إفراط القراء فى هذا الطلب، إفراط الكتاب الخفاف عن عرض الأدب اللذيذ الذى لا ينفع، أو الأدب الماجن الذى لا يرفع، ذلكم إلى طغيان الأدب الأوروبى بمذهبه ونزعاته وترهاته على عقول النائيين الذين ثقفوا هذه الثقافة الأدبية الهشة ففتنتهم عن أدبهم وصرفتهم عن تاريخهم، فالمتفرنسون منهم يعرفون هوجو ولا يعرفون المتنبى، ويدرسون فولتير ولا يدرسون الجاحظ، ويقرءون لا مرتين ولا يقرءون البديع، ومن هنا نشأت هذه التبعية التى فرضها الشباب على أدبنا لأدب الغرب، فأساليبهم الكتابية اليوم هى أساليب الكتابة فى الغرب، ومذهبهم الأدبية هى مذاهب الأدب فى الغرب، ومقاييسهم النقدية هى مقاييس النقد فى الغرب، حتى الرمزية وهى بنت الأفق الغائم والنفس المعقدة واللسان المغمم يريدون أن تتبناها العربية بنت لصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح، وحتى الوجودية وهى بنت الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة، يحاولون أن تتقبلها العربية لغة الرسالة الإلهية التى كرمت الإنسان وفصلته من سائر الحيوان بحدود من الدين والخلق لا يتعدها وهو عاقل، ولا يتحداها وهو مؤمن.

ليس الأمر فى الأدب كالأمر فى العلم، الأدب والعلم للناس، الأدب مواطن والعلم لا وطن له؛ الأدب روح فى الجسد ودم فى العروق يكون شخصية الفرد فيحيا مستقلاً بنفسه، ويبرز شخصية الشعب فيحيا متميزاً بأفراده، الأدب جنس ولغة وذوق وبيئة وعقيدة وتاريخ وتقاليد. والعلم شئ غير أولئك كله، فإذا جاز طبعاً أن تأخذ من غيرنا ما يكمل نقصنا من العلم، فلا يجوز قطعاً أن تأخذ من هذا الغير ما يمثل أنفسنا من الأدب.

إن دراسة العربية على النهج الصحيح المنتج بعد المدرسة لا يكلف المتأدين من الجهد والزمن أكثر مما تكلفهم دراسة الفرنسية والإنجليزية: ولكنهم فى عصر السرعة يطلبون القريب ويتوخون السهل ويتخطفون العلم ويتعجلون الإنتاج، ثم يحققون على ما يلزمونهم التأنى ويجشمونهم الدرس ويقولون لهم إن أحداً لا يعرف فى تاريخ الأدب القديمة والحديثة من يعد فى لغته كاتباً أو شاعراً أو قصاصاً أو مؤلفاً، وهو لا يعرف من قواعدها الأساسية ما يقيم لسانه وقلمه، وإذا كان الناس يقرءون الصحيفة أو الكتاب ولا يقعون فيها على الخطأ الذى يفضح المستور ويكشف الغش فالفضل لأولئك الجنود المجهولين من الأزهرين الذين يرابطون ليل نهار فى دور الصحافة والنشر ويسمونهم المصححين؛ فإنهم يرون بأقلامهم الحمر على المعوج فيستقيم، وعلى المعجم فيعرب، وعلى الركيك فيقوى.

لا بأس أن ييسر النحو والصرف والبلاغة على الطلاب: ولكن البأس كله فى المدى الذى بلغه هذا التيسير، لا بأس أن نخفف على غير المتخصصين من عبء التقديرات والتعليقات التى فلسف بها النحاة النحو، ومن حفظ وجوه الإعراب التى بقيت فى اللغة أثراً لاختلاف اللهجات فى الجاهلية فشوهت القواعد وجعلت كل خطأ صواباً وكل صواب خطأ، ولكن البأس كله أشبه بالهيكل العظمى، فيه الخفة والبساطة والشكل، وليس فيه العضل والعصب والروح. إن ما يبقى من هذا المنقوص بعد النسيان، لا تحيا به لغة ولا يبقى عليه أدب، فإذا استطاع يوماً أن يجيز امتحاناً أو ينيل شهادة فلن يستطيع أبداً أن يخرج أمثال من خروجهم الأزهر بشيوخه وكتبه، كمحمد عبده، وسعد زغلول، والمنفلوطى، والبشرى، وطه حسين، ولا أمثال من خرجتهم دار العلوم كشاويش، والمهدى، والخضرى والسكندرى والجارم ولا أمثال من خرجتهم مدرسة القضاء الشرعى. كأحمد أمين وعزام والخولى. ولا أمثال من خرجتهم دار المعلمين العليا، كالمازنى وشكرى وأبو حديد. ولا أمثال من خرجتهم كتب الأزهر كالعقاد، والرافعى، وشوقى، وحافظ فى مصر. وكالبستانيين واليازجيين، والشدياق ومطران والخورى فى لبنان. وكالمغربى والشهابى، وجبرى، والطنطاوى، فى سوريا. وكالرصافى، والزهاوى وكاشف الغطاء، والشببى، والأثرى فى العراق، وكالنشاشيبي والسكاكيني فى فلسطين.

إنى أدعو إلى التوفيق بين الفصحى والعامية، ومذهبي في مجمع اللغة العربية إمداد الفصحى بما تزخر به العامية من ألفاظ الحضارة وتراكيبها التي دخلت في الحياة العامة حتى تضيق مسافة الخلف بين اللهجتين وينتهي بها الأمر بفضل الصحافة والإذاعة والتعليم إلى لغة واحدة عامة فيها من الفصحى السلامة والجزالة والبلاغة والسمو، وفيها من العامية الدقة والطبيعة والحيوية والتجدد والوضوح. أما أن تكون لغتنا كلغة الهمج لا تقوم على قواعد، ولا تجري على أنظمة، ولا تشعرنا بجمال، ولا تحفزنا لكمال، ولا تربطنا بماض، ولا تصلنا بمستقبل، ولا تجمعنا في وحدة، فذلك مذهب لا يقول به رجل وهو جاد، ودعوة لا يستجيب لها إنسان وهو عاقل.

فإذا تركنا الأمور تجري كما تجري انتهت بنا إلى تغلب العامية لأن أساليبها غالبية على السمع، وقواعدها جارية على الطبع، فلا يحتاج تحصيلها إلى كتاب ومعلم ومدرسة، وإنما يحتاج إلى بواب وخادم وشارع وتغلب الأساليب العامية معناه كما قلت فصل الأدب عن الدين وقطع الحاضر عن الماضي وتوهين الصلات بين العرب. وفي يقيني أن أمر العربية لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله: فقه أسرارها كل الفقه، وفهم قواعدها أدق الفهم، وحفظ أدبها أشد الحفظ، وذلك يستلزم الجهد والجد في إعداد المعلم، والعلم والخبرة في وضع المنهج، والمنطق والذوق في تأليف الكتاب، والكتاب الأزهري الذي تخرجنا عليه وما زلنا نرجع إليه كنز من المعارف لا يعوزه إلا سهولة مأخوذه وحسن تنسيقه وجمال عرضه، فالفرق بينه وبين الكتاب الحديث في العرض كالفرق بين حانوت من حوانيت العطارة في الغورية، وبيت من بيوت التجارة في قصر النيل، قد يكون في الحانوت القديم ما ليس في المتجر الحديث من السلع التواجر والطراف النوادر؛ ولكن اختفاءها في ركن غير ظاهر، وعرضها في معرض غير لائق، يضعف الإقبال عليها ويقلل الاستفادة منها، فإذا عرضت الكنوز الأهرية عرضاً جميلاً مشوقاً في الدروس والمحاضرات والمذكرات والكتب كان ذلك خليقاً أن يدني قلوبها من الطلاب على غير مؤونة ولا كد ذهن.

إن رسالة الأزهر قائمة كما قلت على ركنين من دين ولغة، ولكن الأمر في تأديته إياها جد مختلف. الدين كامل لأنه من عمل الله، واللغة ناقصة لأنها من عمل الإنسان، والكمال الإلهي لا يتأثر بالمكان ولا بتغير الزمان ولا يضيق بالحضارة ولا يبرم بالعلم، فهو جديد أبدًا، صالح أبدًا، ثابت أبدًا. أما الناقص فهو عرضة للفساد والجمود والتخلف، وموضع للزيادة والتجديد والتطور، لذلك كان الاجتهاد في اللغة وعلومها أمرًا تحتمه الضرورة وتقتضيه الطبيعة؛ لأن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبوت الدين، ولا أن تستقل استقلال الحى، فهي الفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، والأغراض لا تنتهى، والمعانى لا تنفذ، والناس لا يستطيعون أن يظلوا خرسًا، وهم يرون الأغراض تتجدد والمعانى تتولد، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع، والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلح، ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورين فى حدود الزمان والمكان لم يتنبأوا بحدوث هذه الأشياء، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء.

نشأ من إنكار حق الوضع اللغوى على المولدين وحصره فيمن يعتد بعريبتهم من عرب الأمصار حتى آخر المائة الثانية، أو أعراب البوادي حتى آخر المائة الرابعة، أن طغت اللغة العامية طغيانًا جارفًا حصر اللغة الفصحى فى طبقات العلماء والأدباء والشعراء والكتّاب يكتبون بها للملوك، ويؤلفون فيها للخاصة، وسيطرت على حياة الأمة فى شئونها العامة وأغراضها المختلفة؛ لأن العامية حرة تنبى على القيد، وطبيعية تنفر من الصنعة، فهي تقبل من كل إنسان، وتستمد من كل لغة، وتصوغ على كل قياس. والناس فى سبيل التفاهم يؤثرون السهل، ويستعملون الشائع، ويتناولون القريب. وتخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجمود. والنهية المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلولها محلها، وقد تنبه مجمع اللغة العربية لهذا الخطر فقرر فيما استجابة لاقتراح عرضته، فتح باب الوضع اللغوى للمحدثين بوسائله المعروفة من الاشتقاق والتجوز والارتجال، وإطلاق القياس ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس. وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالبنائين والنجارين وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات، واعتماد الألفاظ المولودة

وتسويتها بالألفاظ القديمة، وعلى هذه المبادئ وغيرها وضع معجمه الوسيط الذى سيظهر قريباً.

أما الاجتهاد فى الدين فقد فتحت أبوابه أول الأمر لمن تجهز بجهازه واعتدبه بعدته، حتى إذا زخر الفقه الإسلامى على اختلاف مذاهبه ومدى عصوره بالآراء المحكمة والوجوه المحيطة، وجد فيه المسلمون جواباً شافياً عن كل سؤال يخطر على الذهن، وحلا جامعاً لكل إشكال يعرض فى المجتمع، وحكماً عادلاً فى كل قضية ترفع إلى القضاء، فاستغنوا بغزارته وإحاطته عن الاجتهاد فيه، وانصرفوا إلى اجتهاد من نوع آخر هو الاجتهاد فى اختيار رأى المناسب، وترجيح الحكم الموفق. جاء فى كتاب الولاة والقضاة للكندى أن قاضياً شافعى المذهب كان بمصر فى عصر الإمام الطحاوى وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه يحقق لم يستطع أحد أن يطعن عليه فى دينه ولا فى خلقه ولا فى حكمه، سأل هذا القاضى الإمام الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الوقائع فقال الطحاوى: أتسألنى عن رأى أو عن رأى أبى حنيفة؟ قال القاضى: ولم هذا السؤال؟ قال الطحاوى ظننتك تحسبنى مقلداً فقال القاضى: لا يقلد إلا عصبى أو غبى. هذه الثروة الفقهية الضخمة لم يحجبها عن الناس إلا أسلوب التأليف القديم، واليوم وقد تطورت المدنية وتغيرت العقلية ينبغى أن يطابق التعليم والكتاب مقتضيات العصر. هذه المحنة الثالثة التى تعانىها اللغة العربية اليوم.

وهى لا تختلف عن سابقتها إلا فى أن موقف الأزهر منها يجب أن يكون إيجابياً: يقابل العمل بالعمل، ويرد الكيد بالكيد، ويقاوم الدعاية بالدعاية، ويقف بالمرصاد لكل من يسول له جهله أو هواه أن يعيث بلغه الإسلام، ويوهن رابطة العرب. والأزهريون الذين حملوا أمانة الله، وبلغوا رسالة نبيه أكثر من عشرة قرون يستطيعون أن يدرءوا خطر هذه الإباحية عن اللغة والدين، متى صدقوا الجهاد، وذكروا أنهم جند الله، يرمى بهم العدو فى كل وقت وفى كل أرض وعلى أية صوره، فيعيشون للموت كالجنود، ويعملون للحياة كالقادة، ويعزفون عن الدنيا كالرسل، والله سبحانه وتعالى قد ضمن للعربية بقاء البيان بقاء القرآن وعلى أيدي الأزهر - المؤمنين برسالته - صدق الله وعده، إن الله لهو خير الصادقين.

الأزهر من بعيد.. ومن قريب

كتب محمد زكى عبد القادر فى يومياته فى الأخبار عام ١٩٦١ يقول:

الأزهر عزيز علىّ جدًّا، لا لأنه منارة الإسلام والمسلمين عبر قرون طويلة فحسب، ولكن لأنه اقترن بصباى، فقد كان عمى طالبًا فى الأزهر وكنت تلميذًا بالمدارس الثانوية أقيم معه ويرعى شئونى وأنا وهو مغتربان فى القاهرة لطلب العلم.. وكنت لهذا ألتسمه فى فناء الأزهر، وأراه يشهد الدروس، فأجلس معه استمع فلا أفهم ولكننى أعجب لطول الدرس وطول الأناة ويشوقنى أن أرى الشيخ يلقي ما يلقي ويسأل من وقت إلى آخر: ظاهر.. ظاهر.. فيسمع همهمة تقول: ظاهر يا سى الشيخ.

وكنت أخشى الأزهر عند الامسيات حين أكره وحدتى فى مسكنى، فيقول عمى: لا عليك.. هات كتبك واجلس معنا ذاكر دروسك.. وكنت فى سن صغيرة أخشى فيها الوحدة، فأوثر أن أحمل كتبى. وأخذ مقعدى كما كان يفعل طلاب الأزهر حينئذ، جالس على الحصر الممدودة، ومن فوقهم قناديل بيضاء جميلة، ترسل نورًا كليلًا، ولكنه كاف لكى أرى وأقرأ من غير صوت ولكى يروا ويقرأوا بصوت، يجتمع مع الأصوات الأخرى، فإذا الأزهر كله خلية نحل لا تكف عن الهمهمة، بل ما يشبه الضجيج.. وكان كلاهما يحول بينى وبين أن يأخذنى النوم الذى كان يطاردنى إذا أثرت أن أبقى فى البيت.

وفرغت من دراستى الثانوية، والتحقت بكلية الحقوق، وعمى يرعانى، وصلتى بالأزهر لا تنقطع، أغشاه لكى أقرأ وأدرس، وأغشاه لكى أجلس إلى زملاء عمى من طلاب الأزهر، وأنصت أحيانًا إلى ما يقرأون فلا أفهم شيئًا أيضًا على الرغم من أننى حينئذ كنت قد بلغت من الفهم والدرس ما أفضى بى إلى الدراسة الجامعية..

ومرت الأيام وتخرجت، وافترقت الحظوظ بينى وبين من عرفت من طلاب الأزهر، ولكن صورة الأزهر ظلت خيالاً يلازمى طوال حياتى، وقرأت ما قرأت ووعيت ما وعيت وأدركت من تاريخ الأزهر الكثير، واقتربت القراءة عنه بالصورة التى كابدتها وعرفتها وثبتت فى خيالى.

وكننت أزوره بين الوقت والآخر، صحيح أن الفترات بين زيارتى كانت متباعدة، ولكننى كنت أزوره لكى تظل صورة هذا المسجد العتيق العريق الأمين حية فى خاطرى وقد اقتربت فى حياتى بمطلع صباى، وقرأت تاريخه منعماً متأملاً، وقارنت بين مراحل تاريخه والمرحلة التى كان يعيش فيها، فوجدت الفرق الكبير بين الصورتين. . كان الأزهر فيما مضى ومنذ إنشائه إلى تاريخه الوسيط منارة العلوم الدينية والدنيوية، كان ينبوع المعرفة فى الطب والفلك والهندسة والكيمياء والجغرافيا إلى جانب المعرفة فى علم الدين. كان يقدم للوطن والإسلام خلاصة الرجال الذين رفعوا ذكره ورفعوا عنه العدوان. . كان المنارة التى تشع المعرفة بكل أنواعها فى العالم الإسلامى والعالم العربى. ثم شاءت ظروف الحكم والسياسة وقهر الشعب أن ترد الأزهر بعض الشيء عن المشاركة الفعلية فى حياة البلاد، فقصرته على دراسة الدين وفصلته أو كادت عن شئون الدنيا المتطورة من حوله. وليس هذا فى شيء من الدين ولا هو فى شئ من الإسلام، فالدين لا يفرق بين شئون الدين والدنيا، والإسلام منذ وجد منهج للحياة، ومشاركة خالصة فى سعادة الإنسان فى الدنيا بحسابه عضواً فى جماعة متطورة لا بد أن يأخذ حظه من العلم والحضارة والتقدم المادى.



الأزهر الخالد

تمهيد:

الأزهر هو أعرق الجامعات العلمية في العالم، فهو أطولها عمراً وأجلها أثراً في تاريخ الفكر العربى والإسلامى، بل في تاريخ العلم كله.

والأزهر طوال عصور التاريخ حارس التراث العربى وحامل مشعل الثقافة الدينية، والملاذ الذى تهوى إليه أفئدة المسلمين من كل مكان، والضوء الذى ينير لهم الطريق ويصرهم سواء السبيل.

وللأزهر مكانة كبرى في مصر والعالم الإسلامى جميعه، وآراء وفتاوى علمائه تقابل من كل مسلم في العالم الإسلامى بمزيد من التقدير والإجلال والطاعة.

ولم تقم في مصر جامعة علمية بالمعنى الصحيح قبل الأزهر، الذى له تاريخ طويل وذكريات مجيدة وآثار علمية ودينية عديدة.

من تاريخ الأزهر:

أنشأ الجامع الأزهر جوهر الصقلى قائد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بعد فتحه مصر بنحو عام، وقد شرع فى بنائه يوم السبت بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ - ٩٧٠م، ويذكر بعض المؤرخين أنه شرع فى بنائه فى يوم السبت الرابع من شهر رمضان فى العام نفسه، وقد كمل بناؤه لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦١هـ - ٩٧٢م، وكان الغرض من إنشائه أن يكون رمزاً للسيادة الروحية للدولة الفاطمية - ومنبراً للدعوة التى حملتها هذه الدولة الجديدة إلى مصر.

وقد أطلق على هذا المسجد اسم الأزهر نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء التى ينتسب إليها الفاطميون، أو لأنه كان يحيط به قصور فخمة تسمى بالقصور الزهراء، أو لأنه كان يظن أن هذا الجامع أكثر الجوامع فخامة ورواء، أو للتفاؤل بأنه سيكون أعظم المساجد ضياءً ونوراً.. وقد احتفل بافتتاحه فى أول جمعة من رمضان عام ٣٦١هـ.

وأصبح هذا الجامع مسجد الدولة الرسمي، وقد حرص وزير المعز يعقوب بن كلس على أن يقيم حفلة علمية في الأزهر، حيث كان يقرز على الناس في مجلس خاص يوم الجمعة مصنفاته في الفقه الفاطمي، كما كان يجتمع يوم الثلاثاء بالفقهاء وجماعة المتكلمين وأهل الجدل، وحرص الخليفة كذلك على تكليف كبار العلماء بإقامة حلقات علمية في أروقة الأزهر لتدريس الفقه الفاطمي، وكان يمنحهم مرتبات شهرية. ولهذا صار الأزهر جامعة علمية، وظهر ذلك جلياً حينما بدأت حلقاته تتحول إلى دراسة جامعية علمية مستقرة. وذلك عام ٣٧٨هـ - ٩٨٨م حينما استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر، وكان عددهم ٣٧ فقيهاً.

وفي عام ٣٨٠هـ رتب المتصدون لقراءة العلم بالأزهر. . وبذلك صار الأزهر معهداً جامعياً للعلم والتعليم والدراسة. ومن هذا التاريخ يبدأ الأزهر حياته العلمية الجامعية الصحيحة.

وقد استمرت الحركة العلمية والدينية في الأزهر قوية مزدهرة في عهد الفاطميين الذين وقفوا عليه الوقوف وأحاطوه بالرعاية، وكان في مقدمة الأساتذة المدرسين في الأزهر بنو النعمان قضاة مصر.

. ولما قامت الدولة الأيوبية في مصر عام ٥٦٧هـ. على يد مؤسسها السلطان صلاح الدين الأيوبي، محا من مصر المذهب الفاطمي وأحل محله المذهب السني، وغالى الأيوبيون في القضاء على كل أثر للشيعه، وأفتوا بإبطال إقامة الجمعة في الأزهر. . فلبثت معطلة فيه نحو مائة عام، ففضى الأزهر هذه المدة في ركود طويل، وقد ظلت حلقات الدراسة فيه على الرغم من ذلك مستمرة دون أن تحظى هذه الحلقات في ذلك العصر بكثير من رعاية الدولة.

وفي عام ٦٦٥هـ أعيد افتتاح الأزهر لصلاة الجمعة في عهد بيبرس الذي شجع العلم فيه هو والأمراء والقواد، ووقفوا عليه الأوقاف الطائلة. . واستمر الأزهر يؤدي واجبه الديني والعلمي في عهد المماليك وعهد الدولة العثمانية وعهد النهضة المصرية الحديثة.

وأول شيخ تولى مشيخة الأزهر كما يحدثنا التاريخ هو الشيخ الخراشي المالكي المتوفى عام ١١٠١هـ وتولى بعده الكثير من مشايخ الأزهر حتى بلغوا حتى اليوم ٤١ شيخًا آخرهم شيخ الأزهر الحالي الشيخ عبد الرحمن تاج^(١).

وفى عهد محمد على وأسرته انتقصت أوقاف الأزهر وحقوقه، ولكنه ظل يؤدي واجبه العلمى والدينى بنشاط كبير. ومن الأزهر كان طلبة البعث الذين بعث بهم محمد على إلى أوروبا وعادوا إلى مصر ينشرون العلم والمعرفة والنهضة فى كل مكان، وكانت جل المدارس التى أنشأها محمد على تأخذ طلبتها من طلبة الأزهر الشريف، ولما أنشئت دار العلوم عام ١٨٧١م ومدرسة القضاء الشرعى عام ١٩٠٧م استمدتا طلبتهما من الأزهر. وكان مدرسو الدين واللغة العربية فى جميع مدارس الدولة ومعاهدها من خريجي الأزهر الشريف. وكذلك كان طلبة مدرسة المعلمين الأولية وأساتذتها.

وقد قام الأزهر بنشاط كبير، وأسهم بنصيب ضخم من الجهاد الوطنى فى جميع المواقف القومية الوطنية، فهو الذى قاوم الاحتلال الفرنسى لمصر، وهو الذى أذكى لهيب الثورة العربية، وهو الذى غذى ثورة عام ١٩١٩، وله فى كل موقف وطنى جهاد مذكور مشكور.

ومنذ آخر القرن التاسع عشر إلى عصرنا وضعت قوانين منظمة لشئون الأزهر. ومن أشهر هذه القوانين قانون عام ١٩٣٠م بإصلاح الأزهر الشريف، وآخر هذه القوانين قانون عام ١٩٣٦م الذى يسير الأزهر عليه اليوم فى نظامه الجامعى والعلمى، وفى تقسيمه إلى معاهد وكليات^(٢).

فضل الأزهر على العلوم والآداب:

الأزهر بيت العلم العتيق ومثابة الثقافة الإسلامية. حمل لواء المعرفة فى مصر وفى الشرق الإسلامى قرونًا متصلة وحفظ التراث الإسلامى فى الدين واللغة والعلوم ونشره على الآفاق طيلة ألف سنة أو يزيد. وقد تخرج فيه أفواج من

(١) وآخرهم الإمام الشيخ أ.د محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر حاليًا.

(٢) راجع الأزهر فى ألف عام - ٣ أجزاء - تأليف محمد خفاجى

العلماء خلال عصور التاريخ ممن انتشروا في بقاع الأرض وحملوا معهم مشاعل المعرفة والثقافة التي تزود بها الأزهر فأضاءوا الأرض علماً ونوراً ورشاداً.

ولا يزال الأزهر حتى اليوم كعبة العلوم والآداب ومعقد آمال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

والأزهر هو الذي حفظ العلوم الإسلامية واللغة العربية من الضياع والاندثار وهو الذي حفظ للأدب العربي في شتى بلاد العروبة، رونقه وبهاءه. وقد تخرج فيه العديد من العلماء والأدباء والكتاب والخطباء والشعراء في كل عصر وكل جيل.

أثر الأزهر في التوجيه الديني:

والأزهر منذ أنشئ حتى اليوم هو الذي يتولى قيادة الحركة الدينية في العالم الإسلامي، وآراء شيوخه في الحجة القوية التي يقابلها المسلمون في شتى بقاع الأرض بالطاعة والامتثال والقبول. وقد خرج الأزهر الكثير من رجال الدين منذ أنشئ إلى اليوم، وخريجوه هم الذين تولوا قيادة الحركة الدينية في كل مكان من بلاد العالم الإسلامي.

وفي الأزهر هيئة كبار العلماء التي أنشئت بمقتضى قانون عام ١٩١١م. وفيه كذلك لجنة للفتوى عام ١٩٣٧م، وهاتان الهيئتان لهما أثر كبير في التوجيه الديني في العالم الإسلامي.

ومن أعلام الأزهر وأئمنته في التوجيه الديني الإمام محمد عبده (١٢٦٦هـ - ١٩٠٥م) وله فضل كبير في الإصلاح الديني وفي إصلاح الأزهر.

ومن أعلامه كذلك محمد مصطفى المراغي، ومصطفى عبد الرازق وسواهما، ممن قادوا الحركة الدينية ووجهوها توجيهاً قوياً في العالم الإسلامي كافة.

والأزهر بحق قائد الحركة الدينية في العالم الإسلامي قاطبة.

مكانة الأزهر في العالم الإسلامي:

ولقد ورث الأزهر الحديث ميراثاً روحياً وثقافياً ضخماً جليلاً عن الأزهر القديم، ورث عنه الرسالة الدينية التي قام بها منذ أن أنشئ لحمل أمانتها، والتي أخذها

بكلتا يديه ليؤديها إلى العالم شعلة مضيئة هادية، ومثلاً إنسانياً رفيعاً، ومذهباً فكرياً قادراً على قيادة الحياة والبشرية جميعاً إلى السلام والإخاء والأمن والرفاهية.

وورث عنه الرسالة الثقافية التي جاهد من أجلها أجيالاً طوالاً، والتي قامت عليها أروقتة ومحاربه وقبابه ومآذنه الشم، ودأبت على الكفاح فى سبيلها حلقاته الطاهرة، التى تجمع فيها شباب المسلمين - من شتى الأقطار والشعوب- على كلمة الحق والتقوى والمعرفة، استجابة لأمر الله، وتحقيقاً لفكرة الإسلام، وسعيًا وراء الحقيقة التى هى أكبر محرر للأمم والجماعات والأفراد، من أغلال الجهل والجمود والتأخر.

وعاشت حلقات الأزهر الجليلة طويلاً خلال هذه الأجيال، وهى تحمل عن العالم الإسلامى رسالة الإسلام الروحية والدينية والثقافية، وتؤديها ناصعة بيضاء كخيوط الفجر، مشرقة هادية كضوء الشمس، ومن هذه الحلقات تخرج زعماء العالم الإسلامى فى القديم، وكانت عن جدارة بمثابة مصنع يصنع الرجال والأبطال، ممن قادوا الشعوب الإسلامية إلى النهضة، والحضارة والعزة، مما جعل للأزهر مكانة كبرى فى العالم الإسلامى.

مواقف خالدة للأزهر:

ولا ننس أن الأزهر قد قاد فى القديم ثورتين كبيرتين تعدان من أسبق الثورات الدستورية العالمية، قاد إحداهما عام ١٢٠٠هـ - يناير ١٧٨٦م الشيخ الدردير، وقاد الأخرى عام ١٢٠٩هـ - ١٧٩٥م شيخ الأزهر فى ذلك الوقت الشيخ عبد الله الشرقاوى، وكسب الشعب المصرى من الثورة الأولى مبدأ دستورياً جليلاً هو وجوب احترام الحاكم لإرادة المحكومين، وكسب من الثانية مبدأ آخر هو أن الأمة مصدر السلطان، وكانت بمثابة إعلان لحقوق الإنسان، وثيقة فريدة فى سبيل التحرير سبق بها شعب مصر غيره من الشعوب، كما اعترف بذلك المؤرخون من العرب والغرب.

وقد حمل علماء الأزهر عبء الجهاد لتحرير مصر من الاحتلال الفرنسى منذ دخل جيش نابليون أرض الوطن فاتحاً. ولا ننس كذلك أن الأزهر قام بثورة ثالثة

فى صفر عام ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م لإنهاء النفوذ التركى من مصر، ولكن دجالاً سياسياً بارعاً يتدفق فى أعصابه الدم التركى استطاع بدعائه أن يحول المعركة إلى مغنم شخصية له ولأسرته التى حكمت مصر نحو قرن ونصف من الزمان.

وكان قائد الثورة المصرية الرابعة كذلك أزهرياً صميماً، هو الزعيم الوطنى القائد «أحمد عرابى» الذى قاد الثورة العرابية للقضاء على نفوذ المستعمرين من الأتراك والمستغلين من الإنجليز. كما كان زعيم الثورة الشعبية الخامسة أزهرياً صميماً هو المرحوم سعد زغلول، الذى كان يعمل للقضاء على الاستعمار الإنجليزى وتحرير شعب مصر من أغلاله. ولا ننس كذلك أن قادة ثورة مصر الأحرار تتلمذوا على شيخ أزهري ورع زاهد متصوف كان رائداً روحياً لهم هو الشيخ محمد الأودن من علماء الأزهر المعاصرين..

الأزهر والتجديد:

ولقد تطورت البيئة الثقافية فى الأزهر فى العصر الحديث: بتأثير الحضارة الفكرية الغربية، وبفضل لفيف من علمائه الأعلام الخالدين.

ومن الحق أن الأزهر منذ بدأ القرن التاسع عشر كان يتطلع إلى ثقافة الغرب وحضارته فى شىء من الفتور والكراهية، إيماناً بقومية المسلمين السياسية والفكرية والثقافية، ولكنه لم يجحد فكرة السعى إلى النهضة، أو الإيمان بالتطور: فسافر بعض أبنائه فى بعثات حكومية إلى باريس ولندن وسواهما من عواصم الغرب، وكان من أشهرهم رفاعة الطهطاوى.

وتطلع بعض علمائه فى أواخر القرن التاسع عشر إلى معرفة بعض اللغات الغربية لدراسة أصول حضارة الغرب الحديثة الفكرية والثقافية، وللدرد على ما يثيره بعض الغربيين حول الإسلام من شبهات، وكان فى مقدمة هؤلاء الإمام محمد عبده، الذى كان أكبر رائد أزهري للفكر المصرى فى العصر الحديث.

ولقد نهض شيوخ الأزهر منذ أواخر القرن التاسع عشر بعبء إصلاح البيئة الثقافية داخل الأزهر، وبعث روح التجديد والحياة فى حلقات الأزهر العلمية، لتكون على صلة بينابيع الفكر الحديثة المتدفقة.

وفى الحق أن الأزهر المحافظ المتمسك بتقاليده وشعائره ونظمه وحياته الثقافية كان أرجح كفة من عوامل التجديد، وتيارات الجديد.

ومن أكثر من ربع قرن من الزمان، أو بالتحديد فى مايو ١٩٢٨ تولى مشيخة الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى وهو تلميذ من تلامذة الإمام محمد عبده، ولكنه ما لبث أن استقال منها فى أكتوبر سنة ١٩٢٩، وخلقه الشيخ محمد الأحمدي الظواهري، ثم عاد الشيخ المراغى إلى المشيخة فى ٢٦ أبريل سنة ١٩٣٥، وظل فيها إلى أن توفى فى ٢٢ أغسطس ١٩٤٥ م.

وعلى يد الشيخ الظواهري تحول الأزهر إلى جامعة علمية لها كليات ثلاث: هى الشريعة واللغة وأصول الدين، وفيها أقسام للدراسات العليا ذات نظام علمي جامعي، ولكن أثر ذلك لم يظهر إلا فى عهد الشيخ المراغى وعلى يديه وبتشجيعه ورعايته، فكان يشرف هو ومعاونوه من شيوخ الكليات الأزهرية على نظم هذه الدراسات، ويشارك فى امتحاناتها ومناقشات رسائلها، ويرعى خريجي هذه الأقسام ويضعهم فى منازلهم العلمية فى كليات الأزهر، ولذلك صار الأزهر يخضع فى حياته الثقافية الجديدة للنظم الجامعية الصحيحة.

هذا عدا ما صنع الشيخ من تقدير للكفايات العلمية، ورعاية للبحث الثقافى الحر فى داخل الأزهر، فصنع بذلك نهضة ثقافية جديدة بالتأمل والتقدير.

الأزهر الخالد

الأزهر جامعة الإسلام العريقة، ومنارته الهادية، وسيظل النور متألقاً منه إلى قيام الساعة، ومن عجب أن تقوم فى مصر دعوة إلحادية ترمى إلى إلغاء التعليم الدينى بحجة توحيد التعليم، أو قل إلى إلغاء المعاهد الابتدائية والثانوية الأزهرية، والتي تمثل ثلثى بناء الأزهر العالمى، ونحو ٨٠ فى المائة من طلبة الأزهر الشريف.

ونحن نسائل هؤلاء الداعين إلى توحيد التعليم: هل ألغت فرنسا أو إنجلترا أو أمريكا التعليم الدينى فى بلادها؟ كلا... وهل ألغت هذه الشعوب التعليم الدينى فى المستعمرات التى حكمها؟ كلا... وهل ألغت فرنسا المعاهد الابتدائية والثانوية لجامعة الزيتونة الدينية فى تونس بحجة توحيد التعليم؟ كلا...

إن هذا الموقف الذى يقفه طه حسين من الأزهر يدلنا على سخف شديد وثقافة واضحة، فطه حسين هو سفير فرنسا الثقافى فى الشرق الأوسط، وهو الذى تعامل عام ١٩٤٧ مع وكالة يهودية وأصدر لها مجلة الكاتب المصرى، وحشد لها الأعلام ليكونوا جميعاً عمالاً وأجراء لدى الوكالة اليهودية فى مصر.

وفى الحق أن نقول: إن الأزهر ليس ملكاً لمصر وحدها، بل كذلك ملك العالم الإسلامى كله، وقد شارك العالم الإسلامى الأزهر فى الدفاع عن الأزهر ومقوماته، وأيدت الجماعات الإسلامية فى كل مكان الأزهر الشريف. وأن طه حسين الذى يثرثر فى الصحف ويقول فيما يقول: إن الأزهر لا يتعلم كما يتعلم الناس، يفوته أو ينسى إنه فى عام ١٩٥١ كان وهو وزير للمعارف يصرح فى وفود الأزهر بأن الأزهر هو المكان الأول الذى تحيا فيه علوم الدين والعربية، وينسى كذلك ما كتبه فى مناسبات عديدة فى تمجيد الأزهر وثقافته.

والدكتور لطفى السيد لا يمكن أن يكون متعصباً للأزهر، وله كلمة فى التنويه بالأزهر وثقافته بمناسبة ترؤسه لجنة مناقشة رسائل العالمية من درجة أستاذ عام ١٩٤٤، وقد قال فى كلمته هذه: أحمد الله أن أصبح الأزهر اليوم فى مستوى علمى رفيع، وصرنا نتحدث فيه فى الفلسفة القديمة، ويتحدث أصحاب الرسائل العلمية من خريجه عن (الإله عند أرسطو) وإنها لنهضة تبشر بالخير كل الخير بإذن الله، وكلمته مسجلة فى الجزء الثانى من كتاب (المنتخبات) لعميد الجيل الدكتور لطفى السيد، وشهادة الدكتور منصور فهمى وأمين الخولى وسواهم للأزهر، لا يمكن أن تحمل على أى لون من العصبية، وقد كان هؤلاء وسواهم ممن أسهموا فى أعمال مناقشة رسائل خريجى أقسام العالمية من درجة أستاذ فى الأزهر الشريف.

على أن مناهج الأزهر اليوم متخمة بالعلوم الحديثة فى شتى مراحل التعليم فيه، وهذه العلوم من الكثرة إلى حد أن صرنا نشكو من أنها أصبحت تستأثر بوقت الطالب الأزهرى، وتضعف مستواه فى العلوم الدينية والعربية.

وإننا نلرجو أن تزداد الثقة بالأزهر يوماً بعد يوم، وما ذلك على الله بعزيز، وإنه لم يحن على الأزهر إلا تدخل السياسة قديماً فى شئونه، ونرجو للأزهر اليوم كل عزة وكرامة، ونهضة وتقدم، فى شتى جوانب نشاطه الروحى والفكرى والثقافى.

الدكتور طه حسين والأزهر

يرى د. طه أن إغلاق ثلثي الأزهر إصلاح له. . وأن إبعاد ٩٠ في المائة من طلاب الأزهر عن معيهم الذى ينهلون منه الثقافة الإسلامية الصحيحة يجب أن يكون هو الخطوة الثانية التى تخطوها مصر فى عهد ثوارها. والدكتور طه لم يدع فى يوم من الأيام إلى إلغاء جامعة من جامعاتنا اكتفاء بأخواتها، وهو الذى حارب إدماج أقسام اللغة العربية فى آداب الجامعات الثلاث فى قسم واحد. وفى عهده فى وزارة المعارف كان يشجع إنشاء المدارس الأجنبية والخاصة والحرّة، ولم يزعم أن من مبادئ الإصلاح إدماج هذه المدارس أو الجامعات بعضها فى بعض، فكيف به يقف من الأزهر هذا الموقف العاثر الذى لا يتصور طه نفسه خطره على نفسه وعلى مصر وعلى العالم العربى والإسلامى.

ولو كان الدكتور طه يحرص على سمعة الفكر المصرى المعاصر حقًا لما لجأ إلى هذا المنطق السوفسطائى العجيب الذى يجعل به الحق باطلاً والباطل حقًا، ويظن أن الناس قد صدقوا هذا المنطق المقلوب. وأنا أزعّم أن الدكتور طه ليس سوفسطائيًا وإنما هو يحاول أن يلجأ إلى منطق السوفسطائيين ليقنع الناس برأيه لغرض فى نفسه. وأشهد أن فرنسا الاستعمارية لم تحاول فى يوم من الأيام أن تغلق الأقسام الابتدائية والثانوية من جامعة الزيتونة الدينية فى تونس، بدعوى توحيد التعليم، أو باسم إصلاح الزيتونة، والتعليم الابتدائى والثانوى فى الأزهر - وهو الذى تجمع مناهجه بين ثقافات وزارة المعارف وعلوم الدين واللغة على أوسع نطاق - ليس هو الذى تعمل الدولة على تصفيته لأن الشعب نفسه، والدولة نفسها، لا ترى فيه إلا الخير كل الخير لمصر وللعالم الإسلامى كافة. ولو قدر أن ألغى التعليم الابتدائى والثانوى من الأزهر لما استطاع مثل الدكتور طه أن يتعلم وأن يسمع به الناس.

والشعوب الإسلامية كافة ترسل أبناءها إلى الأقسام الابتدائية والثانوية فى الأزهر، فماذا يريد الدكتور طه لأبناء هذه الشعوب الإسلامية بعد إغلاق المعاهد الأزهرية الابتدائية والثانوية، أظنه سيحاول أن يشرع لهذه الشعوب، كما يحاول اليوم أن يشرع لمصر ولشعب مصر ولثورة مصر.

وفى البلاد الإسلامية معاهد ابتدائية وثانوية على غرار الأزهر، وبعضها تتبع الأزهر، فماذا تصنع يا دكتور طه بهذه المعاهد بعد إغلاق مشيلاتها من الأزهر فى مصر؟

وأنت تعلم أن مثل هذه المعاهد هى الوسيلة الوحيدة لتعليم الثقافة الإسلامية والعربية فى بعض الشعوب المسلمة التى يحكمها الاستعمار. ويعمل جاهداً على أن يحطم فيها كل مقوماتها لتظل فريسة فى أنيابه إلى الآن.

وما رأيك يا دكتور طه وأنت تدعو إلى تعليم الشعب فى أن هذه الأقسام الابتدائية والثانوية هى التى كان يلجأ إليها أبناء الشعب ليتعلموا ويتقفوا، ثم هى الوسيلة الوحيدة للتعليم لدى أغلبية الريف الذين لا يؤمنون إلا بالأزهر وثقافته.

والدكتور طه لا يجهل أن هذا التعليم الدينى قد قام تحقيقاً لمشئته أهل مصر الإسلامية، ووقف عليه المسلمون فى مصر وغيرها أوقافاً طائلة، أو لا يزالون بالعون والرعاية فى مصر الإسلامية وفى غيرها من الشعوب المسلمة، وأنه هو الذى تحققت فيه مجانية التعليم وديمقراطيته وظروف تكافؤ الفرص أمام الشباب الإسلامى لا اليوم فحسب، ولا الأمس فقط، بل طيلة ألف عام أو يزيد.

والدكتور طه يدعو إلى توحيد التعليم تحت راية وزارة المعارف وجعل كليات الأزهر معاهد للتخصص فى الثقافة الإسلامية، وكيف يتخصص طالب فى شئ لم يمهّد له؟ ومن الذى يستطيع أن يفهم بعد التوجيهية أصول الفقه وعلوم أصول الدين وفلسفة العربية فى كتاب سيبويه وغيره، وفلسفة اللغة فى الخصائص والمخصص وغيرهما.

والدكتور طه يقول: إنه يحب أن يشارك الأزهريون فى كل ميدان، فيكون منهم مهندسون وأطباء وسوى ذلك، وأنا أحب أن يشرح الدكتور للناس ذلك، فلقد أحب ألا يكون هناك تعليم ابتدائى أو ثانوى خاضع للأزهر، ثم فرض أن حامل التوجيهية سوف يدخل كليات الأزهر ليتخصص فى الدين واللغة، فمتى يكون مهندساً أو طبيباً؟ أليكون ذلك وهو يحمل التوجيهية فقط، أم سوف يكون كذلك بعد تخرجه من الأزهر؟ أليس هذا هو عين سوفسطائية الدكتور طه، التى ينعتها بلقب التجديد واسم المنطق.

والدكتور طه، يعلم أن حامل التوجيهية لن يدخل الأزهر لأنه لا يستطيع أن يدرس بعد التوجيهية علوم الأزهر وثقافته. أرح نفسك يا دكتور من هذا الالتواء والتعقيد والتكلف البغيض، ادع في الناس إلى إغلاق الأزهر لا لذنب جناه الأزهر ولكن لأنه لم يستطع أن يؤمن بمنطقك وبأفكارك. ثم لأن له تاريخاً مضيئاً، ومنزلة كريمة في العالم الإسلامي منذ عشرة قرون.

إى والله عشرة قرون كاملة، حقق الأزهر فيها لمصر العزة والكرامة ومعانى القومية الصحيحة ورباها على الحرية، وتعشق الثورة والإيمان بمصر، مصر الخالدة العزيزة وظل فيها معقل القومية، وملاذ الفكر الحر المتوثب المنطلق إلى أهدافه النبيلة فى الحياة.

الأزهر فى القرن العشرين^(١)

من روح مصر، ومن ضميرها الوطنى، وكفاحها القومى، انبثق فجر الحرية والثورة والكرامة والعزة والاستقلال لمصر الخالدة، مصر التى تقهر الأحداث، والتى تسلم أبناؤها الثائرون أمانة الوطن المقدس، بعد أجيال طويلة ملؤها النضال فى سبيل الشعب: حريته وعزته وكرامته.

وفى هذا المجال نذكر الأزهر، الأزهر العريق فى التاريخ، فى المجد، فى الجهاد، والذى عرفت له مصر أروع الأعمال، وسجلت الأيام له أمجد الصفحات فى تاريخنا القومى والوطنى.

وعندما نريد الحديث عن «رسالة الأزهر فى القرن العشرين» لابد أن نشير إلى تاريخ الأزهر فى الكفاح الوطنى، لأنه جزء لا يتجزأ من تاريخه الثقافى والدينى، ومن رسالته التى حملها خلال العصور والأجيال، بل من تاريخ بلادنا التى حملت رسالة الثقافة والحضارة، وألهمت الإنسانية أرفع معانى النهضة والتقدم والحياة.

وفى هذه السبيل نذكر الشيخ الإمام الدردير رضوان الله عليه، ونذكر كفاحه من أجل مصر وشعبها الحر الأبي، ففى عام ١٢٠٠هـ - ١٧٨٦م أعلن علماء الأزهر الشريف الثورة ضد الأمراء من المماليك، لإسرافهم فى فرض الضرائب، ونهب

(١) محاضرة القيتها فى هيئة التحرير عام ١٩٥٥م.

أموال الشعب، وكانت الثورة بقيادة الشيخ الدردير، الذى بادر فأعلن تصريحه الخالد المأثور: ستثور مع الشعب، ونهب بيوت الممالك كما ينهبون بيوتنا، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم.

وجاء الأمراء يعتذرون للإمام الزعيم، ولم يقبل الشيخ اعتذارهم حتى ألزمهم بميثاق وطنى مكتوب، أعلن فيه لأول مرة حقوق الإنسان قبل ميلاد الثورة الفرنسية بسنوات ثلاث، ونص فيه على حرية الشعب، وعدم جواز فرض ضرائب إلا بإرادته، وعلى أن الأمة مصدر السلطان.

ونذكر كذلك الشيخ الإمام عبد الله الشرقاوى، وجهاده من أجل مصر. ففى عام ١٢٠٩هـ - ١٧٩٥م أعلن علماء الأزهري الشريف الثورة على الممالك، وأجمعوا على مقاومة أمرائهم بالقوة إلى أن يستجيبوا لمطالب الشعب، وكان قائد هذه الثورة هو الإمام الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهري أيام ذاك، وكان مجلس الثورة يعقد فى الأزهري، وأعضاؤه هم: الشيخ الشرقاوى، والشيخ البكرى، والشيخ الأمير، والسيد عمر مكرم، ولم تنته الثورة إلا بعد اعتذار أمراء الممالك، وبعد أن أصدر أعضاء مجلس قيادة الثورة وثيقة وقعوا عليها وألزموا الأمراء بالتوقيع كذلك عليها، وكانت إعلاناً وطنياً جليلاً لحقوق الشعب، حيث تضمنت ما يلى:

- ١- ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الأمة.
- ٢- أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم.
- ٣- ألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع.

وعندما دخلت الحملة الفرنسية مصر نبعت ثورة القاهرة الأولى من الأزهري الشريف عام ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م، وكان مجلس الثورة مكوناً من كبار علماء الأزهري آنذاك؛ ورئيسه هو الشيخ السادات؛ وكان يعقد اجتماعاته فى الأزهري. وقد بطش نابليون بالثوار الأحرار، وأغلق الأزهري، وأعدم ثلاثة عشر عالماً من أبر علمائه بوطنهم ودينهم.

وكذلك قامت ثورة القاهرة الثانية عام ١٢١٤هـ - ١٨٠٠م من قلب الأزهر، وكانت بزعامة الشيخ الأزهرى والسيد الوطنى عمر مكرم نقيب الأشراف فى مصر، وقد أخمدت هذه الثورة بقوة وعنف، وقبض على زعمائها، ونكل بهم تنكيلاً شديداً.

وفى عام ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م أعلن علماء الأزهر الثورة على الوالى التركى خورشيد باشا، وأجمعوا على عزله، وكتبوا للخليفة العثمانى بذلك؛ وقد كان عمر مكرم زعيم هذه الثورة، ولا ننسى كلمة خالدة له يومذاك، عندما ذكره أحد قواد الاتراك بالآية الكريمة: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]؛ فرد عليه عمر مكرم فى عزة وإباء: أولو الأمر هم العلماء وحماة الشريعة والسلطان العادل.

ولما ولى محمد على حكم مصر استبد بالحكم، وتنكر للشعب، وبطش بالحريات، وأسرف فى فرض الضرائب، وخان العهد الذى عاهد عليه العلماء بأن يحكم بالعدل والشريعة، فاجتمع فى الأزهر الشريف مجلس وطنى من العلماء، فى أواسط جمادى الأولى ١٢٢٤هـ - أول يوليو ١٨٠٩م لمقاومة محمد على حتى يخضع لمشيئة الشعب فى عدم فرض ضرائب جديدة، وإلغاء الضرائب المستحدثة، ورفض السيد عمر مكرم زعيم العلماء التوقيع على ميزانية محمد على السنوية، وقال كلمة خالدة ماثورة: «إن هذا الحاكم -يريد محمد على- محتال، وإذا تمكن فسيصعب إزالته، فلنحاربه من الآن، وأسرع محمد على فخلع السيد عمر مكرم من نقابة الأشراف، ونفاه إلى دمياط، وقد ألقى السيد عمر مكرم تصريحاً عقب إبلاغه بصنيع محمد على معه، جاء فيه: «إنى راغب عن منصب النقابة، زاهد فيه، فليس فيه إلا التعب. وأما النفى فهو غاية مطلوبى، حتى لا أكون مسئولاً أمام الله عن ظلم يقع على الشعب، وإنى لا أريد إلا أن أعيش فى بلدة لا تدين لحكم محمد على». وظل السيد عمر مكرم منفياً فى دمياط وطنظا حتى توفاه الله عام ١٢٣٧هـ - ١٨٢٢م.

ولسنا ننسى الثورة العربية وزعيمها الأزهرى المصرى القائد: أحمد عرابى، وكيف وقف علماء الأزهر وراءه صفًا موحدًا، يدعون الشعب إلى الجهاد تحت

رايته، وأصدروا فتوى شرعية بمروق الخديوى توفيق عن الدين لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده. وأعلنوا فى المؤتمر الوطنى عزل توفيق، ووقف أوامره وتكليف عرابى بالدفاع عن البلاد، وأن يبلغ المجلس الوطنى هذه القرارات إلى السلطان.

وقد نكل الإنجليز وتوفيق بعد ذلك بعلماء الأزهر تنكيلاً شديداً. واستمر شيوخه لا يبالون بالحكام من أسرة محمد على، ولهم فى ذلك مواقف مشهورة، حتى قامت الثورة المصرية عام ١٩١٩. فنبعت من قلب الأزهر، واشتعلت شرارتها فى صحنه، وانبثق من منبره ومحاربه فجر الحرية لشعبنا المجيد الذى نال ما تمناه بفضل كفاحه الطويل العتيد.

ولا ننس موقف الشيوخ الثلاثة: عبد المجيد سليم ومأمون الشناوى وإبراهيم حمروش، من سياسة القصر وعبثه بقوانين الأزهر واستقلاله وحرية، وكيف أصدروا بياناً مطبوعاً موجهاً إلى العالم الإسلامى، ينددون فيه بفاروق ورئيس ديوانه ورئيس وزرائه، ويسجلون عليهم فى صراحة تدخلهم فى شئون الأزهر وعبثهم بقوانينه. وللشيخ عبد المجيد سليم عندما هدده رئيس الديوان بالخطر كلمة مأثورة خالدة: ما دمت أتردد بين بيتى والمسجد فلا خطر بإذن الله، وله كلمة أخرى ندد فيها بفاروق وعبثه ومجونه عندما أقام فى كابرى لاهياً عابثاً، قالها الشيخ وأعلنها وسارت مسير الأمثال، وهى: «تقتير هنا وإسراف هناك».

هذه قطرة من كفاح الأزهر وأدائه لرسالته، وللإمامة الملقاة على كواهل علمائه نحو الشعب. وهى تصور لنا فى وضوح روح الأزهر وجوهره وسر خلوده وبقائه شاق الذرى على مر الأجيال، راسخاً يرسل الضوء والنور والهدى إلى كل مكان رسوخ الجبال الراسيات. وهل هناك أروع من أن يصدر شيخ معمم فتوى ببيع أمراء الممالك الأتراك ليصرف ثمنهم فى مصالح المسلمين، لأن حكم الرق سار عليهم، وهم أرقاء لسادتهم من أبناء مصر، لأن السلطان اشتراهم من مال الدولة، ولا يزال حكم الرق مستصحباً عليهم. وكان من جملة هؤلاء الأمراء نائب السلطنة، وكلهم أصحاب حكم، وسلطان ونفوذ وجاه، وكان ذلك فى منتصف القرن السابع الهجرى، وبعد منتصف القرن الثانى عشر الميلادى بقليل، وكان هذا الإمام هو الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضوان الله عليه.

وبعد فإن رسالة الأزهر فى القرن العشرين تشمل الرسالة الدينية الكبرى،
والرسالة الثقافية والأدبية، ورسائله الوطنية والاجتماعية.

فمن صميم رسالته الدينية:

- ١- إنشاء المراكز الإسلامية فى دول أوروبا وأمريكا والشرق الأقصى وأفريقيا لنشر رسالة الإسلام وتعاليمه الصحيحة.
- ٢- وتلخيص رسالة الإسلام فى مؤلفات حديثة، ونشرها بجميع اللغات العالمية.
- ٣- ومحاربة المادية والمذاهب الهدامة الوافدة علينا من أوروبا وأمريكا والدعوة إلى الروحية السامية المهذبة، وإذاعتها بين جميع الطبقات.
- ٤- والعمل على إغناء الأخوة الدينية والروحية بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، ونشر رسالة التقدم الروحى والدينى فى البلاد الإسلامية.
- ٥- وإذاعة مبادئ الإسلام وأصوله الرفيعة الصالحة لقيادة الإنسانية بين مختلف الجماعات والطبقات، وإحياء الشعور الدينى وتنمية روح التدين بين الأفراد والشعوب.

ومن صميم رسالة الأزهر الثقافية والأدبية:

- ١- نشر التراث القديم فى شتى العلوم الإسلامية نشرًا علميًا حديثًا.
- ٢- ووضع مؤلفات حديثة فى جميع فروع الثقافة، وتناول مشكلاتنا العامة والخاصة بالدراسة والبحث على ضوء الدين.
- ٣- وإقامة معاهد دينية فى جميع مدن مصر والعواصم العربية والإسلامية لتعميم الثقافة الدينية الصحيحة.
- ٤- وترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة دقيقة إلى شتى اللغات.
- ٥- والنظر إلى مناهج الأزهر وعلومه وكتبه الدراسية نظرة جديّة جديدة تتفق وحياتنا الفكرية ومطالبنا الروحية.

- ٦- ودعم التقاليد الجامعية الصحيحة في الأزهر مما يتفق وتقاليده القديمة الموروثة، وتعزيز النظام العلمى الجامعى فى، وإقرار نظام الدراسات العليا فيه على أسس جامعية رفيعة.
- ٧- وإنشاء أقسام جديدة فى كليات الأزهر لدراسة اللغات والآداب الأوروبية الحديثة، وأهم المذاهب الروحية والفكرية المعاصرة.
- ٨- وتنمية التعاون الثقافى بين الأزهر ومختلف المعاهد والجامعات فى الشرق والغرب.
- ٩- وكذلك نشر الثقافة العربية والأدبية، وإخراج أمهات كتب اللغة ومصادر الأدب إخراجاً علمياً منظماً.
- ١٠- وتنظيم المواسم الثقافية والأدبية لزيادة ثقافة الشباب، والارتقاء بمستواهم الفكرى.

ومن صميم رسالة الأزهر الوطنية والاجتماعية:

- ١- العمل على بعث الروح الثورى فى الشعب.
- ٢- ومشاركة الدولة فى التوجيه الاجتماعى والوطنى فى صفوف الأمة.
- ٣- والمعاونة فى محو الأمية، وفى نشر الأمن، وإذاعة الوثام بين الناس، وفى خلق روح التضحية والقومية والإيثار والعدل وحب تحمل المسئولية فى نفوس الشباب.
- ٤- وتخفيف الآلام عن المنكوبين والمحرومين والأشقياء فى المجتمع، إلى غير ذلك من صميم رسالة الأزهر التى هى جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام ديننا الكريم.

ومن المؤسف حقاً أن تكون القوانين فى الأزهر رجعية عتيقة بالية إلى الحد الذى يحول بين الكثير من الشباب والتعليم الدينى، وأن تهمل أمور الشباب فيه إهمالاً خطيراً فلا يلقون رعاية ولا توجيهاً خارج حجرات الدراسة. ولا يتمتعون برحلات علمية منظمة، ولا بنواد رياضية صغيرة أو كبيرة، ولا باتحاد منظم يرفع شأنهم إلى غير ذلك من شتى ألوان التقصير الذى نشكو منه ونطالب بتلافيه.

ويحضرني هنا رأى قديم للمرحوم مصطفى صادق الرافعي، إذ قال: إنه لا ضير على الأزهر أن تعاونه الشعوب والحكومات الإسلامية بالمال والنفقة الواسعة؛ ليسير قدمًا نحو أداء رسالته كاملة غير منقوصة في خدمة الشعوب العربية والإسلامية، وإنه لا ضير عليه كذلك من منح ألقاب علمية للمفكرين المسلمين في كل مكان، فإن في ذلك زيادة لنفوذه الديني والروحي في شتى أنحاء العالم الإسلامي.

وبعد فلقد اجتمعت كلمة مصر والأزهريين على النهوض بهذا المعهد العتيق، ورفعته إلى الإمام بيد قوية وعقل فتى، وروح وثاب، ونحن لا ننسى موقف الثورة منا؛ ورعايتها للأزهر وسط المحن والشدائد والدعوات الإلحادية السافرة، فلقادة الثورة وأبطالها الشكر والتقدير على تصريحاتهم القوية النبيلة التي أعزوا بها من شأن الأزهر، ودافعوا فيها عن حضارة الإسلام ومعهم العتيق.

ومنذ اليوم سيساند الأزهر الثورة وتساند الثورة الأزهر لخلق مصر الناهضة الحرة الأبية، ولإعزاز الدين والإسلام والوطن.



الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي

فقدت مصر والعالم الإسلامي في مارس ١٩٦٩ عالماً من أجل علماء الأزهر.. هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر، انتقل للرفيق الأعلى عن ٧٣ عاماً.. قضاه في سبيل نشر لواء العلم والدين.. كان آخر من تولى منصب شيخ مذهب الحنابلة بالأزهر.. وآخر بحوثه التي أعدها بحثاً عن بيت المقدس وبحثاً عن الجهاد في سبيل الله.. وآخر كتاب - ما زال تحت الطبع - هو كتاب الوحي ويقع في ٣٠٠ صفحة وسيصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكان قد أتمه قبل وفاته بساعات.

تخرج الشيخ السبكي في الأزهر الشريف عام ١٩٢٥ وعين فور تخرجه مدرساً بمعهد الزقازيق الديني، ثم نقل أستاذاً بكلية الشريعة عام ١٩٣٥م.

وفي نفس العام عين عضواً بلجنة الفتوى حين كان الإمام الراحل الشيخ المراغي شيخاً للأزهر وتولى رئاسة اللجنة منذ خمس سنوات.. واختير مفتشاً عاماً للعلوم الدينية والعربية بالأزهر سنة ١٩٤٧، وفي عام ١٩٥١ عاد إلى منصبه أستاذاً بكلية الشريعة وظل بها حتى أحيل للمعاش عام ١٩٥٩، وقضى ٤٤ عاماً في خدمة العلم والدين، وجند نفسه لتفسير الدين كما أنزله الله.

اتسع نشاط لجنة الفتوى في عهده وأصبحت تتلقى الفتاوى وترد عليهم.. وكان للشيخ السبكي مكانة في مقدمة العلماء الدارسين في علوم الدين واللغة.. وعين شيخاً لمذهب الحنابلة بالأزهر وهو آخر من تولى هذا المنصب وفي عام ١٩٥٤ عين مديراً لمجلة الأزهر وعضواً في جماعة نشر الثقافة بالأزهر.

وفي السنوات الأخيرة عن رئيساً للجنة إحياء التراث الإسلامي والعربي وعضواً بلجتي الخبراء وموسوعة عبد الناصر للفقهاء الإسلاميين بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وقبيل وفاته بأيام راجع فيلماً تليفزيونياً عن الإسلام سجله تليفزيون النمسا وأعد مادته العلمية فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور مدير الشئون العامة بالأزهر.

وشاهد الشيخ السبكي -رحمه الله- الفيلم فى عرض خاص وأشاد بجودته، وسيرجم الفيلم إلى مختلف اللغات، ويعرض فى أنحاء العالم.

ترك سجلاً حافلاً من التراث الإسلامى.. فى مقدمته كتب نغمات القرآن، ورياض القرآن، وفى ظلال الكعبة والهجرة النبوية، كما ترك عدداً كبيراً من المقالات فى منبر الإسلام ولواء الإسلام والوعى الإسلامى ومجلة الأزهر والشبان المسلمين، والعديد من الأحاديث المسجلة بالتلفزيون والإذاعة.. فى برامج نور على نور، ورحاب الإيمان، ورأى الدين.

وأبناؤه هم المهندس حباب المعيد بهندسة جامعة الأزهر والدكتور عادل بالقصر العينى وهانى ووفاء بطب قصر العينى جامعة القاهرة.

لقد عاش الشيخ السبكي عالماً ومعلماً وسيظل مثلاً أعلى يذكره بنوه وتلاميذه وعارفو فضله -بالتقدير والوفاء- فى أرجاء العالم الإسلامى.

***ومن مواقف علماء الأزهر* ماذا حدث؟^(١)**

فى ١٤ أغسطس عام ١٨٥٩.. ماذا حدث؟:

استنكر رجال الأزهر الأمر الصادر بالسماح بإقامة «الحانات» بالقاهرة وكتبوا عريضة ضمنوها استنكارهم ورفعوها إلى جناب الباب العالى.. وجاء بالعريضة أن عدد الحانات بالقاهرة بلغ ١٢ حانة مما ينذر بالخطر الويل على سمعة الدين.



(١) إضافة جديدة اقتضاها الكلام.

نشاط أزهري

عن نشاط الدعاة الأزهريين نشرت مجلة ليبيا الحديثة في عددها الصادر في ١٩٦٩/٤/١ حواراً بينها وبين رئيس المركز الإسلامي في بريطانيا الشيخ محمد إبراهيم الجيوشي -الدكتور فيما بعد- جاء فيه :

بدأت معه الحديث عن موضوع رسالة الدكتوراه التي يعد لها في جامعة لندن . . موضوع شيق وجديد لم يطرقه أحد من قبل ، هو البحث عن آثار مفكر إسلامي متصوف كان له أثر بعيد في الفكر الإسلامي وخاصة في التصوف . . وله بذلك منهج انصرف به عن كل شيوخ التصوف . . فمن المعروف أن شيوخ الصوفية يعتمدون في نقل أفكارهم وآرائهم على تلاميذهم ومريدهم ثم ينقلها هؤلاء إلى أتباعهم وهكذا . . إلا أن الشيخ الحكيم الترمذي -موضوع البحث- لم يسلك هذا المسلك بل وضع أفكاره وآراءه في كتب ورسائل بلغت أكثر من ستين كتاباً لا يزال معظمها مخطوطاً ولم يطبع منها إلا حوالى أربعة كتب . . وشعرت بأن الشيخ محمد إبراهيم الجيوشي المدير المساعد للمركز الإسلامي بلندن سيغوص في أعماق هذه الكتب وتلك الدراسات الصوفية . . وأنا لا أزال أشعر بغمرة السعادة بعد أن أدت صلاة العيد في المركز الإسلامي بلندن الذي يتجمع فيه أكثر من عشرة آلاف مسلم ومسلمة في مثل هذه المناسبات ، فيمثلون أروع صورة لتجمع المسلمين على اختلاف أجناسهم وجنسياتهم . . تراهم من الهند وباكستان وأفغانستان والملايو إلى آخر قطر عربي وكأنهم في حج صغير . .

- قلت لفضيلة الشيخ الجيوشي ما هي قصة المركز الإسلامي بلندن . .

فكرت إنجلترا خلال الحرب العالمية الثانية أن تقوم بعمل تربط به أواصر الصلات بينها وبين العالم الإسلامي فقامت بتقديم هذا المركز إلى الحكومة المصرية في ذلك الوقت ليبنى عليه مسجد المسلمين . . . وفي نظير ذلك قدمت الحكومة المصرية للجالية البريطانية في القاهرة قطعة أرض لتقام عليها كنيسة لهم . . بنيت الكنيسة عام ١٩٤٥م ، ولم يبن المسجد حتى الآن . . اعترضت بلدية لندن على المثانة في

بادئ الأمر ثم على شكل البناء بحجة أنه لا يتناسب مع الأبنية المجاورة بعد أن حذفنا من نموذج البناء الأول المئذنة ولا تزال القضية معلقة حتى الان!

- ما هو عدد المسلمين فى بريطانيا ومراكز تجمعهم ونشاطهم؟..

اعتقد أن عددهم يبلغ حوالى مليون أو أكثر منهم سبعون ألفاً فى مدينة لندن والباقي موزع فى كل أنحاء الجزر البريطانية وأغلب المسلمين من الهند والباكستان حيث يشكلون ٩٥ بالمائة من الجالية الإسلامية واليمنيون من أكثر المسلمين العرب واذكر أنه كان يتزعمهم فى مدينة كارديف رجل متدين هو الشيخ عبد الله الحكيم وكان له نشاط دينى واسع حتى أنه أصدر صحيفة عربية ومطبعة عربية طبعت له العديد من المؤلفات ثم توقفت الجريدة عن الصدور بعد وفاة هذا الرجل الذى بنى مسجداً فى مدينة كارديف يسمى مسجد نور الإسلام.

١- قسم دينى .

- قسم ثقافى .

٣- قسم اجتماعى .

القسم الدينى - يتمثل فى إقامة الصلوات وخاصة صلاة الجمعة التى يحضرها حوالى خمسمائة رجل وتلقى الخطبة باللغتين العربية والإنجليزية ويبدو هذا النشاط ملحوظاً فى شهر رمضان المبارك حيث تقام صلاة التراويح كل ليلة وإلى جانب ذلك الاحتفال بالمناسبات الرسمية كالمولد النبوى الشريف، والهجرة وغزوة بدر وفتح مكة المكرمة وليلة القدر وليلة الإسراء . إلخ. وفى كل ذلك نحرص على ربط المسلمين ببعضهم وربط هذه الأحداث بتاريخنا المعاصر . . وفى الأعياد تجمع الزكاة وتوزع على المحتاجين إن وجدوا ولكن الذى اتبع فى العيد الماضى أن الجانب الأكبر منها صرف للمنظمات الفدائية وفكرنا أن نصرف الجانب الآخر لهذه المنظمات أيضاً لأنه فى نظرنا أحق الوجوه إلا أن مجلس المركز الأعلى رأى أن يأخذ رأى مشيخة الأزهر فى هذا.

القسم الثقافى - يتلخص فى تعليم اللغة العربية لمن يرغب من المسلمين . .

وعندنا فى المركز الإسلامى فصل لتدريس اللغة العربية مرتين كل أسبوع والدراسة

فيه مناسبة للجميع، وهناك آخر لتعليم تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة.. بجانب هذا توجد محاضرات شهرية ينظمها المركز يوم السبت الأخير من كل شهر عن موضوع إسلامي يلقيه أحد المحاضرين ثم يتبعه مناسبة عامة.. وهناك نقطة مهمة هي أن كثيراً من الكنائس والمدارس والكلية والنوادي والجمعيات المختلفة في بريطانيا تطلب منا محدثين يحدثنهم عن الإسلام فنبعث إليهم بمحدثين يجيدون اللغة الإنجليزية ولهم اطلاع واسع بالثقافة الإسلامية ولم تكن هذه الظاهرة موجودة من قبل بهذه الصورة التي تزداد يوماً بعد يوم، فالناس في شوق لمعرفة حقيقة الإسلام. وهناك أيضاً مجلة يصدرها باللغة الإنجليزية مرة كل ثلاثة أشهر فيها أبحاث تتعلق بالفكر الإسلامي العربي..

القسم الاجتماعي - ونشاطه واسع يشمل عقود الزواج واعتناق الدين الإسلامي ومشاكل المسلمين ومعظمها نابع من البيئة التي يعيشون فيها والتي تخالف بيئتهم الأصلية كالطعام والشراب ومعاملة الناس وتربية أطفالهم تربية إسلامية في مجتمع اضطروا لأسباب مختلفة أن يعيشوا فيه.. وكثيراً ما تتصل بنا المستشفيات وتبلغنا بأن مريضاً أو مريضة مسلمة ترفض أن تأكل أكلة معينة فنذهب إلى المستشفى ونوضح لهم ما ينبغي عدم أكله والواقع أنهم يستجيبون لمثل هذه التعاليم.. كذلك فإننا نقوم بزيارة بعض السجناء أو ما شابه ذلك ويشكروننا على ذلك.. وبصورة عامة فإن هذا القسم بالإضافة إلى كل ذلك ينظم الصلة بيننا وبين الجاليات الإسلامية في الجزر البريطانية..



المرأة في الأزهر

التحقت فاطمة الحلفاوية من بلدة «الكميشة» مركز تلا منوفية قد التحقت بالأزهر في سنة ١٣٠٢هـ.

وقطعت في معهد طنطا مراحل التعليم كلها - ولما حاولت الحصول على الشهادة «العالمية» أخفقت في الامتحان أمام لجنة كان رئيسها المرحوم الشيخ دسوقي العربى أثناء حصول «طه حسين حين أراد الحصول على العالمية».

وفي سنة ١٣٠٤هـ انتسبت بمعهد طنطا السيدة «فاطمة الغنامية» وهى من مدينة طنطا، وفي نفس العام التحقت سيدة أخرى اسمها فاطمة «العوضية» من بلدة طمبول الكبرى مركز السنبلالوين وجاء ذلك كله فى سجلات الأزهر الشريف.



عميد الأدب العربي في الأزهر

دخل الدكتور طه حسين الأزهر يوم الاثنين . ١٢ أكتوبر بعد غياب طال ٣٧ عاماً دخل يتكلم الفرنسية ويقدم لشيخ الأزهر مستر رودلف سالات مدير الشئون الثقافية بهيئة اليونسكو . ويسترجع مع الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ذكريات الماضي القريب والبعيد .

وقبل أن يغادر طه حسين المعهد الذى تلقى فيه دروسه الأولى قال له شيخ الأزهر!

- إن عليك حقاً للأزهر . . إن خدمته واجبة عليك لقد وضع الأزهر أساس حياتك العلمية وحن الأوان لترد الدين .

لقد دام اللقاء ساعة جرى خلالها حديث فى الدين والعلم . والذكريات . . ولم يحضر هذا الحديث سوى صحفى واحد هو حنفى عاشور سكرتير عام التحرير بالجمهورية .

قال الدكتور طه حسين للأستاذ الأكبر: «إننى أحب زيارة الأحرار والارتباط بهم وأقصد من الحرية، حرية الفكر وحرية المعرفة، الحرية الموصلة إلى السمو فى الهدف والنبل فى الغاية والتى تحقق آمال الناس جميعاً فيما يهدفون إليه، أملاً يبنى ولا يهدم، ويعلى ويرفع ولا يخفض .

جئت فى صحبة المستر رودلف سالات ليقدم إليكم تحية هذه اليونسكو جميعاً مقدرين لكم جهودكم فى إثارة الوعى الدينى المنظم الذى يجمع ولا يفرق، وإنه ليقدر هو والهيئة أن الأزهر أقدم جامعات العالم وهو مصدر من مصادر الإشعاع العالمى، فهو جدير بالتقدير، ولذا رأى أنه من الواجب عليه أن يزور الأزهر جميعاً ممثلاً فى شخصكم» .

وقال الأستاذ الأكبر للدكتور طه حسين: «إننا نضع يدا فى يديك وفى يد كل محب لإعلاء شأن العقل الإنسانى حتى تتمكن جميعاً بيد واحدة، وتماسك واحد،

أن نخوض غمار الحياة الحرة الرتيبة، وأنا أعتقد أن أول من يقدر الأزهر ويقدر جهاده إنما هو هيئة اليونسكو ونعتقد أيضاً أن توجيه العالم إلى الخير إنما هو إلى الأزهر. . إلى كل هيئة تنشُد العلم وتسعى إلى المعرفة ومن بينها هيئة اليونسكو، وذلك مما يركز الأمن والاستقرار في ربوع العالم، ويمنع من وقوع مثل هذه المذابح الدامية التي تقع دائماً صراعاً بين الحق والباطل، وبين الحرية والاستعباد، وأنا أرى أنه لا يصح أن تقف الهيئات العالمية على حد البحث العلمي الجامد، وإنما يجب عليها أن تعمل دائماً لتوطيد أركان الزمن وتركيز السلام، فإنه لا يجوز أن نستخدم النعم التي أنعم الله بها علينا من عقول مفكرة وآراء سديدة وقوة في الإدراك، لا يجوز أن نستغل هذه أو نوجهها إلى الشر، وإلى إثارة الخواطر وتحطيم القوى، وذلك كله إنما يكون عن طريق التعارف الذي يبعث على الحب والتآلف، فإن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. .

ثم التفت الأستاذ الأكبر إلى الدكتور طه حسين وقال:

لعلكم تذكرون يا أخى الدكتور أن الأزهر خطا خطوة واسعة في سبيل التقريب بين المذاهب جميعاً، خطا هذه الخطوة حتى في التقريب بين أهل السنة والشيعة، وكلية الشريعة الآن تدرس الفقه المقارن بين المذاهب الأربعة وبين غيرها من المذاهب الأخرى، وأنا حريص على أن يعرف الطلاب ويدرك العلماء الأصول ويقدرُوا المراجع، وأنا شخصياً أرى ذلك. . أى ليس في الدين ما يلزم بمذهب معين، فكل الأئمة صح عنهم «إذا صح الحديث فهو مذهبي» وأنا حريص على أن يكون مرجعنا الكتاب والسنة نستقى منهما ونأخذ عنهما وننهل من منهلها العذب، على أن كل ما يخالف هذا الأصل ويخالف الكتاب والسنة نرده ولا نقبله، وأبو حنيفة يا دكتور يقول: إن من لم يعرف من أين أتينا برأينا لا يصح أن يقلدنا، ولقد سمعنا في أوقات كثيرة أن ابن تيمية ضال مضل ونفر المرجفون الناس من مذهبه ولكن تكشف لهم الأمر فعرفوا أنه هاد ومهد.

ثم تطرق الحديث إلى الذكريات. . فسأل الأستاذ الأكبر الدكتور طه حسين:

أتذكر يا دكتور الموضوع الذى أسقطوك فيه فى الشهادة العالمية؟

فأجاب الدكتور طه: نعم، إنه المطلق والمقيد.

- ثم سأله الأستاذ الأكبر: كم سنة قضيتها في الأزهر؟

قال الدكتور طه: أنا دخلت الأزهر سنة ١٩٠٢، وتركته سنة ١٩١٢، وبقيت فيه عشر سنوات، أنا أحب الأزهر وأؤمن بأنه المشعل القوي جداً الذي ينير للعالم الطريق المستقيم، وأحب فيه العلم والمعرفة وأكره التزمت، أنا أذكر يا فضيلة الشيخ يوم إن كنت طالباً وكان معي ثلاثة من زملاء، وكنت أحضر النحو على الشيخ أبو النجا، وكنت حريصاً على النقاش العلمي، ولكن ذلك الشيخ لم يعجبه ذلك وكأنني قد أفرطت في النقاش فطرردونا من الدرس، وأقسم ألا يدرس ونحن في الفصل، فامتثلنا وتركناه ورحنا نحضر على الشيخ عبد المعطى الشرشيمي في زاوية العميان، وكان ما كان.

ثم عاد الدكتور حسين بالذكريات إلى الماضي البعيد فقال موجهاً حديثه إلى الأستاذ الأكبر: أتذكر فضيلتكم يوم أن جلسنا سوياً أنا وفضيلتكم والأستاذ على عبد الرازق وأخذنا نبحث فيما يجب علينا أن نقدمه لخدمة الشريعة الإسلامية وللعقل البشري فاتفقنا يوم ذاك على أن يكتب الأستاذ على عبد الرازق في العقيدة وتكتبون في الشريعة وأكتب أنا في تاريخ التشريع؟

فرد الأستاذ الأكبر وقال: إنه لمن حسن الحظ أن تبحيثوا اليوم وقد انتهت المطبعة من طبع كتابي في العقيدة والشريعة تحت عنوان «الإسلام عقيدة وشريعة».

فقال الدكتور طه حسين: وقد كتبت أنا أيضاً في قسم التاريخ كتاباً باسم «مرآة الإسلام» ولا زلنا في انتظار ما يكتبه الأستاذ على عبد الرازق.

مضى من الوقت نصف ساعة والمستتر سالات والدكتور تقى والأستاذ عبد الحكيم سرور وأنا نستمع في سعادة إلى الحديث الذي يدور بين الرجلين الفاضلين ثم قال المستر سالات -باللغة الفرنسية طبعاً- وقام بالترجمة الدكتور طه حسين.. قال للأستاذ: إنني لأستحيى أن أذكر النسبة بين عمر اليونسكو وعمر الأزهر المديد وبين عملها وعمل الأزهر المجيد، واليونسكو وإن كانت مؤلفة من جميع دول العالم فلئنني أعتقد أن قدرتها على نشر السلام في الأرض أقل بكثير من الأزهر

ولكننا نطمح في الكثير من الأزهر وخاصة في عهدكم الذي يؤمن المصلحون برسالتكم فيه .

ثم قال الأستاذ الأكبر موجهاً كلامه للدكتور طه حسين: إن عليك حقاً للأزهر وهذا الحق كذلك على كل من تتلمذ في الأزهر وأخذ من الأزهريين، وإذن فخدمة الأزهر -إن شاء الله- سيصل بمعونة الله ومعونة لإخواني المصلحين إلى جمع كلمة المسلمين ورجال الإنسانية على كلمة واحدة وهدف واحد .

قال الأستاذ الأكبر: إن الجمهورية العربية معنية كل العناية بأمر هذه البعوث ويظهر ذلك إقامة هذه المدينة التي تتكون من إحدى وأربعين عمارة ضمت خمسين جنسية من مختلف الجنسيات الإسلامية ليتفقهوا في دينهم ويتعرفوا إلى نواحي الاجتماع والتعاون والديمقراطية الصحيحة في إسلامهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، وليكونوا رسائل حية لجمهوريتنا يربطون بيننا وبين إخواننا في جميع الدول وهؤلاء يعد لهم الآن منهاج دراسي يتفق وطبيعتهم ويحقق الرباط بيننا وبين دولهم .يساعدنا ويساعدهم على تحقيق رسالة الإسلام، ولقد وفد إلى الأزهر في هذه الآونة أحد المسلمين الأميركيين ليدرس في الأزهر، وقد أمرت له بمنحة شهرية . أدعو الله لهذا ولغيره أن يكون جهاده وتعلمه في سبيل العلم . . في سبيل الربط الحر المتين بين دول الأرض بما ينشر السلام ويحققه .

ثم استطرد الأستاذ الأكبر قائلاً: إن مشيخة الأزهر تدعوك يا دكتور طه والمستر سالات والدكتور تقي، تدعوكم من الآن لزيارة هذه المدينة المعدة على أحدث النظم في العالم .

ثم سأل المستر سالات: لماذا لا تترجمون كتب فضيلتكم إلى اللغات الأخرى؟ فأجاب الأستاذ الأكبر: إنني أعدكم بترجمتها .

فتدخل الدكتور طه حسين في الحديث وقال: إنني أتمنى لو ترجمت إلى الإسبانية واذكر بهذه المناسبة أنني عندما كنت وزيراً للمعارف أرسلت بعثة إلى إسبانيا فاشترك الأزهر بواحد وكنت أود أن لو انتفع به الأزهر وهو الآن أستاذاً في كلية دار العلوم .

وبعد ساعة.. انتهى حديث شيخ الأزهر وطه حسين والمستر سالات.. انتهى حديثهم عن حرية الفكر.. الحرية التي توصل إلى السمو في الهدف وتحقيق آمال الناس جميعاً فيما يهدفون إليه.. الحرية التي تأبى توجيه العلم إلى الشر وتحطيم القوى.. الحرية التي تهدف إلى التعارف الحر على أساس العلم لا على أساس السياسة..

وانصرف الضيوف الثلاثة.. وأحسست بأنهم خرجوا بشيء جديد عن الأزهر.. أقدم جامعات العالم وأحد المصادر الكبرى للإشعاع العالمي.. كانوا يسرون إلى الباب الخارجى وكأنهم يحاولون الخطو إلى وراء.. ليتحدثوا من جديد.. عن حرية الفكر.. وحرية المعرفة.





الدكتور طه حسين ابن الأزهر الشريف

محمد عبد المنعم خفاجي^(١)

-أديباً-

-١-

عالم يخطو إلى السبعين، في صدره عزيمة الشباب، وعلى ظهره أعباء سنين طوال، قضاهما مجاهداً مكافحاً في سبيل خدمة الثقافة والأدب، وعلى تجاعيد وجهه تلوح سمات المحتد وعراقة الأصل وطيبة النفس والتصميم على مواصلة الكفاح في رحلة شاقة إلى المجد، والاعتماد على النفس دون محاولة للاستعانة بجاه أحد أو بنفوذه.

ومن وراء ذلك كله مؤلفات ينوء بحملها جلد إنسان، وذكر ذائع في كل مكان من أرجاء العالم العربي والإسلامي، واعتزاز من كثير من المفكرين به وبأدبه. وقد كتب عنه من المقالات ما لا يمكن حصره، ونشرت عنه دراسات عديدة من أهمها:

١- كتاب صورة من الفكر المعاصر تأليف الأستاذ فكري أبو النصر.

٢- كتاب من رواد الأدب المعاصر تأليف الأستاذ حليم مري.

٣- الكتاب العربي.

وعنه كتبت تراجم في كتب عديدة من أمثال: الأزهر في ألف عام، وبنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي، ونشر كثير من شعره في كتاب «مع الشعراء المعاصرين» وفي ديوانه «أحلام الشباب».

-٢-

ويمكننا أن نتعرف إلى المذهب الأدبي عند أديبنا في كتبه، مما يمكن تلخيصه فيما يلي:

(١) ص ٣٤ ج ٤ من الأدب الحديث - مكتبة الأنجلو بالقاهرة.

١- يؤمن أدينا بضرورة الملكة الأدبية، والموهبة الذاتية كأساس لبناء الأديب من الجانب الفنى والثقافى، ومن ثم نجده يحيل كل الخصائص الذاتية التى تميز أديباً عن أديب إلى أثر هذه المواهب.

٢- ويرى أن الثقافة الأدبية الحديثة للأديب يجب -فوق تناولها لجميع الثقافات الممكنة- أن تتناول التعرف إلى جميع الثقافات الأدبية القديمة والحديثة والمعاصرة عند جميع الشعوب، ومن ثمن يحرص على الاتصال بروائع الآداب الأوروبية المترجمة، ويرى وجوب التعاون والإخاء الأدبى بين الأدب العربى وهذه الآداب. كما يرى وجوب دراسة الآداب الشرقية عامة والعربية خاصة عند جميع الشعوب التى يتصل تاريخنا بتاريخها وحياتنا بحياتها، ومن أجل ذلك أسهم فى نشر كثير من الآثار الأدبية القديمة والمعاصرة لأبناء من أبناء مصر والبلاد العربية. وبحثه عن الشعر السودانى المعاصر الذى نشره فى كتابه «قصص من التاريخ» يعد بحثاً جامعاً أصيلاً جديداً.

٣- وأدينا يرى أن الأدب لابد أن يخدم هدفاً اجتماعياً أو قومياً أو إنسانياً، وإلا فقد جزءاً كبيراً من مقوماته، ومن أجل ذلك نراه فى كتابته عن الأدب المعاصر يشيد بروائع الآثار الواقعية فى الأدب والشعر (راجع مقدمة كتابه قصص من التاريخ).

٤- وهو مع ذلك يرى أن الأدب المعاصر تنقصه الملكة والذوق البلاغى، كما أن الأدب القديم كان ينقصه الاتجاه والمذهب والرسالة، ومن أجل ذلك فهو ييشر بأدب جديد تتجلى فيه خصائص الأدبيين أكثر وضوحاً عما هى عليه الآن.

ومن صور آرائه فى الأدب الحديث ما كتبه فى مقدمة كتابه «قصص من التاريخ» بعنوان (الأدب والحياة) قال:

«الأدب لم يعد اليوم ترفاً وفناً خالصاً، وتصاوير مزخرفة منمقة وبلاغة أدبية محضة، ولم يعد يقصد للترفيه والتسلية وقطع الوقت، وليس الأدب مقصوراً على إثارة الشهوات الجنسية كسباً لجمهور القراء الفارغين التافهين، وليس بخوراً يحرق فى مواكب الطغاة تمجيداً وتسبيحاً بحمدهم، ولا دعاية تنشر لتضليل الرأى العام

والهائه وكسبه بجانب الديمقراطية أو غيرها، فلم يعد لأمثال هذه الآداب بيننا قيمة، ولم يعد القارئ المثقف يؤمن بمثل هذا الأدب الأجوف، ولم تعد أحكام النقد وقفاً على طائفة من الكتاب والنقاد المضللين، الذين ساروا في كل ركب، ومشوا تحت لواء كل موكب، ووقفوا حياتهم على الدعاية لسياسة الغرب باسم الصداقة والأحلاف والديمقراطية في الشرق العربي.

ونحن نبدأ عهداً جديداً نحطم فيه هذه الأصنام الزائفة، وهذه الأقلام الجوفاء، وهذه الأغراض التي تاجرت بحريتنا الفكرية والأدبية، وأخضعت الأدب لأهواء السياسة ومشيتها، وآثرت على حساب الأدباء المساكين.

نحن نمقت هذه العصابات الأدبية الضالة، التي قتلت النبوغ وحاربت الفكر وضاعت ذرعاً بمواهب الشباب من الأدباء فقبرتها، وسخرت الأقلام للتسييح بحمدها بين الناس.

أصبح الأدب يدعو إلى الحرية والكرامة والحياة الطيبة للأفراد والجماعات والشعوب، الحرية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والكرامة التي تدع الإنسان مؤمناً بأنه لم يخلق عبداً لإنسان، وإنما خلق إنساناً يشعر بكرامته الإنسانية وقيمه في المجتمع، والحياة الطيبة التي تتكافأ فيها الفرص، وتتساوى فيها المواهب، ويجد فيها كل إنسان له عملاً لائقاً، وعيشاً شريفاً، ومستوى مادياً مناسباً وعناية واحدة من الحاكمين، والتي تنعدم فيها الفروق بين الناس، وتقل فيها المشكلات أمام الفرد، فلا يضطر إلى الانتحار، لأنه لا يجد الخبز لنفسه وأولاده، ولا يعيش متسولاً عالة على الناس، ولا يقعد به المرض أو الجهل عن أن يعيش وأن تحفظ عليه كرامته في وطنه. . . يجب أن يكون الأدب اليوم صدى الحياة المدوي، وصوتها المجلجل في كل سمع، ولسانها المعبر عن آمال الإنسانية وآلامها وأفراحها وأحزانها وسعادتها وشقائها، وأن يعبر في وضوح عن حياتنا التي نحياها: حياة الفلاح في حقله، وحياة العامل في مصنعه، وحياة الموظف في وظيفته، وحياة الفتاة التي نادينا بحريتها، وحططنا الأغلال دونها، ثم لم نعمل شيئاً في سبيلها، لتستطيع الاحتفاظ بحريتها الطبيعية التي تحميها لها الحياة، فلم نساعد على العمل الشريف ولا على الزواج المناسب، وعلى حياة الأسرة

الهادئة، وتركناها وحدها فى الميدان، تقضى حياتها محرومة من الزواج السعيد الصالح، والأولاد الذين تشوق فى لهفة إليهم.

والوضوح والبساطة والجمال والصدق هى الخصائص الأدبية الأولى، والعناصر الفنية الأساسية لكل أدب جميل بليغ. ولكن خلود هذا الأدب وذيوعه يتوقف فوق ذلك على مضمونه وعلى أن يكون الأدب إنسانى النزعة، رفيع الهدف والغاية، يعمل مساعداً لنواميس الحياة على التقدم والنهضة والازدهار.

-٣-

والعوامل الثقافية التى أثرت فى عقلية أديبنا، يمكن تلخيصها فيما يلى:

١- العامل الأول: ثقافة الأسرة، وهى أسرة تنتمى إلى أصول عربية قديمة بسط صاحبنا تاريخها فى كتاب خرج منه حتى الآن تسعة أجزاء -ومن هذه الأسرة أعلام قديمة وحديثة ومعاصرة من الأدباء والعلماء والشعراء والكتاب، وهو كتاب «بنو خفاجة».

٢- العامل الثانى: ثقافته فى الأزهر الذى عاش فيه تلميذاً من سنة ١٩٢٧ إلى ١٩٤٦ حيث تخرج من كلية اللغة العربية يحمل شهادة «العالية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب، وتعادل الدكتوراة حرف (أ) من الجامعات المصرية -وتخول لحاملها التدريس فى كليات الأزهر وكليات الجامعات المصرية، وكانت الرسالة التى قدمها هى «ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان» وهى مطبوعة.

٣- العامل الثالث: مطالعته الشخصية فى الأدب قديمة وحديثة ويقول لنا: إنه حتى تخرجه طالع ما لا يقل عن خمسة آلاف كتاب فى الأدب عدا الكتب الثقافية الأخرى.

٤- اتصاله الوثيق بالبيئات والمدارس والمذاهب الأدبية المعاصرة، ودراساته فى كلية اللغة لتلاميذه.

٥- الاستعداد الشخصى والملكات الذاتية، التى تكون لصاحبها أفكاراً ثقافية وأدبية خاصة متميزة.

٦- اتصاله المباشر بالبيئات الثقافية الأجنبية وكان لعمله في الليسيه الفرنسية مدرسًا بها أثر ما في حياته، وكذلك اتصاله بالعديد من العناصر والبيئات الثقافية.

ومؤلفات الخفاجي تنقسم إلى عدة مجموعات:

١- فالأولى طائفة من المؤلفات في الدين، من بينها: الإسلام دين الإنسانية الخالد، الإسلام وحقوق الإنسان، الإسلام رسالة الإصلاح والحرية، مبادئ الإسلام الخالدة (بالاشتراك)، من ماضى الإسلام وحاضره (بالاشتراك)، الذكر الحكيم، مآثورات نبوية.

٢- والثانية كتب في التاريخ ومن بينها: بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى وهو فى تسعة أجزاء، الأزهري فى ألف عام وهو فى ثلاثة أجزاء قصة التصوف فى مصر، الصوفى المجدد.

٣- كتب فى النقد ومن بينها: مذاهب الأدب، فصول فى النقد، موقف النقد من الشعر الجاهلى، وحدة القصيدة فى الشعر العربى، حكومة القاضى الجرجانى فى النقد الأدبى.

٤- كتب فى التاريخ الأدبى القديم والحديث والمعاصر، ومن بينها: الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، الحياة الأدبية فى العصر العباسى، والحياة الأدبية فى الأندلس والعصر العباسى الثانى، والحياة الأدبية بعد سقوط بغداد فى عصر بنى أمية، والحياة الأدبية العربى بين الجاهلية والإسلام، الأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين، وهما (بالاشتراك)، والأدب العربى وتاريخه وهو فى أربعة أجزاء (بالاشتراك).

وقصة الأدب فى مصر، فى خمسة أجزاء قصة الأدب فى الأندلس فى خمسة أجزاء، قصة الأدب المعاصر فى أربعة أجزاء، قصة الأدب فى الحجاز بالاشتراك مع الأديب الحجازى عبد الله عبد الجبار وسيقع فى عدة أجزاء، صور من الأدب الحديث فى أربعة أجزاء.

٥- كتب فى تاريخ أعلام الأدب العربى، ومن بينها: ابن المعتز وأثره فى الأدب والنقد والبيان، رائد الشعر الحديث فى جزئين، أعلام الأدب فى عصر بنى

أمية فى جزءين، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، أعلام الأدب العربى (بالاشتراك)، الشعراء الجاهليون، مع الشعراء المعاصرين. أبو عثمان الجاحظ.

٦- كتب فى الأدب ومن بينها: فصول فى الأدب، من بلاغة العرب وهما بالاشتراك، نداء الحياة، الشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى، وغيرها.

٧- كتب فى البلاغة العربية ومن بينها الإيضاح فى البلاغة فى ستة أجزاء وعبد القاهر وأثره فى البلاغة العربية، والبلاغة العربية.

٨- كتب فى اللغة العربية وهى عديدة.

٩- كتب قديمة نشرها الخفاجى وحققها وهى عديدة كذلك، ومن بينها: البديع لابن المعتز، فحولة الشعراء للأصمعى، قواعد الشعر لثعلب.

ورسائل ابن المعتز، إعجاز القرآن للباقلانى، فصيح ثعلب، مقامات الحريرى بشرح الشريشى، وغيرها.

وللخفاجى مقدمات لكتب كثير من الأدباء المعاصرين، وعن كتبوا عنه: الدكتور أحمد زكى أبو شادى، والناقد مصطفى السحرى. روكس العزى. عبد الله زكريا الأنصارى. عبد الله عبد الجبار. محمد سعيد العامودى. ودیع فلسطين. حسن جاد. حليم مترى. أحمد الزين صاحب مجلة العراق بلبنان. الشيخ محمود النواوى. كامل أمين. محمد فوزى العنتيل. رضوان إبراهيم. إبراهيم الواعظ من أدباء العراق. عبد المسيح حداد. أحمد الشرباصى. كمال السوافيرى. فكرى أبو النصر. جميلة العلايلى. أبو الوفا التفتازانى. أبو السعود الجهنى، وغيرهم.

ومن شعر الخفاجى قصيدته «الشهداء»:

بطولتهم لكل فتى نشيد	وذكر فدايهم أبدا جديد
ومجد جهادهم فى الدهر باق	يضمن به على الدهر الخلود
شباب للعلائروا غصابات	تناديهم وقد ثاروا الجدود
مشيئة مصر أن تحيوا كراما	فذودوا عن حقوق الشرق ذودوا

حياة العز أو موت زؤام	ولا يجدى التردد والقعود
دعاهم للعلا داع فهبوا	جنود فى نضالهم أسود
فما يلهمهم فى الروع وعد	ولا يثنى عزائمهم وعيد
أباة والأبى يعيش حراً	كأن مضاه القدر العميد
يثور على الحديد فلا حديد	ويزار فى القيود فلا قيود
وينهض للمعظائم فى جلال	وفعل ما يريد كما يريد
لمصر حياتهم كانت فداء	وشعب تلك غايته يسود
هم الشهداء قد ضحوا كراماً	فكل بين واديه شهيد
ويوم فدائهم للمجد ذكرى	ويوم جهادهم للشرق عيد
هم الكرماء قد بروا وجادوا	ويحيى ذكرهم بر وجود
قبورهم نفوح شذاً وعصرأ	وتجفوها الأزاهر والورود
وفى البيداء تخشع فى جلال	ويخشع من جلالتها الوجود
كسى الشهداء تلك البید مجدأ	تشيد بذكرهن أرض ويبید
وليس لما بنى الشهداء مثل	وليس لتضحياتهم نديد
ويهتف باسمهم شعب أبى	تكاد الأرض إذ غضبوا تمید
عزيز أمسه الماضى كريم	طريف مجده الباقي تليد

-٦-

ويقول الشاعر المصرى كامل أمين، من قصيدة له وجهها إلى الخفاجى:

يا أخا الخير «يا خفاجة» والخير شباب الندى وروح الحياة
كل أرض نما به البر روح البستة الحياة ثوب النبات
قد عهدناك يا أخى تعبر الناس فتسعى بهم كسعى الفرات
تبعث اليأس القنوط من الآمال كبعث الحياة بعد الممات

يا أخى أين يوم كنت ألاقيك وكلى مجرح من كفاحى
لم أجد فى الحياة لما تمزقت سواك أمراً يداوى جراحى
كنت أجتاز رحمة الناس كالبيد لم تفض بغير الصباح
ضحلة البر والتعاون تجتر الشحاح الندى بها من شحاح

كم أرتنى الخطوب من صور الناس زيوفا قد فتحت عينيا
رب خدن ظننته ملء كفى نفض الخطب من يديه يديا
كان كالشوك لا نبات ولا ظل وإن كان كالنبات نديا
فلماذا فزت من تجارب دنياك بحر كسبت بالحر دنيا

يا أخى كيف مد سحرك فى الليل فمد الصباح بين ييانك
ريشة الساحر الصنّاع بكفيك وسحر البيان تحت لسانك
وخيال الحديث يجذب كاللحن فماذا عزفته فى كمانك
الكمّان الذى استحال يراعاً هز داود فيه من ألحانك

-٧-

وفى قرية صغيرة قديمة من أعمال مركز المنصورة، تسمى «تلبانة»، ولد
الخفاجى فى ٢٢ يوليو عام ١٩١٥ بين أحضان الطبيعة الجميلة فى الريف، وبين
الفلاحين المكدودين المرهقين الذين يعيشون فيه عيشة تجمع إلى البساطة سذاجة
التفكير، وإجهاد العيش، وشظف الحياة.

وفى إبان الحرب العالمية الكبرى، وما تلاها من أحداث الثورة الوطنية المصرية
عام ١٩١٥ ولد ونشأ الخفاجى.. تنطبع فى ذهنه صور من كفاح الحياة والإنسانية
ومن جهاد مصر فى سبيل حريتها وآمالها، هذا الجهاد الذى ظل أمداً طويلاً شغل

المصريين كافة، وموضع تفكيرهم، وألهم المقعد الناصب لهم فى حياتهم المعاصرة.

ولم يترك الخفاجى القرية إلا فى أثناء دراسته، وظل وفيًا لها ولأهلها الأبرياء البسطاء طول حياته.

وهذا الميلاد وما صاحبه وتلاه من أحداث فى حياة الخفاجى يصوره فى قصيدة ساحرة له عنوانها «يوم الميلاد» جاء فيها:

يوم ميلادى حمده صيغ لى اسما	وارتدت فى سناه روحى جسما
ورأيت الوجود طفلاً صغيراً	يستطيب الدنيا رضاعاً ونوما
ويحب الحياة مهداً وثيراً	وأباً صاغه الحنان وأماً
ونشيداً وأغنيات عذاباً	تملأ الغرفة الصغيرة نغماً
ومناغاة إخوتى فى المهد	وقبلات تشيع المهد لثماً
والسماء الزرقاء تسحر عيني	فأحصى النجوم نجماً فنجماً
وأرى كل ما أشاهد حلمًا	وأرى صادق الحقيقة وهما
ومنها:	

ما أنا؟ صورة لجد وجد	وكتاب عنهم يبنى علما
أنا مرآة صورت كل ما طاف	بوهم الحيا وهمًا وحلما
أنا أغنية تلحنها البيئة	رمزاً على الحياة ووسما
أنا قبشارة المصور ولحن	ربما بالحياة زادك فهما
ونشيد فم الخلود يغنيه	أمانا على الزمان وسلمما
بين نجد وفى العراق ومصر	عاش قومي يأبون ذلاً وضيما
ملكوا الملك شيدوا العرش ساسوا	الناس بالعدل والشجاعة حزمما
أنصت التاريخ القديم إليهم	ولهم طالما أشرار وأومى

فزعت بغداد وأترك بغداد
ثم أضحي المجد التليد حطاما
وعيون التاريخ تهزأ بالدهر
بين أرض الريف الجميلة نشئت
وحملت الأعباء طفلاً صغيراً
وبنيت المستقبل الضخم صرحاً
ومنها:

يا لذكرى الميلاد عودى وعودى
املاى العيش بهجة وسرورا
أنطقى الدهر، أسمى الدهرى لحنى
أنا أحيا على الرجاء وأسمى
أنا ما أبتنى رجل عن الوصف
أنا أحى التاريخ مجداً وجاهاً
فالرجاء البعيد بالوصل هما
طالما ذقته شجوناً وهما
والليالى فطالما كن صما
لأنال المنى كفاحاً ورشما
وجل ما أرمنى أن يسمى
وأعيد الأيام يوماً فيوماً

-٨-

إن الخفاجى لم يكن وحده فى الحياة، إن تاريخ قومه يمتد إلى أكثر من ألف وخمسمائة عام.

فهو من سلالة عربية عريقة، أرخ لها فى كتابه «بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى»، والخفاجيون قبيلة عربية حجازية كبيرة نشأت فى العصر الجاهلى وزاد نفوذها، وهم من العقليين العامريين القيسيين، وقد تعددت فروع القبيلة بعد الإسلام وهاجرت سلالات منها إلى الشام ومصر والعراق والمغرب والأندلس، ومنهم أعلام خالدون فى كل مكان، ولا ننسى الشاعر الأموى توبة الخفاجى العربى الحجازى، والأمير ابن سنان الخفاجى الحلبى المتوفى عام ٤٦٦هـ، والشهاب الخفاجى المصرى المتوفى عام ١٠٦٩هـ وابن خفاجة الأندلسى الشاعر المشهور، وغيرهم.

ومن الخفاجيين أسر حاكمة فى حلب فى القرن الخامس الهجرى، وفى العراق فى القرن الرابع إلى السابع الهجرى، وكانت ولاياتهم فى الناصرية بقرب الكوفة وكان يتولاها منهم أمير بعد أمير، وكانوا فى شبه استقلال داخلى عن الخلافة العباسية .

إن هذا الماضى العريق يحمله الخفاجى فى قلبه ودمه وأعصابه ويقف مزوداً منه بإيمان راسه، وعبقريه حادة، وقوة ضخمة تعاونه على كفاحه فى الحياة .

وحفظ الخفاجى القرآن الكريم وتعلم مبادئ وأطرافاً من الثقافة الأولى فى مكتب القرية أو المدرسة الأولى التى كان يتعلم فيها الشباب فى ريف مصر إلى عهد قريب .

وفى عام ١٩٢٧ رحل إلى مدينة الزقازيق يتلقى ثقافته الابتدائية والثانوية فى معهد الكبير، الذى تخرج منه عام ١٩٣٦، وبين هذين التاريخين قصة كفاح طويل ليس هنا فى هذا الكتاب مجال تسجيلها، إنما موضعه فى كتاب مفصل آخر .

ومن أهم ما ظهر على الخفاجى فى هذه الفترة الاتجاه الوطنى الذى دفعه إلى الكفاح فى سبيل وطنه فى الأزمات السياسية التى مرت بمصر منذ عام ١٩٣٤، وكان رئيس اتحاد طلبة أبناء الشرقية فى مدينة الزقازيق، وكان هذا الاتحاد قوة كبيرة سياسية فى هذه الفترة، والخفاجى وأصدقاء له هم الذين كونوه، وكانت مؤتمراته الوطنية تنشر فى الصفحة الأولى فى جريدة الجهاد المصرية، وفى شتى الصحف فى هذه الفترة .

ومن أهم ما يلاحظه الخفاجى على الثقافة المصرية فى هذه الفترة انعدام التوجيه وضعف تربية الملكات، وإهمال شئون الطالب النفسية والعقلية إهمالاً كبيراً. وقد جاهد الخفاجى فى أزمة الأزهر عام ١٩٣٥ مع زملائه جهاداً طويلاً .

والتحق الخفاجى بعد مرحلة الثانوى بكلية اللغة العربية بالقاهرة وهى إحدى كليات الأزهر الشريف وبدأ دراسته فيها فى أول أكتوبر عام ١٩٣٦، وفى اليوم الثانى من أكتوبر من هذا العام توفى والده، وبعد ذلك بعشرين عاماً أى فى يوم الخميس ٢٧ جمادى الثانية ١٣٧٥هـ - ٩ فبراير ١٩٥٦ توفيت والدته .

وفى خلال هذه الفترة اشترك الخفاجى فى الحركة الوطنية؛ وتابع دراسته وعمل أحياناً فى الصحافة فى جريدة السياسة والدستور، وفى صحف أخرى، وكتب المقالات والبحوث والدراسات فى شتى الصحف والمجلات.

وكان قيام الحرب العالمية الثانية فى هذه الفترة عام ١٩٣٩ أهم حدث عالمى تأثر به الشباب العربى أياً تأثر، بل تأثر به شباب العالم قاطبة.

وفى هذه الفترة تأثر بآراء عالمين، ومفكرين كبيرين من رجال الفكر والثقافة والإصلاح، هما الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش شيخ الأزهر فيما بعد، والأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة العلماء بالأزهر.

وكان الأستاذ الأكبر الشيخ حمروش عميد كلية اللغة آنذاك وكان بعقله الواسع وأفق تفكيره البعيد وثقافته العلمية العريقة أرفع مثال لطلاب كليته، يستمدون منه القدوة ويحتذون حذوه فى الفهم والتفكير.

وكان الأستاذ الكبير محمد عرفة أستاذاً للخفاجى فى الفلسفة والبلاغة، ومن ثم تأثر بآرائه التجديدية العلمية تأثراً خاصاً.

وتخرج الخفاجى فى يوليو عام ١٩٤٠ من كلية اللغة يحمل شهادته العالية.

والتحق بأقسام الدراسات العليا فى كلية اللغة العربية فى أكتوبر عام ١٩٤٠ فى قسم البلاغة والأدب، فعكف فى خلال الأحداث العالمية التى صاحبت الحرب العظمى، وفى أحداث مصر القومية التى امتدت من هذا التاريخ، وفى خلال أزمات الأزهر التى كانت نتيجة للصراع بين الحكومة والقصر والتى كان الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى مظهرًا لكثير من صور الحرب الخفية فى هذه المعركة، فى هذه الظروف عكف الخفاجى على دراساته العليا إلى أن تخرج عام ١٩٤٥ يحمل شهادة النجاح فى الامتحان التمهيدى لشهادة العالمية من درجة أستاذ.

ثم قدم رسالته الجامعية «ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد البيان» ونوقش فيها فى أكتوبر عام ١٩٤٦، ونال بها بتفوق شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الأدب والبلاغة من كلية اللغة العربية وهى أرقى شهادات الأزهر الجامعية وتعادل الدكتوراه الممتازة حرف (أ).

ومن الجدير بالذكر أن الخفاجي قدم للكلية مع رسالته المخطوطة ثلاثة كتب له مطبوعة عن ابن المعتز في جوانب تخدم موضوع رسالته وهذه أول مرة يقدم فيها باحث رسالة علمية مخطوط ومعهما ثلاثة كتب تخدم رسالته وفي موضوعها.

وكان هذا الجهد الأدبي موضع تنويه الأدباء والعلماء والصحف في حينه.

ولا ننسى أن نقول: إن خفاجي أمضى مع عمله الضخم هذا سنوات طوالاً يشغل وظيفة أستاذاً في الليسيه فرانسيه فرع شبرا.

وقد ترك بعد حصوله على شهادة العالمية من درجة أستاذ وظيفته في الليسيه ليتولى أستاذية البلاغة في معهد أسبوت الكبير الذي عمل فيه من نوفمبر عام ١٩٤٦ حتى أكتوبر عام ١٩٤٧، ثم في معهد الزقازيق الذي كان طالباً فيه من قبل، والذي عمل فيه من عام ١٩٤٧ إلى عام ١٩٤٨.

وانتقل الخفاجي في ١٧ أغسطس عام ١٩٤٨ إلى كلية اللغة العربية مدرساً للأدب والنقد والبلاغة فيها، وهو اليوم أستاذ فيها.

ومن الطريف أن نذكر أن الخفاجي متزوج من عام ١٩٤٨ وله ولد هو ماجد خفاجي، وتوفيت له بنت كان اسمها «وفاء خفاجي».

وهو عضو في شتى الهيئات العلمية والأدبية في مصر والعالم.

وله العديد من المؤلفات. وهو من أكبر دعاة التجديد والإصلاح والوحدة العربية، ومن أكبر النافرين على النظم السياسية الجائرة السائدة في كثير من شعوب العالم العربي المتخلفة عن ركب الحياة والحضارة وعن مبادئ الإسلام الكريمة.

-٩-

ومن صور مقالات الخفاجي كلمة كتبها بعنوان «أيام المجد»:

أيام عشتها وكأنى عشت بها الدهر كله، فقد جمعت المجد من أطرافه، واهتزت خلالها النفس هزة الفرح والإعجاب.

أيام ويا لها من أيام، لقد حسدت عليها نفسى، وحسدت الجيل الذى أعيش به، وحسدت وطنى مصر لأن تاريخه احتواها، ولأن العالم كله قد اهتز إعجاباً به وبها.

أيام ويا لها من أيام، فلو قدمت اليوم لما كان قد بقى لى من أمنية فى الحياة أتمناها لى ولوطنى المجيد.

فأولاهها: أيام الثورة الوطنية عام ١٩١٩ فى مصر، وقد شاهدتها فى قرى الخضراء طفلاً صغيراً. وشاهدت المظاهرات الوطنية التى كان يقوم بها أهالى القرية وأنا بينهم فى شوارع قرى الصغيرة وحاراتها. يهتفون للوطن بالحرية والاستقلال، وللإنجليز بالدمار والهلاك، ويطالبون بحرية للوطن العزيز: مصر وطن الأحرار والمجد والتاريخ، وكم كان يسعدنى وأنا طفل صغير أن أخرج مع جموع الفلاحين نحمل الهراوات والعصى ونستقبل بها السيارات الوافدة على طريق القرية، فإذا كان فيها أجانب استوقفناهم وطالبنا منهم أن ينزلوا معنا نحن الثائرين، ويهتفوا معنا بحرية مصر واستقلالها وسقوط إنجلترا والاستعمار.

وثانيتهما: أيام ثورة مصر الكبرى فى معركة القنال، حيث قامت المعركة فى أرض القنال بين قوات البوليس المصرى وجيوش الاحتلال، وضرب المصريون فيها أروع الأمثال وأمجد صفحات البطولة التى دونها التاريخ وعرفها الزمن وقد انتقم الإنجليز لهذه الثورة الوطنية الجليلة الخالدة بأيدي الخونة المصريين فى ذلك الحين، وعلى رأسهم صاحب العرش فاروق بن فؤاد، فأحرقوا القاهرة وكتبوا الحريات، وأعلنوا الأحكام العرفية، وأقالوا الوزارة الدستورية القائمة آنذاك وصبوا على البلاد سوط عذاب، ومع ذلك فقد صمدت مصر فى وجه الأحداث صمود الجبال والأبطال.

وثالثها: أيام الثورة المصرية القومية الكبرى، ثورة التحرر والتحرير فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، حيث استيقظت فى صباح هذا اليوم الجميل، فشاهدت جيش الوطن قد احتل مرافق القاهرة: وأقام حكماً جديداً فى البلاد، قضى على الخونة والفساد والإقطاع وسماسة الحكيم، وأخذ يصنع البلاد، ويكون فيها جيشاً قوياً، يحمى حرية الوطن واستقلاله.

ورابعتها: أيام معارك الوطن الكبرى فى أواخر أكتوبر ١٩٥٦، وأوائل نوفمبر من هذا العام، حيث تأمرت إنجلترا وفرنسا ومعهما عدوتنا إسرائيل التى يحركها

الاستعمار كما يشاء، وغزوا بقواتهم منطقة سيناء، ثم انهالت الطائرات والقنابل تدمر مدن مصر ومنشآتها وفق ما يشاء الأعداء، وصمدت مصر والمصريون صمود الأبطال.

وقامت المعركة فى بورسعيد، هذه المعركة الخالدة التى كتب فيها المصريون أروع الصفحات طول عصور تاريخهم المجيد، والتى دار فيها القتال من شارع إلى شارع، ومن منزل إلى منزل، ووقف جيش مصر وشعبها فى بورسعيد يصدون العدوان، ويقاومون جنود الإمبراطوريتين العجوزتين ومعهم جنود إسرائيل من مجرمى الحرب، ومن الهابطين من الجو، والصاعدين من البحر. وتتبع الوطن المصرى أبناء القتال أولاً بأول؛ وساعة بساعة، ووقفوا حول المذيع يسمعون وصف المعركة. وينصتون لأبنائها، يزدهيهم الفخر والكبرياء والمجد والعظمة لبطولات جيشهم النادرة، وعظمة الشعب المصرى الكامنة المتوارثة خلال الأحقاب والأجيال، وكأن مجرمى الحرب إيدن وموليه أرادا أن يتقمان من مصر لتأميمها قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ فرصدوا لها الأساطيل الجيوش والطائرات.

ولكن مجرم الحرب إيدن، ومجرم الحرب موليه، ومعهما تابعهم بن غوريون هزموا وانتصرت مصر فى معركة بورسعيد وقاوم المصريون فى أرض المعركة وثبتوا ثبات الجبال، واحتذى إيدن وموليه بقرار هيئة الأمم المتحدة الذى نص على وجوب وقف القتال فى الساعة الثانية صباح الأربعاء ٧ نوفمبر عام ١٩٥٦.

وهل أنسى الأسبوع الأول للحرب، وكانت غارات طائرات الأعداء مستمرة على القاهرة كل دقيقة، حيث لا يجد أحد متنفساً يأخذ فيه لحظة هادئة متمتعاً بنعمة الأمن والتفكير والتحرر من الخوف، وكنا فى القاهرة نطفئ الأنوار منذ دخول الليل، وتنقطع الطرق، وتتوالى صفارات الإنذار كل دقيقة، ونسمع أزيز المدافع وأصوات القنابل فى كل مكان، وكانت طائرات العدو تتهاوى كأنها الورق أمام مدافع مصر وبسالة أبنائها. لم تكن نجد دقيقة واحدة نخلو فيها إلى أنفسنا للتفكير أو التأمل أو القراءة أو الاستمتاع بالطعام، وكانت المعسكرات تنتظم شباب مصر وشيوخها من المتطوعين للدفاع عن وطنهم الأكبر، وكنا نتساءل بأى حق يبيح مجرم الحرب إيدن وموليه لأنفسهما حق غزو الشعوب التى خلقها الله حرة طليقة من كل قيد، وفشل

إيدن وفشل موليه ومعهما بن غوريون، فهم فشلوا فى تحطيم الروح المعنوية فى شعب مصر أو فى تحطيم المقاومة الشعبية فى وطنى مصر. وانسحب المعتدون من بورسعيد مكرهين فى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٥٦.

أيام كلها مجد وذكريات خالدة، كتبت فيها مصر صفحات رائعة من المجد، والمجد لمصر ولشعبها الحر الأبقى، وللحرب الأحرار الميامين.

-١٠-

ومن صور الخفاجى هذه القطعة وهى بعنوان «يا وطنى».

يا وطنى الخالد: لك المجد ولك أمجد صفحات التاريخ.

يا وطنى، يا مصر يا أم الحضارة. ومهد المدنية، ومعلمة الشعوب، لك العز والثناء، ولك الحرية والفداء، ولك العظمة والكبرياء.

يا وطنى: لقد كتبت اليوم أروع أعمال البطولة فى دفاعك المجيد عن بورسعيد، مما شهد به العالم، وسجلته الأحداث، لقد قاتل شعبك المجيد، قتال الأبطال من شارع إلى شارع ومن منزل إلى منزل، فعلمت البرابرة الغزاة أن أرض مصر حرام على المستعمرين، وأنها أمتنع من العقاب، مادام شباب مصر وشيوخها حريصين على أن يفتدوها بالمهج والأرواح.

يا وطنى: لقد وقفت خلال عصور التاريخ ضد الغزاة الفاتحين مقاتلاً باسلاً، ومحارباً صلباً، فطردت الهكسوس والفرس واليونان والرومان من أرضك، وطردت الصليبيين والتتار من ثراك الطاهر، وأقامت بسواعد أبنائك حضارات مشرقة، وإمبراطوريات مصرية ضخمة انحنى لها التاريخ، وهتف بذكرها الزمان.

يا وطنى: بيد أحمس ورمسيس، وبيد عمرو بن العاص وصلاح الدين، وبيبرس وبرقوق، وعرابى وجمال: رفعت أعرق لواء، وأمجد راية، وأرفع شعار للحرية والمجد والعظمة والجلال والقوة

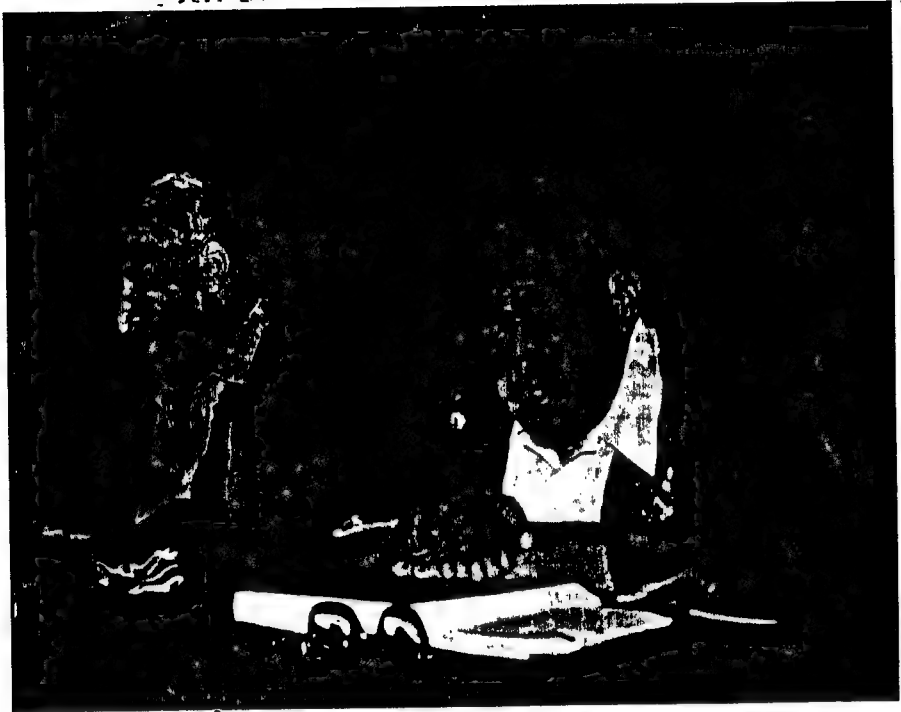
يا وطنى: إن الإمبراطورية المصرية فى عهد عمرو بن العاص وخلفائه، ثم عهد المعز وذريته، ثم فى عهد صلاح الدين الأيوبي وسلالته، ثم فى عهد المماليك، ثم

فى القرن التاسع عشر: كانت من أعظم الأعمال فى التاريخ، وكانت رمزاً وعزة ومنازة للإسلام والمسلمين، وكهفًا تأوى إليه الحضارة والثقافة الإسلامية.

يا وطنى الخالد: لقد وقف الإنجليز فى القرنين التاسع عشر والعشرين لنهضتك وحريتك ومجدك بالمرصاد، فقصوا على الأسطول المصرى فى نافرين، وقصوا على الجيش المصرى وحرموه ثمرة انتصاراته الحربية العظيمة فى عهد محمد على، ونهبوا إمبراطورية مصر بسياسة الخداع والتضليل، ثم صفوا بقاياها فى عهد إسماعيل، ثم ورثوها فى عهد توفيق بعد الاحتلال، ولكنهم وشفرك وكفاح أبنائك ونضال شعبك الحر الأبى لن يتمكنوا من هزيمة مصر سياسيًا ولا حربيًا فى عهد الأحرار.

بمجدك وتاريخك، وبأبطالك وأبنائك، وبثورة شعبك الأبى، وبشراك الطاهر، سنقاوم الغزاة، وسنتصر على الغزاة، والنصر لنا بفضل الله، وبسواعد شعبنا العريق.





على اليمين أ.د. محمد عبد المنعم خفاجى وعلى اليسار أ.د. على
على صبح أثناء مناقشة رسالة دكتوراه فى كلية اللغة العربية

الشيخ السيد سابق.. بين عمق التحليل وسلامة الأسلوب

فى الثانى والعشرين من ذى القعدة ١٤٢٠هـ - السادس والعشرين من فبراير ٢٠٠٠م لى فضيلة الشيخ السيد سابق نداء ربه بعد حياة حافلة بالجهاد والعطاء العلمى والدعوة إلى الله فى موازنة حكيمة بين ثوابت الإسلام والمتغيرات العصرية، وبما ييسر فى الفروع، ولا يخل بالأصول فى نهج فريد ينهل من ينابيع الإسلام، فاتسمت جهوده بالإبداع والأصالة، وأنبأت عن زيادته المبكرة فى التفانى فى خدمة الإسلام وتطوير علومه لخدمة البشرية. وتبجىء موسوعته الفقهية «فقه السنة» - أبرز ما كتبه بمجلداتها- الثلاثة، التى ترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية وتوخى فيها تيسير علم الفقه وتسهيل عرضه، مقروناً بالأدلة الأساسية، ومستنبطاً الأحكام من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بأمانة علمية، ودقة فقهية و، إيجاز مهيب، وأسلوب سلس اتسم بالعمق والبلاغة والأصالة، فانتفع بفيوضاتها العلمية والروحية طلابه وأبناء الأمة الإسلامية فى كل مكان على وجه البسيطة.

ولد فضيلة الشيخ السيد سابق محمد التهامى عام ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م، وتعلم فى المعاهد الأزهرية إلى أن حصل على الشهادة العالمية من كلية الشريعة بالأزهر الشريف عام ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، وعين بوزارة الأوقاف فتولى أعمالاً إدارية وتدرسية متعددة أهمها وكالة المساجد، وإدارة الثقافة والتدريب والدعوة، وتقديراً لمكانته العلمية اختارته جامعة الأزهر الشريف لتدريس الحديث النبوى لطلاب كلية أصول الدين.

اختير لإدارة المبرة المصرية بمكة المكرمة وانتقل للتدريس سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وتولى منصب رئيس قسم القضاء الشرعى بكلية الشريعة، ثم أستاذ الدراسات العليا فى كلية الدعوة، وإلى جانب ذلك: شهدت رحاب المسجد الحرام مجالسته العلمية والفقهية فشغف بحكمته وموعظته الحسنة،

وصدره الرحب، وسرعة بديهته، ورجاحة عقله، وحسن نهجه، ودقة عبارته، وشمول عرضه وتحليله كل رواد المسجد الحرام من أنحاء الدنيا. . وفى ذلك يقول أستاذنا الدكتور أحمد عمر هاشم: «كانت مجالسه العلمية وإجاباته على الأسئلة الفقهية تتميز بالدقة والإيجاز والوضوح، وكانت مجالسه تحف بها المهابة، ومع ذلك كان يتخللها شيء من الترويح عن النفس بالفكاهة الملهذبة التى تنقل سامعيه إلى جو باسم، ومناخ أخوى مرغوب، فقد كان يمثل شخصية العالم الجليل، والداعية المثالي والفقيه المتمكن».

ولكفاءته العلمية وقدراته الفكرية دعى لإلقاء العديد من المحاضرات فى تجمعات المسلمين وأقلياتهم فى أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفيتى «سابقاً» داعياً إلى قيم الإسلام، مبيّناً سماحته ونصرتة للحق والعدل، مدافعاً عما يلحقه به المرجفون من دعاوى كيدية، مؤكداً عظمة الإسلام وعالميته ونبذه لأى عرقية أو إقليمية، وحرصه على حياة الإنسان الذى خلقه رب العزة -تبارك فى علاه- لعبادته، وإعمار الكون بصالح الأعمال.

شارك فى العديد من المؤتمرات الإسلامية، مواصلاً نهجه فى الدعوة لإعادة بناء ثقافتنا العربية والإسلامية، مطالباً الهيئات الإسلامية بالتكاتف وحسن التنسيق مع هيئات المجتمع المعنية الأخرى لدفع عجلة التنمية الثقافية والعلمية لتنشئة الأجيال على التمسك بالدين والعلم حتى يقترب اليوم الذى نرى فيه عالماً عربياً إسلامياً يمسح عن وجهه آثار الغفو الطويل.

وإلى جانب تلك الجهود أثرى الشيخ السيد سابق -رحمه الله- المكتبة الإسلامية والعربية بكنوز من المؤلفات الفقهية والدراسات الإسلامية المهمة نذكر منها: «باقة الزهر»، القاهرة: دار الكتاب العربى، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، «العقائد الإسلامية»، «إسلاميات»، «عناصر القوة فى الإسلام»، «دعوة الإسلام»، «إلى الإسلام»، «من الإسلام»، «خصائص الشريعة الإسلامية»، «مصادر الشريعة الإسلامية»، وغيرها.

وتقديراً لذلك العطاء كرمته مصر: حيث منحه الرئيس محمد حسنى مبارك وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى تقديراً لأعماله البارزة، كما فاز الشيخ السيد

سابق - رحمه الله - بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م بالاشتراك مع الشيخ الدكتور يوسف عبد الله القرضاوى فى موضوع: «الدراسات التى عنيت بالفقه الإسلامى تأليفاً وتحليلاً وتيسيراً» وهى المرة الثانية التى يفوز بها مصريان بعد أن فاز به فى نفس المجال عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م والدكتور محمد رشاد بن محمد رفيق سالم، والدكتور فاروق أحمد حسن دسوقي، والدكتور مصطفى محمد حلمى سليمان، وكان موضوع جائزتهم: الدراسات التى تناولت العقيدة الإسلامية دراسة وتحقيقاً.

وفى يوم الإثنين ٢٢ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ - ٢٧ فبراير ٢٠٠٠م تقدم فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر جموع المصلين على راحلنا الكريم بمسجد رابعة العدوية - بمدينة نصر - القاهرة، وقلوب مشيعيه تسأل المولى القدير أن يكون مثواه مع النبيين والصديقين والشهداء وأن ينفعنا بعلمه ويجعله فى ميزان حسناته يوم يقوم الناس لرب العالمين^(١).



(١) صوت الأزهر: عبد المقصود السعيد عبد المقصود عدد ١٧/٩/٢٠٠٥.

لو أن للدين رجالاً

الإسلام هو المنهج الذى وضعه الله لهداية البشر كي يصلوا بالسير عليه إلى شرف الدنيا وكرامة الآخرة.

وقد استهدف هذا المنهج أعلى الأهداف وأسمى الغايات.. فمن أهم الأهداف.

١- تحرير النفس.

٢- تنمية الذات.

٣- تكوين أمة.

٤- تحقيق السلام.

تحرير النفس:

من الأهداف الأولى للإسلام تقوية الصلة بالله عن طريق الإيمان والصلاة والذكر والشكر والدعاء والعبادة والطاعة. ومتى قويت الصلات بالله تحررت النفس من معوقات التقدم نحو الخير والحق والكمال والجمال.. ويتمثل هذا التحرر فيما يلي:

١- التحرر من الخضوع للطغاة والمستبدين.

٢- والتحرر من الخوف والقلق والاضطراب.

٣- والتحرر من القيم الزائفة، قيمة الجاه والمال والنسب.

٤- والتحرر من الهوى والشهوة والمتاع الزائل.

٥- والتحرر من الجهالة والضلالة وفى هذا يقول الرسول ﷺ: «احفظ الله

يحفظك.. احفظ الله تجده أمامك.. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله،

واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك،

ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك».

(١) كلمة للشيخ سيد سابق الداعية الإسلامى.

تنمية الذات:

والإسلام يعطى الأهمية القصوى لتنمية الذات وتكوين الشخصية فهى حجر الزاوية فى بناء المجتمع القوى الرشيد.

وتنمية الذات ثمرة التربية العقلية وتقوية الإرادة وتزكية النفس.

أ- فالتربية العقلية قوامها الاستزادة من العلم والحكمة والتطلع إلى المعرفة والثقافة والتفكير فى ملكوت السموات والأرض والسياحة فى دنيا الله الفسيحة.

وغاية هذه التربية:

* تعميق جذور الإيمان وترسيخها حتى يصل الإنسان إلى درجة اليقين عن طريق الحجة والبرهان.

* الكشف عن سنن الله فى الكون كى يستخدمها فى ترقية حياته.

* فتح الميادين أمام العقل كى يكشف ويخترع ويبدع ويصل إلى الكمال المنشود.

ب- وتقوية الإرادة بتعويدها الصبر والثبات واحتمال المشاق واقتحام الصعاب رغبة فى الوصول إلى معالى الأمور وتطلعاً إلى تحقيق جلائل الأعمال.

وفى الحديث الصحيح بقول الرسول ﷺ: «إن الله يحب معالى الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها».

إذا غامرت فى شرف مرور

فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقير

كطعم الموت فى أمر عظيم

ج- وتزكية النفس تتم بتخليصها من الهوى وكبت الشهوات الدنيئة وتصفيها من الرياء والنفاق والأثرة والأنانية والحقد والحسد وغرس العواطف الكريمة والمشاعر النبيلة.

ويحتاج الإنسان كى يصل إلى هذا المستوى الرفيع إلى ما يلى.

١- الأمل والعمل.. يقول الرسول ﷺ: «ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما قر في القلب وصدقه العمل، وأن قومًا غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو احسنوا الظن لأحسنوا العمل».

٢- اليقظة والحرص على الإصلاح والتقدم والترقى.. يقول الرسول ﷺ: «إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت. كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

٣- مجاهدة النفس وتحدى المغريات والمثيرات والوقوف منها كالطود الشامخ أمام العواطف الهوج قال: تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩].

ومتى تركت النفس كان الإنسان جديراً بوصف الإنسانية.

تكوين الأمة:

والإسلام يحرص على إيجاد كيان قوى وأمة قادرة تستطيع إحقاق الحق وإبطال الباطل وتأديب الطغاة وتطهير الأرض من الشر والظلم والفساد، ومن أجل ذلك دعا إلى كل ما من شأنه أن يجمع القلب إلى القلب ويضم الصف إلى الصف حتى يكونوا كما وصفوا في الحديث «كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً» و«كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

فدعا إلى التآخى والاتحاد وإلى التعاون والتضامن وإلى المودة والمحبة إلى العطف والرحمة وإلى التضحية والإيثار وإلى التواصى بالحق والتواصى بالصبر وإلى الحرية والمساواة وإلى كفالة المحتاج ورعاية المعوز. ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

تحقيق السلام:

والإسلام يعرف أن الناس وإن اتفقوا فى بعض النواحي فإن هناك عوامل تفسدهم وتجعل الفرق بينهم بعيداً والبون شاسعاً، فالتربية الفاسدة والتقليد الأعمى

والتعصب الذميمة والجهل الممقوت، كل ذلك يمنع كثيراً من الناس من الخضوع للحق والسير وفق منهج الصواب. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿[هود: ١١٨، ١١٩].

والسلام إنما يتحقق بإقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه والمحافظة على النفس والعرض والمال والجندية والكرامة بالنسبة لكل قرار بغض النظر عن دينه ولونه وجنسه ولغته ومركزه الاجتماعي.

فالإنسان أهل للتكريم من حيث كونه إنساناً. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

مرت جنازة رجل من الكافرين على رسول الله ﷺ فقام لها، فقالوا: يا رسول الله إنها كافر، فقال: «أو ليست نفساً؟».

وهكذا يعمل الإسلام على تحريم النفس وتربية الفرد وتكوين الأمة وتحقيق السلام ليأخذ البشر طريقه إلى التقدم الصحيح والكمال المنشود.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[المائدة: ١٥، ١٦].

وما أصدق ما قيل: يا له من دين لو أن له رجالاً.





الشيخ الإمام محمود شلتوت

الشيخ محمود شلتوت^(١)

توفي رحمه الله في ١٠ ديسمبر ١٩٦٣ ففقدت مصر عظيمًا من عظمائها وعالمًا تفقه في مختلف نواحي الحياة الدينية والاجتماعية كان بصيرًا بالأحكام الشرعية الملائمة لحاجات الناس ومقتضيات العصر ومفسرًا مسلمًا بكتاب الله وسنن الكون وعالمًا اجتماعيًا يعرض أمراض المجتمع ووسائل علاجها.

* في عام ١٩٢٨ بدأ الشيخ شلتوت ينشر مقالاته في الصحف محاربًا الروتين وداعيًا إلى إصلاح الأزهر وتطويره حتى عام ١٩٣١ حين تعارضت آراؤه الإصلاحية مع المشرفين على سياسة الأزهر في ذلك الوقت حتى انتهى الأمر إلى فصله وبعد الفصل. لم يهدأ أو يئأس بل تابع نقده ونشر أفكاره واشتغل بالمحاماة والبحوث العلمية خلال أربع سنوات حتى أعيد إلى الأزهر وكيلًا لكلية الشريعة ثم مفتشًا بالمعاهد الدينية.

* ومنذ تولى الشيخ شلتوت أمر الأزهر أعاد النظر في تنظيم المناهج وأدخل الدراسات القانونية في كلية الشريعة لتتم المقارنة بين دراسة الفقه الإسلامي والقوانين المعاصرة وأدخل فقه الشيعة مما كان له أكبر الأثر في التقريب بين جماعات المسلمين في أنحاء العالم.

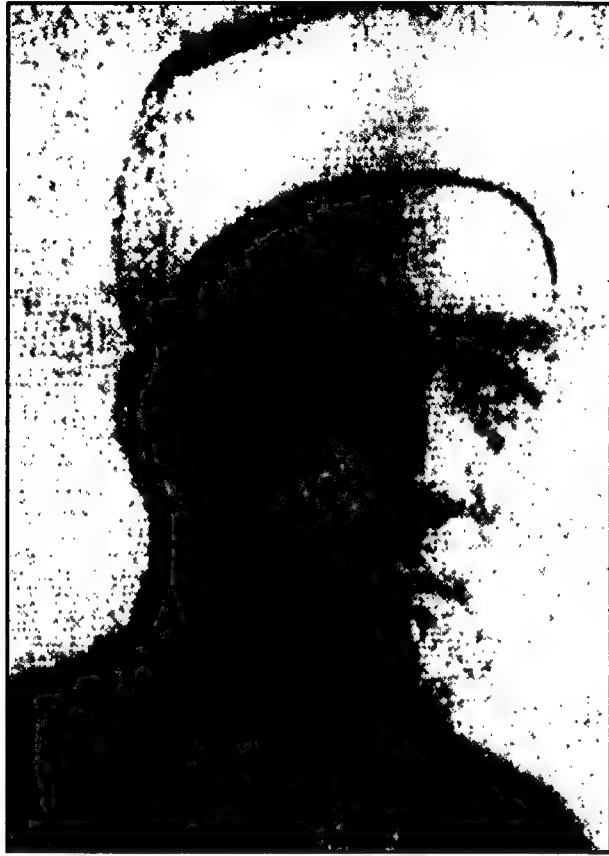
وتقديرًا للشيخ شلتوت منحته جامعة شيلى الدكتوراه الفخرية عام ١٩٥٨ .. كما منحته جامعة جاكارتا الدكتوراه الفخرية عام ١٩٦٠.

وكان المسلمون في يوغوسلافيا واليابان والجزائر وروسيا وألمانيا وإيطاليا قد وجهوا إليه الدعوة لزيارة المسلمين فيها وتفقد أحوالهم.

ولقد أجمع العلماء وأهل الرأي أن التوفيق قد حالف الأزهر عندما ولى أمره الشيخ شلتوت فوجد فيه مفكرًا وعالمًا من اليقظة الفكرية والدراية العملية ما يمكنه من القيام بدوره.

* قبل أن تصعد روحه إلى بارئها بدقائق... جلس يتحدث إلى زواره عن الإسراء والمعراج ثم توقف قليلاً وتبين للحاضرين أنه يعاني أزمة طارئة وحاول الأطباء إنقاذه وسارعوا بأنابيب الأوكسجين ليساعدوه على التنفس ولكن روحه كانت قد صعدت إلى بارئها.

(١) إضافات جديدة لما سبق مستقلة حرصاً على أمانة التحقيق أن يظل كما نشر في الطبعة السابقة.



الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

أعلام معاصرون

الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد^(١)

رائد مدرسة التحقيق العلمي

يمثل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد جيلاً كاملاً من الكفاح العلمي الكبير، حتى ليعد رائداً عظيماً لمدرسة التحقيق العلمي، سار على ضوئه المحققون، وشرح كتب التراث الإسلامي العربي.

وقد تتلمذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد على جيل الرواد الإسلاميين الكبار، الذين ازدانت بهم الحياة المصرية في أوائل القرن العشرين، وكانوا دعامة النهضة العربية والأدبية في العالم العربي كافة.

وقد تخرج الشيخ محمد محيي الدين من الأزهر الشريف عام ١٣٤٧ هـ الموافق ١٩٢٥ م يحمل شهادة العالمية أعلى شهاداته العلمية آنذاك، وكان نجاحه بل تفوقه يومئذ مثار الدهشة، فقد جاء الأول على أقرانه من فحول العلماء.

وشغل في هذه الحقبة الطويلة الكثير من المناصب العلمية الرفيعة: أستاذاً بالأزهر، فأستاذاً بكلية اللغة العربية، فمفتشاً عاماً بالمعاهد الدينية، فوكيلاً لكلية اللغة، فأستاذاً بكلية أصول الدين، ف رئيساً لمفتشى العلوم الدينية والعربية بالأزهر، فعميداً لكلية اللغة العربية، فعضواً بالمجمع اللغوي، وعضواً بلجنة الفتوى بالأزهر، وعضواً في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وفي كثير من الهيئات العلمية، ولا ننسى أنه اختير عام ١٩٤٠ للسفر للسودان؛ ليشترك في تأسيس مدرسة الحقوق العليا في الخرطوم، وقد قام حينذاك بمهمته خير قيام، وكان مضرب المثل في علو المنزلة وسمو المكانة بين السودانيين والمصريين على السواء.

ومثل الأزهر في كثير من المؤتمرات الثقافية واللغوية والأدبية، ووجه الثقافة فيه الوجهة الرفيعة العميقة، التي أثرت في بناء الجيل الحاضر تأثيراً كبيراً.

(١) إضافات جديدة لما سبق ليظل ما سبق كما هو حرصاً على أمانة التحقيق.

ويمثل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد أفكاراً لغوية، لها منهجها ودقتها وعمقها، فهو يرى ضرورة تربية الحس اللغوى، لينتهى بصاحبه إلى الذوق الأدبى، ويبدأ بالكلمة لينتهى إلى الأسلوب فالأدب نفسه، ودور الكلمة فى الأدب دور كبير، وأثرها فى بناء العمل الأدبى ضخمة وجليل.

والشيخ محمد محيى الدين يقف دائماً فى مجال الريادة:

- فهو أول من فكر فى تأليف كتب دينية مزدانة بالمناسب للأطفال، فألف خمسة أجزاء: اثنين للبنين، واثنين للبنات، وكتاباً مشتركاً، وقد ذاعت هذه الكتب آنذاك، حتى كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام يذكر أنه شاهد لها ترجمات بالفارسية وبالتركية.

- وهو من أول من عنى بكتب التراث وتحقيقها تحقيقاً علمياً دقيقاً، مما يتجلى لنا فيما حقق من أمهات كتب التراث فى الأدب والنقد والبلاغة واللغة والنحو والصرف، ولذلك يعد بحق شيخ العلماء المحققين.

- وهو أشهر شارح ومفسر لكتب القدماء فى مختلف فنون العلم، وقد سهل بذلك على الجيل المعاصر قراءة هذه المصادر، والإفادة منها والاعتراف من بحرها.. وقد اختارت مؤسسة (بريل) فى هولندا نشر شرحه على: (شرح ابن عقيل) بالحروف البارزة ليقرأه المكفوفون، ونحن نشكر لها هذا العمل العلمى والإنسانى معاً.

- وإذا عدنا إلى الأعمال العلمية لهذا العالم الجليل من أعلامنا المعاصرين نجدها تنقسم ثلاثة أقسام.

القسم الأول: دراسات أدبية ولغوية وإسلامية ألفها، وكانت مثلاً لرصانة العلماء، وعمق البحث، ودقة التأليف، ومنها:

١- دراسة كبيرة له عن المتنبي ونقد شعره، نشرها فى مجلة الأزهر تباعاً، وتعد من أهم المراجع عن أبى الطيب وشعره.

٢- دراسة عن الفكر الإسلامى عند الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق، وقد نشرت فى مجلة (الكتاب) التى كانت تصدر عن (دار المعارف) عدد: نوفمبر ١٩٤٥م.

٣- تصريف الأفعال: وهو كتاب مشهور لم يؤلف مثله حقًا، مكملًا لمنهج القدماء في دراسة الأفعال، وطبع عدة طبعات، وكان مرجعًا علميًا للأساتذة والطلبة في كليات اللغة ودار العلوم والآداب.

٤- أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية - المعاملات الشرعية - الأحوال الشخصية - أصول الفقه. وهي كتب أربعة مشهورة، كانت تدرس في كليات الحقوق وأصول الدين، وفي مدرسة الحقوق العليا في الخرطوم، وطبعت عدة طبعات.

القسم الثاني: كتب من أمهات التراث في مختلف العلوم، حققها عالمنا الجليل تحقيقًا علميًا دقيقًا، عنى فيها عناية فائقة بتقويم النص، وضبط مشكله، وشرح غريبه، ومنها:

سيرة ابن هشام - الموازنة للأمدى - يتيمة الدهر للثعالبي - العمدة لابن رشيقي - نفح الطيب للمقرئ - وفيات الأعيان لابن خلكان - زهر الآداب للحصري - فوات الوفيات لابن شاكر - معاهد التنصيص للعباسي - مروج الذهب للمسعودي - مقالات الإسلاميين للأشعري - وغير ذلك مما يضيق المجال عن حصره، وما تلقاه قراء العربية في كل مكان بالتقدير والإعجاب، إذ رأوا فيه طاقة علمية فريدة، واتخذوا منه عمدة المصادر لجميع طلاب الجامعات في العالم الإسلامي العربي.

القسم الثالث: كتب من التراث شرحها شرحًا وافيًا، وذلّل صعوباتها للباحثين، وأضاف إليها الكثير من الدراسات. . . ومنها أهم كتب الثقافة العربية: كشرحه للأجرومية الذي خرج بعنوان: (التحفة السنية)، وظل إلى اليوم يدرس في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي، وطبع أكثر من خمس وعشرين طبعة. وكشرحه للأزهرية وشرحه على: (شرح قطر الندى لابن هشام) الذي طبعه ثلاث عشرة طبعة. وكشرحه على: (شرح شذور الذهب) لابن هشام. وشرحه على: (شرح ابن عقيل) في أربعة أجزاء كبار، وطبع خمس عشرة طبعة. وشرحه على: (أوضح المسالك) لابن هشام، ويقع في أربعة أجزاء ضخام، وطبع نحو عشر طبعات. وشرحه على: (المفصل) للزمخشري، وهو من أصول اللغة العربية. وشرحه على: (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك) ويقع في أربعة أجزاء كبيرة، وهو يطبع الآن للمرة الثالثة.

وشرحه على كتاب: (الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) فى جزأين كبيرين، ويدرسه المستشرق الفرنسى بلاشير لطلابه بالسوربون، مؤثراً لهذه الطبعة على الطبعة الأوروبية.

وكشرحه على: (متن التلخيص فى البلاغة) وطبع عدة طبعات.

وقد تتلمذت على علمنا الجليل أجيال عديدة من الشباب، وفى مقدمتهم أساتذة وعمداء كثير من الكليات الدينية واللغوية والأدبية فى مصر والسودان والعالم العربى، ومنهم جمهرة من كبار رجالات الدولة فى العالم العربى. . وما أكثر تلاميذه فى الشرق والغرب، وجميع المستشرقين فى العالم يولون بحوثه وتحقيقاته عناية فائقة، واهتماماً كبيراً.

وكذلك قد تتلمذت على يديه وفضيلته عميد فى كلية اللغة العربية وكنت طالباً بالسنة الأولى بالكلية، وكانت شخصيته مهابه وقورة دقيقه منظمة فى هندام وزى أزهرى أنيق، وفى أثناء سنوات الدراسة بالكلية تتلمذت على يد أستاذى الدكتور محمد خفاجى حيث كان أستاذاً فى عمادة العلامة الكبير الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد رحمه الله تعالى.

وقد توفى -رحمه الله- فى شهر المحرم سنة ١٣٩٣هـ الموافق مارس ١٩٧٣ عن نيف وسبعين عاماً. . أجزل الله له الثواب كفاء ما قدم لدينه ولغة كتابه الحكيم ولتراث العربية وآدابها من جهود خالدة على مرور الأيام.



الشيخ عبد السميع شبانة

أحد علماء الأزهر الذين شاركوا في تحقيق رسالته والنهوض بطلابه، تخرج على يديه آلاف العلماء من أبناء العالم الإسلامي.

كان -رحمه الله- يعطي جهده كله لخدمة العلم والعلماء. كان بيته منتدى يجتمع فيه طلاب العلم من كل جنس بما يدور في مجلسه من مسائل علمية سواء ما يتصل منها بالعلوم الدينية أو العربية..

فلم يكن -رحمه الله- يقف عند حدود تخصصه في النحو أو الصرف بل جاوز ذلك إلى العلوم الشرعية فكان حجة فيها يأتي إليه الناس يستفتونه في أمور دينهم فيرشدهم إلى الحق والهدى.. كان فقيهاً في علم الموارث وقد صدرت له آلاف الفتاوى التي كانت تستند عليها المجالس العرفية في حل المنازعات بين الأسر والأفراد.

ولد رحمه الله في ١٢ يناير سنة ١٩٠٣ في بلدة فرسيس من محافظة الشرقية.. وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم، ألحقه والده بالأزهر الشريف والمساجد المحيطة به حتى حصل على الشهادة العالمية ونال إجازة التخصص القديم التي تعادل درجة الدكتوراه سنة ١٩٣٢م.

بدأ دوره في الدعوة إلى الله وتبصير الناس بأمور دينهم بعد أن عين أستاذاً في معهد الزقازيق فكان ينتقل بين قرى محافظة الشرقية ومدنها يخطب في الناس ويبين لهم الحق من الباطل فلم يكن يمضي أسبوع من غير أن يشترك في ندوة دينية أو يلقي عظاته التي كان يقبل الناس عليها.

وفي الوقت نفسه كان أحرص ما يكون على أهل بلده فكان يعقد لهم مجالس العلم ويساعد أبناءهم في دراستهم حتى عرفت قريته (فرسيس) بأنها بلد العلم حيث كان أبناؤها يعرفون مسائل الدين وكل ما يتصل بالعبادات والمعاملات بسبب تعليم الشيخ لهم.. وكان يتخرج من الأزهر منها في كل عام أكثر من ثلاثين عالماً وهي القرية الصغيرة التي لا يتجاوز تعدادها في هذا الوقت ألفى نسمة.

واختارته مشيخة الأزهر للتدريس فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٣٩ لمكانته العلمية .

ألف الكتب الكثيرة فى النحو والصرف وقد أعيد طبعها مرات كثيرة وأسهم فى تطوير كلية اللغة العربية وأحدث تغييراً شاملاً فى دراسة النحو والصرف بها مما كان له أثره النافع على المتخرجين منها .

بعد أن التحقت بكلية اللغة العربية عام ١٩٦٢ تتلمذت على يديه فى اللغويات علمى النحو والصرف وكان موسوعة علمية فى علوم اللغة والعلوم الشرعية، وقمة فى التواضع الجسم وسعة الصدر للجميع ولطلاب العلم بالمناقشة والحوار والإفهام وهذه الصفات وأكثر منها كان يتصف بها أستاذى الدكتور محمد خفاجى الذى تتلمذت عليه آنذاك .

وبقى رحمه الله مشرقاً على قسم اللغويات بكلية اللغة العربية رافضاً كل المناصب التى يتهاافت عليها الجميع، حتى توفى رحمه الله فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٨ . . ففقد العالم الإسلامى بموته عالماً ورعاً . .



الشيخ محمد الطنطاوى

منذ خمسة عشر عامًا أخرج الشيخ محمد الطنطاوى المدرس بكلية اللغة العربية كتابه المشهور «نشأة النحو»، الذى كان له أثره فى نفسى وعقلى بل عند علماء العربية وثقاتها جميعًا. وأشهد أنى فرحت بالكتاب فرحًا كبيرًا ظهر فيما كتبت عن الكتاب من نقد آنذاك، ولست أدرى رأى النقاد فيما كتبت، ولكنه كان فى وجهة نظرى يفى هذا السفر النفيس حقه، ومما جاء فى هذه الكلمة:

«لنزلة النحو من الدين والعربية، ومن التراث الإسلامى العظيم، ومن لغة الشرق ولسانه، ولتجديد النشاط العلمى فى مدارس النحو الحديثة، ولأداء واجب كبير لعلماء العربية الراحلين وشيوخها السالفين الأمجاد، وحرصًا على خدمة اللغة وطلابها.. لهذا كله ألف الأستاذ الجليل محمد الطنطاوى رسالته: نشأة النحو فجأت سفرًا جليلاً وأثرًا خطيرًا فى الناحية التاريخية لعلم قواعد العربية.

ومما يجعل لهذا السفر الحافل مكانة عظيمة بين كتب العربية ومؤلفاتها أنه الحلقة المفقودة لكتب طبقات النحاة التى ألف فيها العلماء من قرون، وأنه أثر فريد فى بابيه ونوعه، فلم يظهر فى مدارس النحو الحديثة فى مصر والشرق العربى كتاب قبله فى النواحي التاريخية لمدارس العربية ورجالها ومؤلفاتها فى القديم والحديث.

وقد كتب الأستاذ فصول كتابه بلغة جمعت بين بلاغة الأداء وجمال الأسلوب وجزالة التراكيب، والنقد التحليلى التاريخى لأطوار علم العربية ومذاهبه ومدارسه ورجالاته، وفى الكتاب فصول عظيمة الأهمية فى أسباب تدوين القواعد العربية، وعن الرجل الذى ذهب بشرف وضعها وتدوينها، وعن نشأة النحو وأطواره فى مراحل المختلفة، وعن حياة شيخ العربية الأول أبى الأسود الدؤلى، وعن مدرسة النحو الأولى بالبصرة، ورجالها، ومدرسة الكوفة التى نشأت بعد ذلك ورجالها، ويبين المؤلف نزعات مذهبية النحو بالبصرة والكوفة، والمناظرات التى قامت بين رجالهما، ويحلل أسباب الخلاف بين مدرسة البصرة والكوفة، والبواعث التى دعت إلى سوء كل مدرسة واستقلالها، والعناصر التى بنيت عليها، والاتجاهات

التي اتجهت إليها والمسائل العلمية التي اختلفت فيها، وآثار هذا الخلاف العلمى، ويعقد الموازنات بينهما. . . ثم يتكلم عن مدارس النحو التي قامت ببغداد وفارس ومصر والشام والأندلس، ومنهج كل مدرسة وعلمائها وآثارها. . كل هذا فى أسلوب قوى دقيق وبحث علمى عميق.

والكتاب وهو يعرض علينا النحو من أول نشأته إلى العصر الحديث يمتاز عن كتب الطبقات القديمة بسعة البحث وكثرة التفصيل، ودراسة مدارس النحو القديمة دراسة مستفيضة، ويمتاز عن كتب المستشرقين بنفوذ مؤلفه إلى أعماق العربية وأسرارها ووقوفه على أطوارها.

ولم يكن كتاب «نشأة النحو» هو الصلة الفكرية بيننا وبين الشيخ، ولكن كثيراً ما جلسنا فى دروسه ومحاضراته فى كلية اللغة معجبين نتلقف طرائفه، ويسحرنا بشمائله وتواضعه وعلمه، بل كان لى كذلك حظ التلمذة عليه منذ أكثر من ربع قرن، وكان يدرس لنا علوم البلاغة فى الفرقة الثالثة من القسم الابتدائى، وكان له كتاب ألفه فى هذا المجال، وسماه «نفحة الريحان فى علم البيان»، وكان الكتاب يحوى مباحث كثيرة دقيقة، ولكنه لم ينح فيه هذا المنحى التجديدى الممتع الذى لمسنه فيما بعد فى «نشأة النحو».

وللشيخ الطنطاوى عدا ذلك كتابه «تصريف الأسماء، الذى أشهد أنه يجب دراسته فى أقسام الدراسات العليا لا فى الفصول الدراسية فى الكلية نفسها. . وله كذلك مقالات كان ينشرها فى مجلة «رسالة الإسلام» التى تصدرها دار التقريب، والتى لا يطلع عليها أحد، وما كان أجدره أن ينشر هذه المقالات فى كتاب ليتسنى للناس أن يقفوا على علم الرجل وسعة إطلاعه.

أما حياة الشيخ فبسيطة بساطة نفسه وأخلاقه، ولكنها حياة كبيرة بمغزاها وأثرها.

ولد الشيخ فى ٧ سبتمبر ١٨٩٥ ببلدة أكوه الحضة مركز تلا منوفية من أسرة متدينة محافظة تعيش فى الريف عيشة الهدوء والاستقامة، ومهد له والده السبيل إلى التعليم الدينى، فأدخله مكتب القرية لحفظ القرآن الكريم، وحفظ كتاب الله،

وأخذ يتلقى تجويده على يد فقيه من فقهاء القرية، ثم بعث به والده إلى الجامع الأحمدي فى طنطا عام ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩ فى أول عهده بالنظام، فانتسب إلى الشعبة الأولى على مذهب الإمام مالك، واستمر فى التعليم يحوطه التوفيق حتى نال الابتدائية عام ١٣٣١هـ - ١٩١٣م، ثم تزوج إتباعاً لسنة الريف فى الحرص على الزواج المبكر، واستمر يوالى كفاحه العلمى حتى كان فى طليعة الناجحين فى الشهادة الثانوية عام ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م. وفى القسم العالى بسنواته الأربع دأب فى التحصيل، وجد فى الإطلاع. وثابر على الدراسة حتى فاز فى النهاية بنيل شهادة العالمية النظامية عام ١٣٤٢هـ، ١٩٢٣م. ثم أنشئ قسم التخصص وافتتح فى يناير ١٩٢٤، فتقدم إليه والتحق بشعبة «النحو والصرف والوضع» واجتاز مراحل الثلاث بتفوق، وفى السنة الأخيرة حازت رسالته فى الإعلال تقدير أساتذته ولجنة الامتحان كذلك.

ولما عقد الشيخ المراغى عام ١٩٢٨ لمسابقة بين خريجي التخصص للتعين فى وظائف التدريس بالأزهر ومعاهده كان حظ الشيخ فيها حظاً طيباً، فعين مدرساً فى معهد الزقازيق الدينى فى اليوم السابع والعشرين من ربيع الثانى عام ١٣٤٦هـ، ١١ أكتوبر ١٩٢٨م، ولكنه مات وهو قرير العين بابنه الشيخ المدرس فى الأزهر الشريف، ومكث أربع سنوات فى معهد الزقازيق كان فيها محل تقدير شيوخ المعهد وأساتذته وطلابه ومفتشى الأزهر الشريف، ومن ثم انتقل منه إلى كلية اللغة العربية عام ١٩٣٣ مدرساً، وظل فيها إلى أن توفاه الله إلى رحمته عام ١٩٥٥م.



الشيخ عبد الجليل عيسى

من جديد، وبعد مرور خمسة وسبعين عامًا، على وفاة الإمام محمد عبده، طيب الله ثراه؛ تنتفض هذه المدرسة العجيبة، مدرسة الإمام محمد عبده عن رائد من أعلامها، يتلقى من يدى الرئيس محمد أنور السادات، فى عيد الثقافة، جائزة الدولة التقديرية، إكباراً وتقديراً من الدولة لعلمه، ولما أسداه فكره إلى جيلنا المعاصر من آثار جلييلة.

إن تفسير الشيخ عبد الجليل عيسى للقرآن الكريم يسير على منهج الأستاذ الإمام، من موضوعية ونفاذ بصيرة، وعقلية أصيلة تزن كل شيء، وتحكم فى عمق على الآثار والمرويات والمأثورات.

وكتابه «اجتهاد الرسول» يحمل طابع الإمام العقلى فى كتابه المشهور «رسالة التوحيد»، فهو قبس من جذوة الفكر العلمى، التى أنار بها الإمام محمد عبده الطريق لجيله، وللأجيال التى خلفته.

والشيخ عبد الجليل عيسى هذا الأزهرى النابغة، عاش حياته نضالاً ورأياً وعملاً، من أجل أن يكون للعالم صوت فى مجتمعه، وعمل دائب فى خدمة وطنه، وجهاد متصل من أجل كلمة الحق تقال فى كل وقت وكل مكان.

وانتماؤه العربى والإسلامى عزز فى نفسه الشعور بأصالة تراثنا، وبعظمة الماضى وجلاله، وبمجد الأزهر العلمى العريق؛ وكانت هذه الانتماءات كلها هى مكونات شخصيته.

وفى ظل ما يقرب من قرن كامل عاشه ويعيشه عالمنا الجليل، كانت الأحداث الكبرى فى تاريخ وطننا، التى شارك فيها الشيخ بقلمه وروحه ونضاله.

توفى رحمه الله عام ١٩٨١.

كان أحد علماء الأزهر الذين وقفوا على أسرار الشريعة الإسلامية، وملكوا ناصية اللغة العربية والبيان فى العصر الحديث -عرفته شيخاً لمعهد شبين الكوم

الدينى الذى أنشئ فى عهد الإمام المراغى - رحمه الله - وقد اختاره أول شيخ له، لأنه كان موضع ثقته، وأحد تلاميذه المقربين إليه وكان للشيخ عبد الجليل فى قلوبنا مكانة كبيرة من التقدير والاحترام والحب والاعزاز، لأنه وضع نصب عينيه النهوض بهذا المعهد الدينى، ولأنه كان له مزيد من الهيبة والسطوة، ولحرصه الشديد على مصلحتنا، وظهورنا بمظهر الطالب الأزهرى المثالى الذى يحرص على عزته وكرامته، وفى سبيل ذلك كان لا يسمح لأحد بدخول المعهد إلا إذا كان يلبس الزى الأزهرى كاملاً، وإذا نعى إليه أن أحدنا لا يظهر فى الخارج بصورة سلوكية مشرفة، قام بفصله من المعهد مدة ولا يسمح له بالحضور إلا بعد تعهد من ولى أمره بضمان سلوكه واستقامته، وذلك بعد أن يتحرى الأمر، وقد انعكس علينا هذا جداً واستقامة، وتفوقاً فى العلم والأخلاق.

والشيخ عبد الجليل من الرعيل الأزهرى الأول الذى اشترك فى المظاهرات وقاد مع زعماء الأزهر ثورة ١٩١٩ ضد الانجليز، وكان يحدثنا بذلك فخوراً، لينقل إلينا شرارة الوطنية - وكان معروفاً عنه أنه أشد تلاميذ المراغى إخلاصاً، حيث ترسم خطاه فى ميادين إصلاح الأزهر وتطويره تطويراً يساير سمة العصر العلمية، مع الاحتفاظ بعناصر التراث الأصيل للأزهر وكان للشيخ قلم موهوب فى كتابة الموضوعات المتعددة.



الشيخ سعاد جلال

توفى رحمه الله فى يونيو عام ١٩٨٣، وكان علماً من أعلام الشريعة الإسلامية وأستاذاً جليلاً فى كلية الشريعة الإسلامية.

قال عنه زميله الدكتور الشيخ عبد الجليل شلبى:

عرفت «الشيخ محمد سعاد جلال» منذ أكثر من نصف قرن عرفته أول ما جئت إلى القاهرة طالباً فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٣٧، وكان هو فى السنة الثالثة فى كلية الشريعة وكانت الكليتان فى مبنى واحد، فتعارفنا بلحظة، وتآلفنا فى لحظة، ثم مضت الأيام تزيد مودتنا قوة، وتكسو تآلفنا إخاء وإعزازاً.

والتحق الشيخ سعاد عقب تخرجه بتخصص المادة، ليدرس الفقه الإسلامى وأصوله، وكان هذا التخصص يستغرق نحو سبعة أعوام، وكان طلابه يختلفون فى درجاتهم العقلية ويتباينون فيما يحصلون من علمه تبايناً واسعاً، فقد كان الأزهر حديث عهد بالدراسات العليا، وكانت دراسته تقوم على درس الكتاب لا على درس الموضوع، وقليلون من أبناء هذا القسم بنوا أنفسهم، وكما كان يقول المرحوم أحمد أمين: إن من ينبغ من أبناء الأزهر لم ينبغ بمنهجه وتوجيهه ولكن نبغ على الرغم من منهجه وتوجيهه، وكان الشيخ سعاد من هؤلاء.

وعدا الناحية العلمية، أو لعله بسببها، كان نزوعاً إلى الخير ونفع الناس بما لديه، وكانت موهبته الخطابية مما يساعده على بث علمه وإذاعة أفكاره وهى أيضاً مما هيا نمو مدرسته وكثرة تلاميذه، كان وهو لا يزال فى هذا التخصص يخطب يوم الجمعة فى مسجد الخازنداره بشبرا وذهب وزير الأوقاف يومئذ ليصلى فى هذا المسجد، وربما جذبه إليه اسم الشيخ سعاد، فأعجبه حديثه فقرّر له علاوة استثنائية تقديراً لكفائته وعلمه، وبعد أن أنهى الشيخ دراسته كان يخطب ثانياً فى مسجد المحكمة بمصر الجديدة ثم بمسجد قاهر التتار فمسجد عمر مكرم بالقاهرة وكان يتطوع بإلقاء الدروس الدينية فيها، فكان له بها مدرسة ثانية، بعد مدرسته فى كلية الشريعة.

وكان من لباسته فى دروسه أنه يوازن بين قانون الشريعة والقوانين الوضعية، ويوازن بين مجتمعاتنا والمجتمع الإسلامى فى حذق وحسن تصوير، وهو مع هذا يتحاشى الاحتكاك بتيارات السياسة، ولكن كانت تلميحاته أبلغ من تصريحات الآخرين، وكان تلاميذه فى كلية الشريعة يحبون درسه ويقدرّون تفكيره، وهم الآن فى شتى المعاهد والمدارس داخل القطر وخارجه يشعرون بدينهم له.

ثم انضم إلى هاتين المدرستين حديثه «قرآن وسنة»، وبه أضاف إلى تلاميذه تلاميذ لا يعرفهم ولم يروه، ولكنهم أحبه على البعد، وعرفوه من غير أن يلقوه. ومات الشيخ سعاد جلال، فشيّعت جنازته فى غير حشد، ففى ذمة الله وذمة التاريخ.



الدكتور أحمد الشرباصى



من مواليد بلدة البجلات مركز دكرنس، مديرية الدقهلية، وتاريخ ميلاده ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٨. تخرج من كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٣، وكان ترتيبه «الأول» بين المتخرجين كما كان «الأول» بين زملائه فى سنوات الدراسة بالكلية. نال شهادة العالمية والتخصص فى التدريس سنة ١٩٤٥، وكان ترتيبه «الأول» بين الحاصلين على هذه الشهادة.

كانت هذه أول مرة يجمع فيها متخرج بين «الأولية» فى الشهادة العالية و«الأولية» فى التخصص.

اشتغل مدرساً فى وزارة المعارف مدة، ثم نقل مدرساً فى معهد الزقازيق، فمعهد القاهرة فمعهد سوهاج، فمعهد القاهرة. واختير أميناً للجنة الفتوى بالأزهر.

ألف ما يزيد على العشرين كتاباً فى مباحث الدين والتاريخ والأدب والاجتماع، ومن هذه الكتب: حركة الكشف، محاولة بين صديقين، سيرة السيدة زينب. واجب الشاب العربى، المحفوظات الأزهرية، لمحات عن أبى بكر، محاضرات الثلاثاء، صلوات على الشاطىء، أمين الأمة أبو عبيدة، عائد من الباكستان، مذكرات واعظ أسير، النيل فى ضوء القرآن من أجل فلسطين، فى رحاب الصوفية، غربة الإسلام، أيام الكويت، القصاص فى الإسلام، فى عالم المكفوفين، الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز.

أذاع سلسلة أحاديث فى الراديو عن الدين وصلته بالحياة، كان يقصد فيها دائماً إلى تركية المجتمع بالمبادئ الدينية الفعالة فى إصلاح الحياة والأحياء. ومن هذه الأحاديث سلسلة «الإسلام والشباب» وسلسلة «آداب المجتمع فى الإسلام» وسلسلة «الإسلام ومنهج الاستقامة» وسلسلة «أدب السنة فى بناء الأسرة».

اشترك ببحوثه ومناقشاته وآرائه فى مؤتمرات كثيرة، مثل: مؤتمر الشعوب الإسلامية بالباكستان، ومؤتمر العلماء بالباكستان، والمؤتمر الإسلامى بالقدس، ومؤتمر الخريجين العرب بالقدس، والمؤتمر الرياضى بالقاهرة. ونظم عدة مؤتمرات إسلامية واجتماعية وقومية فى دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين.

نال دبلوم الدراسات اللغوية والأدبية من معهد الدراسات العربية العليا سنة ١٩٥٥، وكان ترتيبه «الأول». وكان مجموع درجاته أكبر من أى مجموع فى جميع شعب المعهد المذكور.

يعرف اللغة الإنجليزية، وتقدم أكثر من مرة قبل قيام الثورة فى مصر لبعثة خارجية علمية، وحيل بينه وبين ذلك بسبب خطبه ومقالاته التى كان يقاوم فيها الفساد الماضى والطغيان البائد.

دعا منذ عشرين عاماً إلى إدخال نظام الكشافة فى الأزهر، وألف فى ذلك كتاباً، وخطب وكتب عن ذلك مراراً، كما دعا حيثئذ ويعد ذلك إلى نشر التربية الرياضية فى الأزهر والمعاهد.

ألقى سلسلة من المحاضرات فى عدة مواسم دراسية على مبعوثى البلاد العربية إلى «المركز النموذجى لتوجيه المكفوفين بالزيتون»، وهؤلاء المبعوثون يأتون للتخصص فى شئون المكفوفين وتوجيههم، وألف كتابه «فى عالم المكفوفين» الذى نال جائزة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية سنة ١٩٥٦.

رحل رحلات علمية واجتماعية وإسلامية إلى: فلسطين، والأردن، ولبنان، وسوريا، والكويت، والباكستان، واليونان، وتركيا، وله بحوث ودراسات عن هذه البلاد، وتكررت رحلاته إلى أكثر هذه البلاد.

كان مبعوثاً علمياً للأزهر الشريف فى الكويت عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ وألف كتاباً عن الكويت وشئونها المختلفة فى قرابة خمسمائة صفحة.

اختير لألقاء محاضرات عن الشريعة الإسلامية على طلبة معهد الخدمة الاجتماعية فى مستوى جامعى منذ أول سنة ١٩٥٧ الدراسية.

قام بمهمة الرائد العام لجمعيات الشبان المسلمين منذ عهد بعيد، وكان ينظم محاضرات: «أحاديث الاثنين» ومحاضرات «مواسم التفسير»، كما يشارك بمحاضراته وكلماته في أعمال الشبان المسلمين المختلفة، وينشر بحوثاً في مجلتها منذ سنوات، وله محاضرات في جمعيات كثيرة إسلامية وقومية ورياضية، وهو عضو في كثير من هذه الجمعيات.

أسندت إليه أمانة الفتوى في الأزهر الشريف بالإضافة إلى عمله في التدريس بالأزهر.

دعاه رئيس الجمهورية أكثر من مرة للخطابة في الأزهر الشريف في مناسبات تاريخية مشهورة، مثل يوم معركة القتال، ويوم الوحدة بين مصر وسوريا، ويوم الجمعة الأخيرة من رمضان ويوم عيد الفطر، وغيرها.

كلفته رئاسة الجمهورية عن طريق الاتحاد القومي برحلة إلى سورية قبيل إعلان الاستفتاء على الوحدة بين مصر وسورية في مطلع سنة ١٩٥٨، وألقى هناك عشرات الخطب والمحاضرات في مختلف المدن السورية حثاً على الوحدة وتعريفاً بالعروبة والإسلام.

دعاه الرئيس شكرى القوتلى إلى إلقاء خطبة تاريخية في المسجد الأموى بدمشق يوم الاستفتاء على الوحدة. وقد أذيعت هذه الخطبة بالراديو، ثم نشرت ونوهت بها الصحف كثيراً.

اختارته وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل سنة ١٩٥٥ عضواً في اللجنة التي وضعت مناهج الدراسة لقسم الدراسات الاجتماعية لطلبة الكليات الأزهرية.

منذ سنة ١٩٤٠ وهو يقوم بالخطابة الدينية المصطبغة بالصبغة الاجتماعية، وقد تنقل بين مسجد المنيرة، ومسجد الشامية، والجامع الأزهر، ومسجد الرفاعى، وغيره من المساجد.

ألف جملة مسرحيات إسلامية وتاريخية، مثل أكثرها على مسارح: جمعية الشبان المسلمين، ودار الأوبرا، وحديقة الأزبكية، والغرفة التجارية، وغيرها.

اشترك في موضوع فيلم «خالد بن الوليد» بوضع المعلومات التاريخية والحوار وشارك في السيناريو.

كتب وخطب كثيراً في الدعوة إلى التقريب بين الدين والفن وشعاره هو: «إذا تدين رجل الفن وتفنن رجل الدين التقيا في منتصف الطريق لخدمة العقيدة الإسلامية السليمة والفن القويم».

اختارته إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة في أكتوبر سنة ١٩٥٨ ليكون رائداً لبعثة الضباط الأندونيسية المكونة من قادة التربية الروحية التي قدمت لدراسة الشؤون الإسلامية والروحية والأخلاقية للانتفاع بها في تعبئة الروح المعنوية بالجيش الأندونيسي.

وكانت له صلاته المستمرة بالقضايا العامة للبلاد العربية والإسلامية.

كتب كثيراً في إصلاح الأزهر لأداء رسالته الكبرى في مصر والعالم الإسلامي. وكانت كتاباته ومحاضراته -فوق اتجاهها الإسلامي والعربي- وقد حصل على الدكتوراه في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية عام ١٩٦٧ وكانت تتسم دائماً بالنزعة الإنسانية.

توفي إلى رحمة الله عام ١٩٨٠.

كتب إلى عام ١٩٥٨ من دمشق يقول:

أخي البحاث الدؤوب الأستاذ الجليل محمد عبد المنعم خفاجي:

سلام الله عليك ورحمته وبركاته. أكتب لك هذه الرسالة من دمشق الفيحاء بعد أن قضيت أسبوعاً في هذا الشطر الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة؛ وقد جلنا في أنحاء هذا الإقليم الكريم فزرنا طرطوس وقدموس واللاذقية وجلب وحماة ومعرة النعمان (بلد أبي العلاء) وحمص وغيرها، وألقيت في كل بلدة من هذه البلاد أكثر من خطبة عن الوحدة والعروبة والإسلام ومقومات هذه الأمة المؤمنة، وقد سعدنا في اليوم التالي لوصولنا بمقابلة الرجل العظيم الرئيس شكرى القوتلي، وخطبت أمامه، وأهديت إليه نسخة من كتابي «الحاكم العادل عمر بن

عبد العزيز» لأنه كان مصرى المولد وتولى الخلافة فى الشام وجمع فى خلافته بين مصر وسوريا وغيرهما من بلاد العروبة والإسلام.

وقد تفضل الرجل المجاهد فتقبل الهدية وعلق عليها بأنها أحسن هدية يتلقاها لأنها تذكره بالزهد والورع والعدالة... ثم رد على خطبتى بخطبة جليلة قيدنا خلاصتها، وكان ذلك كله فى القصر الجمهورى السورى. وقد طلب منى أثناء خطبته أن ألقى خطبة الجمعة يوم الاستفتاء ٢١ فبراير ١٩٥٨ فى المسجد الأموى الجليل لكى تذاع بالمذياع وليسمعها ألوف المصلين بالمسجد، وقد استجبت لذلك، وجعلت خطبتى دائرة حول معانى الوحدة وثمرات الاتحاد، وقد ذكرت فيها أيضاً عمر بن عبد العزيز وضربت بعض الأمثلة من حياته، وكان لها والحمد لله أثر طيب حميد كما ذكر لى الناس هنا وهناك.

دمشق الآن يا أخى فى بحر لجى من الفرح والسرور والبهجة.. المظاهرات فى كل مكان، الهتاف يملأ الأذان.. الرجال والنساء، الشيوخ والشباب، الطلاب والطالبات.. الجميع يصفقون ويهتفون..

إنك لا تستطيع أن تفرق مبلغ هذا الشعور الجارف الفياض إلا إذا رأيته بعينيك..

إننا الآن بين أشقائنا وأحبائنا، وفى بلادنا... البلد واحد، والقائد واحد، والوجهة واحدة... نصر الله كلمة الأمة، وأعز بها شأن الحق والعدل، وثبتها فى طريق اليقين والإيمان...

تحياتى لك ولأهلك ولكل أحبائك، وإلى لقاء قريب، وسلام الله عليك ورحمته.

دمشق فى ٢٢/٢/١٩٥٨

أحمد الشرباصى

وكتب عنه صديقه محمد رجب البيومى يقول:

أصدر للأستاذ أحمد الشرباصى كتابه القيم: «فى عالم المكفوفين»...

والكتاب كما يراه كثير من الناقدين مجهوداً علمياً إنسانياً، فلا غرابة إذا أخذ نصيبه من ثناء المنصفين!! . . . ويقول زميله د. رجب البيومي عنه:

رجعت بذكرتي إلى الوراق، أيام كنت طالباً بالسنة الأولى بمعهد دمياط الديني، وقد سبقني في التخرج فيه زميلي أحمد الشرباصي، تاركاً خلفه ثناء مستطاباً، تفيض به السنة المدرسين في المعهد، وآراء الأدباء، خارج الدراسة، من أندية السمر، ونزهات الراحة، ودهشت كثيراً حين علمت أن الطالب المتخرج في المعهد الابتدائي قد أصدر كتاباً أدبياً في موضوع توجيهي تحت عنوان: «حركة الكشف»، ولم يكن الكتاب مقالات متناثرة في موضوعات متفرقة، تزدهم بها الأساليب الإنشائية والخيالات البعيدة، كما نلاحظ دائماً في إنتاج الشداة من الناشئين، والطامحين من المراهقين؛ ولكنه كان كتاباً هادفاً يسعى إلى غرض، ويدور حول فكرة، فاجتمعت له الأصالة والجددة مع التوجيه الدافع، والحرص الغيور، . . .

وقد انتقل الإعجاب بهذا الكتاب إلى الدوائر الأدبية في القاهرة، فأفردت له مجلة الرسالة (عدد ١٠ يناير سنة ١٩٣٨) صفحة خاصة تحدث فيها الأستاذ محمد سعيد العريان عن الكتاب وصاحبه، فقال فيما قال:

«ها هوذا أزهري فتى يضرب المثل لإخوانه الأزهريين في الفتوة الرحيمة، التي تعمل للإنسانية . . . يا له من فتى متمرد؛ لا . . . لا تسموه متمرداً، إنه يعرف ما عليه من تبعات الرجولة في غده، فأعد للغد عدته، فلا عليه إن كان هو وحده الفتى الكشاف من الأزهر الكبير وروافده . . . إني لفخور به!!» . . .

وأخذنا حينئذ نطالع مقالات أسبوعية يفاجئنا بها الشرباصي في مجلات مختلفة، وكان عجباً أن تصدر «السياسة الأسبوعية» (في ٩ يوليو سنة ١٩٣٩) عدداً خاصاً عن ذكرى الإمام محمد عبده، يتحدث به منصور فهمي وجاد المولى وأمين الخولى ومحرم والجارم وغيرهم من أدباء الصف الأول، ثم يكون للفتى الناشئ بهذا العدد مقالان اثنان لا مقال واحد (ص ١٨، وص ٣٠).

شئ رائع حقاً، ونشاط حميد مشكور دفع بالأستاذ فليكس فارس -وهو يومئذ في طليعة كتاب الرسالة الشيوخ- أن يسجل تقديره في تقرير مشجع يقول فيه (الرسالة، عدد ٦ فبراير سنة ١٩٣٩):

«إن المؤلف يذهب فى محاولته ذهاب من رسخت عقيدته متعالية عن تردد المحاولين، وإن العبقرية العربية تنتبه فى هذا الجيل الذى سيقدم ليحل محلنا على الذروة نحن النازلين منها إلى الأغوار. لقد ولدت أقلامنا. أقلاماً خيراً منها».

وثناء فواح كهذا الثناء تعبق به مجلة الرسالة الارستقراطية جدير بالتقدير والاعتبار..

مضت الأيام والشرباصى لا يننى عن رسالته الأدبية، بل يزاحم الأدباء إنتاجاً وتالياً على طراوة العمر ولدونة اليفاع، وكان لابد لهذا النشاط المتوثب أن يخرج للناس كتاباً ثالثاً تحت عنوان: «بين صديقين»؛ وكان لابد لجمهرة المنصفين من الأدباء أن يسابقوا إلى تكريمه وتشجيعه، فهيات جمعية الشبان المسلمين ساحتها مساء الأربعاء ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٠م لحفلة تكريمية ساهرة خطب بها كبار الأساتذة ونوابغ الأدباء، وقد أظهر الوفاء دلالة الصادقة فى نفوس كريمة تحتفل بالنشاط الدائب، وتبارك الجهد الموصول؛ وأنت تدرك كفاح الكاتب الناشئ حين تسمع زميله الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف يتحدث عنه، فيقول^(١):

«لقد كنت أتلقي بريد الرسالة فأجد الشرباصى فى اليوم الواحد كاتباً فى (المكشوف) اللبنانية و(الحديث) الحلبية و(التفيض) العراقية (المجلة) الدمشقية!!... وهذه الحقيقة الماثلة تنطق بنشاط حافل، تمدد الموهبة، وينمية الإطلاع!!..

وقد آثرت أن أستشهد بالنصوص ليعلم هذا المبتسم عن ريبة واتهام أننى لا أبارك وحدى جهود أديب طامح، فإذا كان لابد من الابتسام فليوجه إلى جميع من يستمعون القول فيحبون أحسنه، ويهتفون بقائله: مرحى مرحى فقد سلك الطريق!!..

وإذا كان لنا أن نحكم على إنتاج الكاتب، فإننا نلاحظ أنه من مبدأ أمره قد احتفل بالأدب العربى دراسة وتحليلاً، فقرأ وحفظ وناقش، وأعد نفسه ليكون أستاذاً فى الأدب العربى وحده، فهو غاية يهدف إليها، ولم يدر أن الأيام ستجعل هذه الغاية وسيلة إلى هدف أسمى ومطلب أحب، تلك هى الدعاية للإسلام ونصرة الحق الصريح!

(١) كتاب تكريم الشباب، ص ٢٣.

لقد أكب الشرباصى على دراسة الأدب فى مختلف عصوره، فأفاد إفادة غزيرة، ولا زالت أبحاثه الأدبية ترتفع إلى قمة عالية. وقد قرأت له سلسلة عن «الخطابة فى الأندلس» بمجلة الأزهر، فشاهدت من أصالة الرأى وبراعة الاستنتاج وطرافة النقاش ما أعجب وأمتع؛ بل أذكر أن أحد أساتذة العراق المرموقين قد كتب مؤلفاً تحت عنوان: «بعث الشعر الجاهلى» فانبرى الشرباصى لنقضه فى مجلة المقتطف، وأبدى من غزارة المادة وقوة المعارضة ما جعل الدكتور المؤلف فى حرج وضيق، ولو تفرغ أحمد للأدب وحده لرأينا مجهوداً حافلاً تنشرح به الصدور!!..

ولكن الأستاذ يتعرض فى نقده الأدبى إلى مأزق ضيق يكابد منه تبريحاً أى تبريح!... فهو يحرص على التشجيع والتنويه، وتدفعه المجاملة أحياناً إلى إهمال حقوق النقد الصريح، وكثيراً ما تقرأ له بحثاً أدبياً عن كتاب معاصر أو شاعر صاحب، فلا ترضى عما يشيع فيه من تنويه وتقدير... فإذا اضطر الكاتب إلى النقد ساقه فى ثوب حريرى ناعم... وقد تخلو إليه فيحدثك عن بعض المآخذ التى رآها ولكنه تحامل على نفسه فأغفلها؛ وتلك حال تذكرنى بشاعر العربية الابتداعى خليل مطران، فقد كانت له فى الشعر رسالة ناهضة مجددة، ولكن قيود المجتمع وقوانين المجاملة دفعته - فى ضيق منه - إلى النظم السطحى فى حفلات الأعراس ومواقف التأيين، والخلق السمع يجد حرجاً شديداً فى مغاضبة الناس، فتكون المأزمة الضائعة للإنتاج الأدبى وصاحبه المسكين.

لقد قرأت فى كتاب «أيام الكويت» بحوثاً أدبية عن شعراء مقلدين لم يتصلوا بالنهضة الفكرية الحديثة؛ والأستاذ المؤلف ينظر إليهم بعين الرضا الكليلة عن العيب؛ فكنت أقول فى نفسى: أرضى الناقد عن نظمهم التقليدى فهتف بأصحابه مع الهاتفين، أم أنه احتقر الموازين الجديدة للشعر الحديث؟!...

ولم يطل التساؤل، فقد قرأت للأستاذ بحثاً استعراضياً عن كتاب «الشعر بعد شوقى» للدكتور محمد مندور، فوجدت الكاتب يتفق معى فى الاتجاه!!... وينحى باللائحة على ذوى الهمود من الجامدين، وإذ ذاك تصورت الحرب النفسية التى قاساها الشرباصى ليوائم بين الرأى الصريح والخلق السمع الحليم!!...

على أن أحمد فى مجاملته للزملاء لا يتهاون قيد شعرة مع كبار الأساتذة من الأدباء، وقد تعرض لغضب صاحب مجلة أدبية لامعة، حين نشر نقداً أدبياً لبعض آرائه بمجلة الثقافة سنة ١٩٤٠م، كما أغضب الأستاذ أحمد أمين حين انحاز مجاهرة إلى تأييد غريمه الدكتور زكى مبارك فى هجومه على صاحب الجناية الأدبية!...

ومع مناصرته لزكى مبارك فقد وقف الشرباصى الطالب الشاب موقف الناصح المرشد من دكتور نابغة نقاد، إذ يقول له على صفحات الرسالة (عدد ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٩م):

«أى صديقى الدكتور، قد انتهى لغو الصيف، وجاء جد الشتاء، فلا تكسل ولا تنم، على أنى أرجو أن تتحاشى ما يسبق إليه قلمك من عبارات تنال من شخصية الأستاذ أحمد أمين وتجرح شعوره» فأى توجيه ذاك؟!..

وقد كان التحاق الشرباصى بكلية اللغة العربية بالقاهرة نقطة تحول كبير فى إنتاجه واتجاهه، وكان المظنون به أن يتوسع فى الدراسة الأدبية وحدها، ولكنه وجد بالقاهرة مجالاً للنشاط الإسلامى عن طريق المحاضرة والمناظرة والخطابة، فانفجرت دائرة كفاحه إلى حيث تتسع وتمتد، ورصد نفسه إلى خدمة الفكرة الإسلامية بالقلم واللسان!!.

وصاحب اللسان البليغ لا يرى فى أسلوبه الخطابى ضرورة لقيود المقال المركز، ومن هنا سرت عدوى اللسان إلى القلم فى كتابة الشرباصى، فقد تجذ بها تفصيلاً وإطناباً لا يرضيان صاحب المنطق المحدد؛ ولكن الشرباصى يعتمد الإثارة الانفعالية فى نفوس القراء، إذ يهيمه أن يجتذبهم إلى فكرته مستعملاً شتى ضروب التأثير، من منطق عقلى، أو مهيج عاطفى، أو حافز وجدانى، وإذا قرن القارئ شخصية الداعية بشخصية الكاتب فى بعض مؤلفات الشرباصى فقد أراح واستراح!!.

اقرأ مثلاً كتب الرجل: ١- النسل فى ضوء القرآن. ٢- واجب الشاب العربى. ٣- أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح. ٤- صلوات على الشاطىء... فستجد المنطق العقلى سابقاً فى أمواج التأثير الوجدانى، ولهذه الطريقة حسناتها فى استنهاض الهمم وحفز البواعث، وإن كانت لا تسلم من نقد يؤكد عقل منهجى محدود..

لقد أصدر الكاتب مؤلفاً صغيراً عن السيدة زينب، كما أصدرت السيدة بنت الشاطيء مؤلفاً عنها، وصاحبة السيرة رضى الله عنها ذات مجال محدود لا يسمح بكتاب خاص، فماذا صنع الكاتبان؟..

لقد لجأت الدكتورة الجامعية إلى الأساطير والأخيلة تنسج فيها خيوط البحث التاريخي، ولم أعجب بهذا المنهج، فنقدته نقداً صريحاً بالسنة العشرين من مجلة الرسالة سنة ١٩٥٢م. أما الشرباصى فقد هدف إلى العاطفة الدينية يستثيرها استيثاراً حبيباً، وقد عالج مشاكل دينية واجتماعية تتصل بالموالد والأذكار والصلوات، فجاء بحشه نميراً مستطاباً ينعش الروح المؤمنة، ويرضى الوجدان الصافى، ولكنه لا يخرج عن مجال التأثير الخطابى إلى مجال التأمل والاستنباط، وفائدة القارىء فى المجال الأول محتومة مفروضة، فقد زاد إيماناً، ورسخ عقيدة، وصفا نبعاً وأخلاقاً، وذلك ثراء أى ثراء.

هذا وقد فرغ الكاتب إلى البحث العلمى الدينى فى بعض مؤلفاته القوية مثل: «القصاص فى الإسلام»، و«محاضرات الثلاثاء». ولم يضيره فى شىء أن يعرض بحوثه الدقيقة النافعة فى ثوب رائق واضح، فالحقيقة العلمية لا يتقصص معندها أسلوب مشرق واستطراد نافع، وإنما يضيرها أن يتشعب بها القول فى متاهة لا تحد، وهذان الكتابان من النفاسة جوهرًا، والوضوح أسلوبًا، والتحديد منطقًا، فى مستوى رفيع، وإذا اكتمل للمؤلف كل ذلك فقد نجح وأفاد...

يقول فضيلة الأستاذ الشيخ حسين محمد مخلوف فى معرض الحديث عن «محاضرات الثلاثاء» فى «منبر الشرق» عدد أول فبراير سنة ١٩٥٢: «من عادتى ألا أكتب عن كتاب إلا بعد أن أقرأ أكثر مباحثه على الأقل، فإن استمالنى لمتابعة القراءة فيه بغزارة مادته، وطلاوة عبارته، وجودة معانيه مضيت فيه إلى نهايته... وقد أهدانى فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى كتابه: «محاضرات الثلاثاء» وأنا أعلم أنه رجل موهوب، ازدان علمه بتقواه، وأسلوبه بالأدب الرفيع، وقلمه بالسلاسة والرواء، فعكفت على قراءته كعادتى فوجدت فيه طلبتى» إلخ...

وإذن فقد أصبح الاتجاه الإسلامى للداعية الأديب محور الحديث فى الخطابة، ومجال القلم فى التأليف... وقد سافر بحافز من هذا الاتجاه إلى ممالك الإسلامية

كثيرة، وصادف محناً وعقاباً جمّة، ولكنه لم يترك تجاربه تهرب من الذاكرة هروباً لا رجعة منه، بل أفرد لها كتباً خاصة من إنتاجه مثل: «أيام الكويت» و«عائد من الباكستان» و«مذكرات واعظ أسير»...

وقد سلك في كتابته مسلكاً يلتزمه الكثيرون، فهو يدون الحوادث اليومية مجزأة متصلة، تتماوج في سلسلة متعاقبة، يوماً وراء يوم، وأذكر أنى كتبت إليه في رسالة خاصة نقداً لهذه الطريقة، إذ أرى أن الأوفق أن تمتزج هذه اليوميات، لتتداخل في أبواب عامة، تتخذ لها عناوين دالة موحية...

وكنت أعتقد أن هذا المنهج لا يختلف فيه اثنان، ولكنى وجدت من كبار الأدباء من يعدل إلى طريقة الأستاذ الشرباصى مندداً بما أشرت إليه، فقد كتب الدكتور محمد عوض محمد بالرسالة (العدد السابع من السنة الأولى) ينقد كتاب: «جولة في ربوع أفريقية» للرحالة محمد ثابت، فيفضل أن يكتب المؤلف مذكرات يومية أثناء السياحة، يصف فيها حركاته وسكناته، وما مر به من الحوادث وكل شيء رآه، وبديهي أن ذلك لا يتضح بجلاء في الأبواب الكلية كما أريد، ولكل وجهة هو موليتها...

وقد لاحظت أن أفكار الكاتب في نشأته الأولى لم تتبدل في شبابه المكتمل، بل أكسبها الزمن عراقة وأصالة دون أن يميل بها إلى استئصال وإبادة. ولتوضيح ذلك: قرأت للشرباصى على سبيل المثال -ثلاثة فصول مختلفة عن الأستاذ الإمام محمد عبده، وقد كتبت في فترات مختلفة، تبتدىء من سنة ١٩٣٨ وتنتهى سنة ١٩٥٦م، فلاحظت أن الروح التى تغمر مقال «محاولة» هى نفسها التى تترقرق فى مقال «محاضرات الثلاثاء»، وهى نفسها أيضاً تتوهج ببزوغ فى مقال أخير نشر بالعام الماضى فى مجلة الأزهر سنة ١٣٧٥هـ... ولا عجب إذا أكثر الشرباصى من الحديث عن الإمام المصلح، فهو مثل يحتذيه من ناحية، وعالم أزهى كبير له رحمة الماسة من ناحية ثانية!!...

لقد أصبح توفيق الشرباصى فى محاضراته المتتالية حديث الكثيرين، فكيف إذا ضمت إليه مؤلفاته التى تتقاطر متتابعة دون انقطاع، وقد يجمع المؤلف الواحد منها ضرورياً فى القول تتباعد مصادر ومراجع، وتتحد هدفاً وغاية؛ وتلك حقيقة سجلها

الأستاذ محمود تيمور حين قال عن كتاب «فى عالم المكفوفين» بالرابطة الإسلامية، عدد ١٦ أبريل سنة ١٩٥٦ :

«وأكبر ظنى أيها الصديق أنك ستشوق بكتابك هذا على من يريدون إلحاقه بفن من فنون التأليف، فإنهم يحارون فيه... إن الحقوه بالعلم فهو ذاك، لما حوى من دراسة وتحقيق، وإن وصلوه بالتاريخ فله منه نصيب موفور، وإن درجوه بالاجتماع فما ظلموا، وإن عدوه كتاباً فى الأخلاق فليس هو منها ببعيد».

هذه شهادة منصفة، وهى بعد تحقيق لنبوء الأستاذ أحمد شفيق السيد -الأستاذ بكلية اللغة العربية- حين سجل إعجابه -من أمد بعيد- بتلميذه الطالب أحمد الشرباصى، فقال عنه من قصيدة عامرة تنطق بسماحة الأستاذ وتقدير التلميذ:

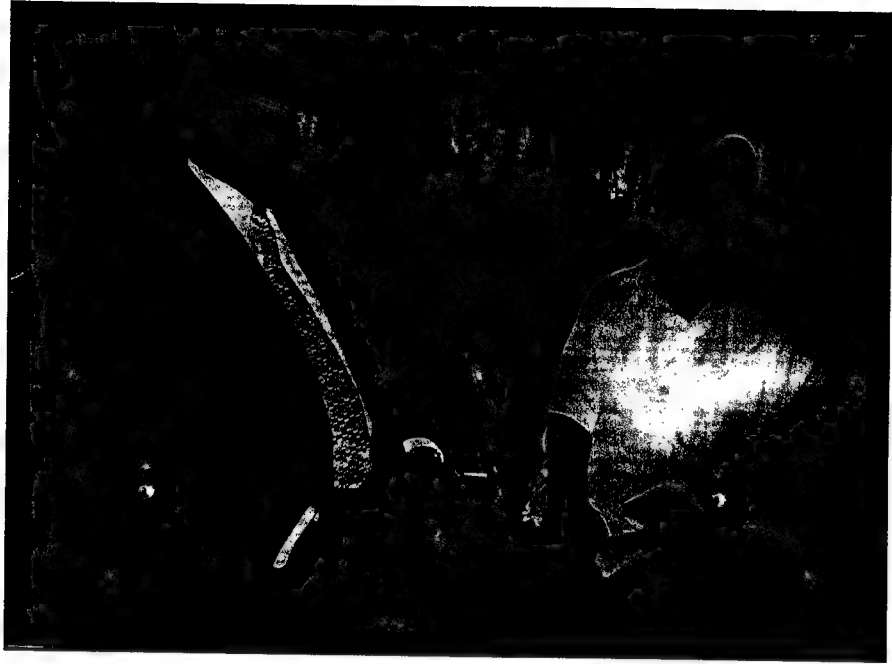
قبس من الإصلاح لاح بصيصه	سيزيده كرم المدى إشعالاً
وإذا رأيت الفجر يبسم ضوءه	فارقب لأنوار الضحى إقبالاً
البحر ماذا كان؟ كان جداولاً	والبدر ماذا كان؟ كان هلالاً



الدكتور أحمد الشرباصى



من اليمين أ.د. أحمد الشرباصى ثم أ.د. عبد الحميد يونس ثم أ.د. محمد خضاجى ثم الباحث على صبح فى مناقشة الدكتوراه



على اليمين أ.د. محمد عبد المنعم خفاجي ثم نجله د. ماجد ثم الدكتور على صبح

الدكتور الخفاجي -

محمد عبد المنعم خفاجي - عالمًا -

فى قرية صغيرة قديمة من أعمال مركز المنصورة، تسمى «تلبانة»، ولد الخفاجى فى ٢٢ يوليو عام ١٩١٥ بين أحضان الطبيعة الجميلة فى الريف، وبين الفلاحين المكدودين المرهقين الذين يعيشون فيه عيشة تجمع إلى البساطة سذاجة التفكير، وإجهاد العيش، وشظف الحياة.

وفى أبان الحرب العالمية الكبرى، وما تلاها من أحداث الثورة الوطنية المصرية عام ١٩١٥ ولد ونشأ الخفاجى . . تنطبع فى ذهنه صور من كفاح الحياة والإنسانية ومن جهاد مصر فى سبيل حريتها وآمالها، هذا الجهاد الذى ظل أمدًا طويلًا شغل المصريين كافة، وموضع تفكيرهم، وآلهم المقعد الناصب لهم فى حياتهم المعاصرة. ولم يترك الخفاجى القرية إلا فى أثناء دراسته، وظل وفيًا لها ولأهلها الأبرياء البسطاء طول حياته.

وهذا الميلاد وما صاحبه وتلاه من أحداث فى حياة الخفاجى يصوره فى قصيدة ساحرة له عنوانها «يوم الميلاد».

والخفاجى لم يكن وحده فى الحياة، إن تاريخ قومه يمتد إلى أكثر من ألف وخمسمائة عام.

فهو من سلالة عربية عريقة، أرخ لها فى كتابه «بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى»، والخفاجيون قبيلة عربية حجازية كبيرة نشأت فى العصر الجاهلى وزاد نفوذها وهم من العقيلين العامرين القيميين، وقد تعددت فروع القبيلة بعد الإسلام وهاجرت سلاطات منها إلى الشام ومصر والعراق والمغرب والأندلس، ومنهم أعلام خالدون فى كل مكان، ولا ننسى الشاعر الأموى توبة الخفاجى العربى الحجازى، والأمير ابن سنان الخفاجى الحلبى المتوفى عام ٤٦٦هـ، والشهاب الخفاجى المصرى المتوفى عام ١٠٦٩هـ، وابن خفاجة الأندلسى المشهور، وغيرهم.

ومن الخفاجيين أسر حاكمة فى حلب فى القرن الخامس الهجرى، وفى العراق فى القرن الرابع إلى السابع الهجرى، وكانت ولاياتهم فى الناصرية بقرب الكوفة وكان يتولاها منهم بعد أمير، وكانوا فى شبه استقلال داخلى عن الخلافة العباسية. إن هذا الماضى العريق يحمله الخفاجى فى قلبه ودمه وأعصابه ويقف مزوداً منه بإيمان راسخ، وعبقريّة حادة وقوة ضخمة تعاونه على كفاحه فى الحياة.

وحفظ الخفاجى القرآن الكريم وتعلم مبادئ وأطرافاً من الثقافة الأولى فى مكتب القرية أو المدرسة الأولى التى كان يتعلم فيها الشباب فى ريف مصر إلى عهد قريب.

وفى عام ١٩٢٧ رحل إلى مدينة الزقازيق يتلقى ثقافته الابتدائية والثانوية فى معهدها الكبير، الذى تخرج منه عام ١٩٣٦، وبين هذين التاريخين قصة كفاح طويل.

ومن أهم ما ظهر على الخفاجى فى هذه الفترة الاتجاه الوطنى الذى دفعه إلى الكفاح فى سبيل وطنه فى الأزمات السياسية التى مرت بمصر منذ عام ١٩٣٤، وكان رئيس اتحاد طلبة أبناء الشرقية فى مدينة الزقازيق، وكان هذا الاتحاد قوة كبيرة سياسية فى هذه الفترة، والخفاجى وأصدقاء له هم الذين كونوه، وكانت مؤتمراته الوطنية تنشر فى الصفحة الأولى فى جريدة الجهاد المصرية، وفى شتى الصحف فى هذه الفترة.

ومن أهم ما يلاحظه الخفاجى على الثقافة المصرية فى هذه الفترة انعدام التوجيه وضعف تربية الملكات، وإهمال شئون الطالب النفسية والعقلية إهمالاً كبيراً. وقد جاهد الخفاجى فى أزمة الأزهر عام ١٩٣٥ مع زملائه جهاداً طويلاً.

التحق الخفاجى بعد مرحلة الثانوى بكلية اللغة العربية بالقاهرة وهى إحدى كليات الأزهر الشريف وبدأ دراسته فيها فى أول أكتوبر عام ١٩٣٦، وفى اليوم الثانى من أكتوبر من هذا العام توفى والده، وبعد ذلك بعشرين عاماً أى فى يوم الخميس ٢٧ جمادى الثانية ١٣٧٥هـ - ٩ فبراير ١٩٥٦ توفيت والدته وتخرج الخفاجى من كلية اللغة عام ١٩٤٠، حيث كان فى طليعة المتفوقين فى جميع مراحل الدراسة فيها.

وفى خلال هذه الفترة اشترك الخفاجى فى الحركة الوطنية، وتابع دراسته. وعمل أحياناً فى الصحافة فى جريدة السياسة وفى صحف أخرى، وكتب المقالات والبحوث والدراسات فى شتى الصحف والمجلات.

وكان قيام الحرب العالمية الثانية فى هذه الفترة عام ١٩٣٩ أهم حدث عالمى تأثر به الشباب العربى أياً تأثر، بل تأثر به شباب العالم قاطبة.

وكان الخفاجى المتنقل بين القرية والعاصمة صورة للشباب المصرى المكافح فى سبيل وطنه وفى سبيل قومية بلاده وفى سبيل الثقافة التى حمل لواءها بقوة.

وفى هذه الفترة تأثر بأراء عالمين مفكرين كبيرين فى الفكر والثقافة والإصلاح، هما الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش شيخ الأزهر فيما بعد، والأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة العلماء بالأزهر. كما كان للإمام محمد عبده صداه العميق فى نفسه.

وكان الأستاذ الأكبر الشيخ حمروش عميد كلية اللغة آنذاك وكان بعقله الواسع وأفق تفكيره البعيد وثقافته العلمية العريقة أرفع مثال لطلاب كليته، يستمدون منه القدوة، ويحتذون حذوه فى الفهم والتفكير.

وكان الأستاذ الكبير محمد عرفة أستاذاً للخفاجى فى الفلسفة والبلاغة، ومن ثم بأرائه التجديدية العلمية تأثراً خاصاً.

وتخرج الخفاجى فى يوليو عام ١٩٤٠ من كلية اللغة يحمل شهادته العالية.

والتحق الخفاجى بأقسام الدراسات العليا فى كلية اللغة العربية فى أكتوبر عام ١٩٤٠ فى قسم البلاغة والأدب، فعكف فى خلال الأحداث العالمية التى صاحبت الحرب العظمى، وفى خلال أحداث مصر القومية التى امتدت من هذا التاريخ، وفى خلال أزمات الأزهر التى كانت نتيجة للصراع بين الحكومة والقصر، والتى كان الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى مظهراً لكثير من صور الحرب الخفية فى هذه المعركة، فى هذه الظروف عكف الخفاجى على دراساته العليا، إلى أن تخرج عام ١٩٤٤ يحمل شهادة النجاح فى الامتحان التمهيدى لشهادة العالمية من درجة أستاذ.

ثم قدم رسالته الجامعية «ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان» ونوقش فيها فى أكتوبر عام ١٩٤٦، ونال بها بتفوق شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الأدب والبلاغة من كلية اللغة العربية وهى أرقى شهادات الأزهر الجامعية وتعادل الدكتوراه الممتازة حرف (أ).

ومن الجدير بالذكر أن الخفاجى قدم للكلية مع رسالته المخطوطة ثلاثة كتب له مطبوعة عن ابن المعتز فى جوانب تخدم موضوع رسالته وهذه أول مرة يقدم فيها باحث رسالة علمية مخطوطة ومعها ثلاثة كتب تخدم رسالته وفى موضوعها. وكان هذا الجهد الأدبى موضع تنويه الأدباء والعلماء والصحف فى حينه.

ولا ننسى أن نقول: أن الخفاجى أمضى مع عمله الضخم هذا سنوات طوالاً يشغل وظيفة أستاذ فى الليسيه فرانسيه فرع شبرا.

وقد ترك بعد حصوله على شهادة العالمية من درجة أستاذ وظيفته فى الليسيه ليتولى أستاذية البلاغة فى معهد أسيوط الكبير الذى عمل فيه من نوفمبر عام ١٩٤٦ حتى أكتوبر عام ١٩٤٧، ثم فى معهد الزقازيق الذى كان طالباً فيه من قبل، والذى عمل فيه من عام ١٩٤٧ إلى عام ١٩٤٨.

وانتقل الخفاجى فى ١٧ أغسطس عام ١٩٤٨ إلى كلية اللغة العربية مدرساً للأدب والنقد والبلاغة فيها، ولا يزال حتى اليوم يتولى هذا المنصب فيها.

ومن الطريف أن نذكر أن الخفاجى متزوج من عام ١٩٤٨ وله ولد هو ماجد خفاجى، وتوفيت له بنت كان اسمها «وفاء خفاجى».

وهو كذلك رئيس رابطة الأدب الحديث فى القاهرة، وعضو فى شتى الهيئات العلمية والأدبية فى مصر والعالم. وقد اختير عضواً فى اتحاد أبناء الدقهلية وهو من أكبر دعاة التجديد والإصلاح والتعاون والقومية العربية.

ولا أنسى أن أنوه بكفاح الخفاجى فى سبيل إصلاح الأزهر، منذ التحاقه بقسم الدراسات العليا حتى اليوم.

وفى هذا السبيل ناضل كل شيوخ الأزهر، وطالبهم بالإصلاح والتجديد والبناء.

وأنوه كذلك بكفاحه فى سبيل الأدب الذى أنفق عليه كل ما يملك من مال .

ثم بكفاحه من أجل وطنه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى اليوم .

وكفاحه من أجل الثقافة قد لا يصل إليه كفاح آخر .

عمل فى كلية اللغة العربية بالقاهرة مدرساً فأستاذاً مساعداً فأستاذ فرئيس قسم الأدب والنقد . ثم اختير عميداً لكلية اللغة بأسىوط ، ثم عاد إلى القاهرة أستاذاً متفرغاً يدرس لطلابه فى الدراسات العليا علوم الأدب والنقد .

والعوامل الثقافية التى أثرت فى عقلية أديبنا يمكن تلخيصها فيما يلى :

١- العامل الأول : ثقافة الأسرة وهى أسرة تنتمى إلى أصول عربية قديمة بسط صاحبها تاريخها فى كتاب خرج منه حتى الآن تسعة أجزاء -ومن هذه الأسرة أعلام قديمة وحديثة ومعاصرة من الأدباء والعلماء والشعراء والكتاب ، وقد بسط صاحبنا تاريخهم فى كتابه «بنو خفاجة» .

٢- العامل الثانى : ثقافته فى الأزهر الذى عاش فيه تلميذاً من سنة ١٩٢٧ إلى ١٩٤٦ حيث تخرج من كلية اللغة العربية يحمل شهادة «العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب» وتعادل الدكتوراه حرف (أ) من الجامعات المصرية -وتخول لحاملها التدريس فى كليات الأزهر وكليات الجامعات المصرية ، وكانت الرسالة التى قدمها هى كما قدمنا «ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان» وهى مطبوعة .

٣- العامل الثالث : مطالعته الشخصية فى الأدب قديمة وحديثة ، ويقول لنا : إنه حتى تخرجه طالع ما لا يقل عن خمسة آلاف كتاب فى الأدب عدا الكتب الثقافية الأخرى .

٤- اتصاله الوثيق بالبيئات والمدارس والمذاهب الأدبية المعاصرة ، ودراساته فى كلية اللغة لتلاميذه .

٥- الاستعداد الشخصى والملكات الذاتية ، التى تكون لصاحبها أفكاراً ثقافية وأدبية خاصة متميزة .

٦- اتصاله المباشر بالبيئات الثقافية والأجنبية التى كان لعمله فى اليسيه الفرنسية مدرساً أثر ما فى حياته ، وكذلك اتصاله بالعديد من العناصر والبيئات الثقافية .

يؤمن أديبنا الخفاجى بضرورة الملكة الأدبية والموهبة الذاتية كأساس لبناء الأديب من الجانب الفنى والثقافى، ومن ثم نجده يحيل كل الخصائص الذاتية التى تميز أديباً عن أديب إلى أثر هذه المواهب.

ويرى أن الثقافة الأدبية الحديثة للأدب يجب -فوق تناولها لجميع الثقافات الممكنة- أن تتناول التعرف إلى جميع الثقافات الأدبية القديمة والحديثة والمعاصرة عند جميع الشعوب، ومن ثم يحرص على الاتصال بروائع الآداب الأوروبية المترجمة ويرى وجوب التعاون والإخاء الأدبى بين الأدب العربى وهذه الآداب، كما يرى وجوب دراسة الآداب الشرقية عامة والعربية خاصة عند جميع الشعوب التى يتصل تاريخنا بتاريخها وحياتنا بحياتها.

ويرى أن الأدب لابد أن يخدم هدفاً اجتماعياً أو قومياً أو إنسانياً وإلا فقد جزءاً كبيراً من مقوماته ومن أجل ذلك نراه فى كتابته عن الأدب المعاصر يشيد بروائع الآثار الواقعية فى الأدب والشعر (راجع مقدمة قصص من التاريخ).

وهو مع ذلك يرى أن الأدب المعاصر تنقصه الملكة والذوق البلاغى كما أن الأدب القديم كان ينقصه الاتجاه والمذهب والرسالة ومن أجل ذلك فهو يشر بأدب جديد تتجلى فيه خصائص الأديبن أكثر وضوحاً عما هى عليه الآن.

ويقول عنه الدكتور أحمد زكى أبو شادى رائد مدرسة أبولو:

الخفاجى ظاهرة فذة شائقة فى الوراثة والإطلاع والاستقراء والإنتاج فهو سبط الأديب الكبير الشيخ نافع الخفاجى وهو من أسرة بنى خفاجة التى تنتمى إلى أصول عربية «قديمة»، ومنها الأمراء الخفاجيون فى إقليم الكوفة والأمراء الخفاجيون بحلب، ومنهم الأمير ابن سنان الخفاجى الحلبى، ومن أشهر النابغين فى مصر من الخفاجيين الشهاب الخفاجى المصرى. وهذا الرجل يحمل أعلى شهادات الأزهر العلمية وهى «شهادة الأستاذية فى الأدب والبلاغة» التى تعادل (الدكتوراه) من الجامعات السابقة كالسوربون مثلاً والذى أخرج حتى الآن نحو ستين كاتباً فى فنون الأدب. ومن العسير أن يختار المرء كتاباً من كتبه للعرض فى مجال الحديث عن الأدب العربى، نظراً لكثرتها وتنوعها متناولة جميع فروع الأدب. والأستاذ

خفاجي ليس لغوياً ولا أديباً فحسب، بل هو شاعر أيضاً، شأنه في ذلك شأن الدكتور طه حسين، وذلك -إلى جانب ثقافته الواسعة التي تلتهم كل معرفة ميسورة- كان طابع كتابته شعرياً جميلاً مع الحرص على الدقة العلمية في الوقت ذاته. ولذلك نالت تصانيفه احتراماً عاماً في جميع الأوساط الأدبية ببلاد الغرب وفي دوائر الاستشراق^(١).

ويقول عنه الأستاذ روكس العزيزي:

«الأستاذ الخفاجي واحد من هؤلاء الأفاضل الذين وقفوا على ماضي الأدب العربي وقوف فهم وتعمق ودراسة ورافقوا جديده فكانوا من خيرة مجدديه، لأن فكرته في التجديد فكرة نيرة حاذقة. لذا جاءت أحكامه محكمة تتميز باللمعية فهو يجمع بين دقة العالم، وصفاء ذهن الباحث، وقدرة الكاتب المجيد وروح الشاعر المرهفة الحساسة، ويضاف إلى هذا أنه أستاذ في معهد كان وما زال أميناً على تراث هذه الأمة الأدبي والفكري.

وقال الناقد مصطفى السحرتي في الخفاجي^(٢).

أصدق تعريف بالخفاجي أنه هاديء ناثر معاً، حريص على الإصلاح والجههر برأيه حتى في أدق الظروف والمناسبات وله في ذلك مواقف عديدة في الأزهري وفي خارج الأزهري على السواء.

وهو رائد في الأدب والشعر والنقد والتاريخ والتصوف كما هو رائد في علوم الدين.

وقال عنه الدكتور سعاد جلال الأستاذ بجامعة الأزهر:

الخفاجي عرفته المجامع العلمية والأدبية باحثاً مدققاً مبرزاً، فيه الكثير من تواضع العلماء، وتبريز الباحثين والمفكرين، مما يصوره أدبه وإنتاجه وتأليفه، التي هي آثار أدبية يعتز بها أدبنا المعاصر، والتي ستبقى خالدة على الأيام.

(١) من حديث أذيع في صوت أمريكا عام ١٩٥٣.

(٢) ص ٧٥ من رواد الأدب المعاصر لحليم مري.

(٣) ص ٧٦ من رواد الأدب المعاصر.

وقال الدكتور عبد المنعم النمر فيه :

إننى أطالب مجلس الفنون والآداب بإعادة طبع موسوعات الدكتور الخفاجى
كى يعم النفع بها وأطالب إدارة الأزهر بإخلائه من العمل
ليضاعف الإنتاج وبهذا نكون قد كرمنا الرجل حقًا ووضعناه فى مكانه .

وقال عنه الأديب الحجازى الكبير الأستاذ عبد الله الجبار :

إن الأدب العربى ليفخر بتاج الخفاجى الأديب والعلمى المتصل المستمر على
مرور الأيام .

وقال الأديب الحجازى الكبير أحمد عبد الغفور عطار^(١) :

الخفاجى أحد أعلام العلماء الذين خرجهم الأزهر، ويفخر بهم، وهو أعجوبة
من الأعاجيب . فهو قد ألف وصنف العديد من الكتب وكتب مئات الفصول
والرسائل . ولئن كنا ندهش عندما نقرأ أن الكندى وابن سينا والسيوطى وغيرهم
من أقطاب العلماء الذين ألفوا كتبًا ووسائل تعد بالآلاف فإن هذا الدهش سيزول
عندما نجد عالمًا معاصرًا مشغولًا بالتدريس والأندية والجمعيات الأدبية والعلمية
ومشغولًا بكثير من أعمال هذه الحضارة وهذا المجتمع المضطرب يستطيع -مع كل
مشاغله- أن يخرج لنا العديد من المؤلفات . بينها من الكتب ما يتجاوز عدد
صفحاته الآلاف . . إنه أديب متمكن، وشاعر مبدع، وعالم كبير .

وقال فيه الشاعر الكبير محمود غنيم :

هتفوا بذكر أغر نابه	عمرو بن بحر فى ثيابه
إن لم يكنه فى حقيب	قته فبينهما مشابه
لا فى ملامح وجهه	بل فى توفيره ودابه
حببت فيه طالبًا	للعلم أمعن فى طلابه
بل كاتبًا فى الأفق حلا	ق غير وإن عن شهابه
أن ينسب سفير إليه	له تاه فخرا بامتسابه

(١) ص ٤ مقدمة كتاب الخفاجى «الإسلام دين الإنسانية الخالد» .

فندفق الأسلوب نحد
 فى لفنه قلم لعا
 أسفاره منهلة
 أناره نمت عليـ
 كالطيب فى الأخفاق يند
 السيف سيف مصليا
 سببه غيرا فى أنسابه
 ب النحل قصر عن لعا به
 كالغيث تهطل من سحابه
 ه وجردته من نقابه
 ففخ ريحه رغم احتجابه
 أو مستكا فى قرابه

وقال فيه الشاعر الكبير الدكتور حسن جاد:

حيو الأديب الذكيا
 رب البيراع المجلسى
 ومن يهز.. خطيبا
 فمما يمل دءوبيا
 فقل لمن كرموه
 حوى الفنون جميما
 وشق كل طريق
 وطبق الشرق ذكرا
 حتى شاي كل ميت
 ولم يدع للسبيوطى
 أخوا الصبا وصديقى
 مؤلفاتك شتى
 الدين جليت فيه
 وكم خدمت احتسابا
 والمعالم الألعيا
 رسائل وديا
 ويستشر النديا
 ولا يكل مضيا
 رمت مراما عصيا
 فليس ينقص شيئا
 من ذا يصد الأثيا؟
 وشهوه وديا
 وبذ من كان حيا
 فى الكتب ذكر بقيا
 أفديك خلا وفيا
 وما برحت فتيا
 كتابه القدسيا
 حديثه النبويا

وكم سهرت لتحى تاريخنا العربي
تكسو البيان جديداً من الثبات بهيا
وانهض إلى المجد واصمد إلى مدار الثريا
والله حسبك حصنا مكافئاً ووليا
وقال فيه الشاعر كامل أمين:

يا أخا الخير، يا خفاجة، والخير شباب الندى وروح الحياة كل أرض نما بها البر
روح ألبسته الحياة ثوب النبات، قد عهدناك يا أخى تعبر الناس فتسعى بهم كسعى
الفرات تبعث البائس القنوط من الآمال كبعث الحياة بعد الممات.

يا أخى كيف مد سحرك فى الليل فمد الصباح بين بيانك ريشة الساحر الصناع
بكفيك وسحر البيان تحت لسانك وخيال الحديث يجذب كاللحن فإذا عزفته فى
كمانك الكمان الذى استحال براعا عز داود فيه من ألحانك.

وقالت فيه الشاعرة جليلة رضا:

إنه كالفجر فى سناه الوليد دائم الخلق، دائم التجديد وهو الحق والفضيلة
والصدق، ونور الإيمان والتوحيد، وهو العلم والبلاغة والفصحى، ورمز الإجلال
والتمجيد، وهو كالطفل فى سماحته الحلوة، فى قلبه الشفيف الودود، وهو
كالوحش إن غزا الكتب استأسد وانقض فوقها كالأسود وهو فى مجلس التشاحن
والبغض كوجه السماء بعد الرعود، بسمه كالندى ووجه صبح واتضاع فى عزة
وصمود، فإذا هم بالحديث فإطراق العذارى وحكمة ابن الرشيد قلم عاشق وطرس
عشيق وبيان يفى بكل الوعود، هكذا بذرع الوجود خفاجى بين بحث وفكرة
وجهود فهو فخر الكتاب فى عصرنا الحاضر رمز البقاء والتخليد وأبو المجد والعلما
للخفاجيين من قبل ومن قديم الجودود.

وقال الشاعر محمود الماحى فيه:

إنى أكرم همة لم يؤتها بشر بعصر قد نسى كتابه
ولسان مقتدر عليم بسارع مستصغر رغم الشقاء عذابه

فى هذه الدنيا التى من هولها
يجرى وراء سرابها وسرابها
يا أيها القلم السخى بعلمه
لا جف منك ومدادك الغالى ولا

وقال عنه الشاعر أحمد أبو المجد عيسى:

هذا الذى هام بالأسفار يكتبها
لك الأنامل كم صاغت لنا أبا
لك الطرائف من علم ومن أدب
وأنت للجيل أستاذ تعلمه
ونلت بالعلم جاهاً أنت كاسبه
وكم رفعت أديباً كان فى ظلم
ونحن حولك إن كنا ذوى أدب
والصاح العبقري اللحن يسعده
يكفيك أنك فى الأقطار جامعة

وقال عنه الشاعر إبراهيم شعراوى:

خفاجى، هاتف ينساب طهرًا
فاهتف والنداء يهز نفسى
أبى يا فـرس الآداب إنى
إذا ما سارجع الناس يومًا
لكنت كشعلة بين الدياجى
بأعماقى ويسكب فى نشوه
خفاجى لفظه كالشهد حلوه
لأبصر فيك ميدانًا وصهوه
إلى العليا بتصميم وقوه
تسير أمام هذا الجمع خطوه



أبو الجامعات في الشرق والغرب قلعة حضارية في تاريخ مصر الإسلامية

هذا البناء الشامخ، والمسجد العريق القائم فى نهاية شارع الأزهر بالقاهرة، والمجاور لميدان الحسين، والذي رفع قبابه جوهر الصقل، قائد جيش فتح مصر فى عهد المعز الفاطمى - هو جامعة الجامعات، ومعهد العلم فى عاصمة مصر قاهرة المعز الخالدة، وهو حقًا قلعة حضارية فى تاريخ مصر الإسلامية طوال ألف عام أو يزيد.. إنه الأزهر أبو الجامعات فى الشرق والغرب.

وشيوخ معاهد العلم فى مختلف أرجاء العالم. وإذا كان مسجد القرويين قد أنشئ فى فاس عام ٢٤٥هـ - ٨٥٩م، فإنه لم يتحول إلى جامعة إلا فى زمن متأخر جدًا، بينما صار الجامع الأزهر جامعة إسلامية بعد إنشائه بسنوات، وصار مقصد الطلاب والأساتذة من أنحاء الدنيا، وقام برسالة ثقافية كبيرة طيلة ألف عام، مما لم يحدث فى تاريخ أية جامعة من الجامعات فى الشرق ولا فى الغرب.

وكان إنشاء الأزهر وقيام الحلقات العلمية الجامعية فيه بعد إنشائه مباشرة وحتى اليوم، معجزة المعجزات فى تاريخ الثقافة الإسلامية.

والأزهر هو أبو الجامعات الدينية، فى عالم الإسلام، وهو الذى يمدّها بالتوجيه والخبرة، وبالخطط العلمية المدروسة، وبالمناهج والأساتذة، وعلى نمطه قامت مختلف الجامعات الإسلامية الحديثة فى أنحاء العالم الإسلامى، وصار هو الصورة المشرقة لكل الجامعات، وهو الذى يلخص تاريخ الحضارة الإسلامية كلها طوال ألف عام.

إنه روح هذه الحضارة، والمعبر عنها والمترجم لثقافتها. وهو موئل العربية وملاذها الأمين. منذ قيامه إلى اليوم وقد سُمى الأزهر لأنه كان محاطًا بقصور زاهرة فى رأى، أو لأنه كان أكبر الجوامع على الإطلاق رواء وجلالاً وفخامة فى رأى، أو لأنه ينتسب إلى الفاطمية وإلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فى رأى آخر، أو للتفاؤل بما سيكون له من المكانة والجلال والازدهار العلمى فى تاريخ الثقافة الإسلامية.

وقد شرع المعز الفاطمي منذ تولي الحكم في دولة الفاطميين في المغرب في بناء دولة واسعة، وإمبراطورية ضخمة لآل البيت في وسط العالم الإسلامي، ومن ثم امتد بصره إلى مصر، وشرع في التمهيد لفتحها، ونشط الدعاة الفاطميون في الدعوة لآل البيت في أنحاء مصر كلها، ثم عين قائده جوهرًا قائدًا لجيش الفتح، فخرج من القيروان بجيش ضخم في ١٤ من ربيع الأول عام ٣٥٧هـ فبراير ٩٦٩م، فاستولى على الإسكندرية، ثم واصل زحفه إلى الجيزة، فدخلها في ١١، من شعبان عام ٣٥٨هـ- يوليو ٩٦٩م، وفي اليوم التالي دخل جوهر الفسطاط عاصمة مصر الإسلامية الأولى آنذاك.

ومكث جوهر في شمالي الفسطاط ثمانية أيام استراحت فيها جنوده بعد عبورهم النيل من الجيزة إلى الفسطاط، وأخذ جوهر في وضع أساس عاصمة جديدة لمصر الفاطمية، فوضع أساسها، في يوم الثلاثاء ١٧ من شعبان ٣٥٨هـ ٧ يوليو ٩٦٩م، كما ورد في خطط المقرئزي (ج ٢ ص ٢٠٤)، ووضع أساس القصر الفاطمي الكبير -الشرقي في اليوم التالي ليكون مقر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله.

وفي يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ- ١٢ من أبريل ٩٧٠م شرع القائد جوهر في بناء الجامع الأزهر إلى جانب القصر الكبير- الخطط ج ٣ ص ٣٧٣- وظل البناء عامين (٩٧٠-٩٧٢)، وتم البناء وأقيمت الصلاة فيه لأول مرة في السابع من رمضان عام ٣٦١هـ- ٢٢ من يونيو عام ٩٧٢م ولم يلبث أن صار هذا المسجد هو المسجد الرسمي لدولة الفاطميين، وبعد تسعة أشهر من افتتاحه أخذ الناس يتلقون فيه عقائد المذهب الفاطمي.

وكانوا يجتمعون كل يوم جمعه فيما بين صلاة الظهر وصلاة العصر، وعلى رأسهم الوزير أبو يعقوب قاضي الخندق (خطط المقرئزي ج ٥- ص ٤٩) ومنذ عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي بنيت الأروقة حول الأزهر، وصارت جزءاً منه، وفرشت بما يلزم من الفرش، وصارت مساكن يقيم بها الطلاب، وفي مقدمتهم الطلاب الوافدون على الأزهر من أنحاء العالم الإسلامي ومن شتى مدن مصر الفاطمية.

وكان نظام الحلقات الذى كان متبعاً فى تلك الحقبة من الزمن هو النظام الوحيد للدراسة فى الجامع الأزهر، وهو أساس الحياة العلمية والثقافية فى مصر. وكان لكل مذهب من المذاهب الأربعة عمود معين من أعمدة الجامع لا يجلس فيه إلا أهل هذا المذهب، وكان شيخ المذهب حريصاً على أن تكون حلقاته العلمية بجوار هذا العمود، وكان من عادته فى أثناء إلقاء الدروس أن يجلس على الأرض بجوار العمود مستقبلاً القبلة، ثم صار أخيراً يجلس على كرسى من الخشب أو الجريد، وصارت تلك الكراسى من أخص امتيازات كبار العلماء فيه، ومن ذلك أخذت الجامعات نظام الأساتذة ذوى الكراسى، وكان الطلبة يجلسون حول أستاذهم على هيئة حلقة ولكل طالب مكان فى الحلقة لا يتعداه. وكان فى الحلقة طالب من أنبه طلابها يكلفه الأستاذ بإعادة درسه على زملائه وبقراءة الموضوع العلمى للدرس فى مختلف مصادره، وسمى هذا الطالب معيداً، وعن الأزهر أخذت الجامعات نظام المعيدين أيضاً. وكانت طريقة التعليم إذ ذاك هى أن يبدأ الشيخ درسه بالبسملة والحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم يلخص موضوع درسه، ثم يقرأ النصوص التى كتبت حوله فى مختلف المصادر، ويقوم الطلاب بسؤال أستاذهم فى كل ما غمض عليهم، ويستمر الحوار والمناقشة والأسئلة والإجابة عنها طول الدرس بين الأستاذ وطلبته!

ولا ننسى أنه بعد انتهاء الدولة الفاطمية، وتولى صلاح الدين الأيوبي حكم مصر عام ٥٦٧هـ. أفاته قاضيه صدر الدين بن عبد الملك بن درباس الشافعى بامتناع إقامة خطبتين فى بلد واحد كما هو مذهب الإمام الشافعى، فأبطل صلاح الدين الخطبة والتدريس فى الجامع الأزهر، وأقر الخطبة فى الجامع الحاكمى بحجة أنه أوسع، ثم أعيدت إلى الأزهر الدراسة، وكان أول ما درس فيه من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، ثم درست المذاهب الأخرى على التتابع، فلما تولى الملك الظاهر بيبرس حكم مصر عام ٦٥٨هـ لم يلبث أن أعاد الخطبة إلى الجامع الأزهر عام ٦٦٥هـ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧م.

وزاد بيبرس في بناء الجامع وشجع العلم والتعليم فيه، وأقام الأمير عز الدين أيدمر الحلبي احتفالاً رسمياً عظيماً في الجامع الأزهر، ابتهاجاً بعودة الخطبة إليه، كما أقام احتفالاً عظيماً آخر في داره حضرهما رجال الدولة وقادتها، وكان هذا الأمير يجاور الأزهر بسكناه، وتبرع له بالكثير من ماله الخاص، وجمع له الكثير من التبرعات من الدولة ومن الأمراء، وأخذ في ترميم مبانيه، وفي عمارته.

ولقى الأزهر من عناية الشعب الشيء الكثير فعاد إلى حلقاته العلمية الازدهار والجلال، وبخاصة بعد أن دمر المغول في غزواتهم كل معاهد العلم في العالم الإسلامي، وبعد أن قضى الأسبانيون على المدارس الإسلامية في الأندلس، ولم يبق في العالم الإسلامي على رسالة العلم والثقافة وبناء الحضارة غير الأزهر الشريف.

ولما فتح سليم الأول العثماني مصر، أخذ يظهر التودد إلى العلماء، والرعاية للأزهر، ويكثر من زيارته والصلاة فيه، وأمر بتلاوة القرآن به، وتصدق على فقراء طلابه.

وفي عام ١٠٠٤هـ - ١٥٩٥م جدد الأزهر والى مصر العثماني الشريف محمد باشا في عهد السلطان العثماني محمد الثالث، ورتب لطلبته الفقراء طعاماً يجهز لهم كل يوم، فكان ذلك حافزاً كبيراً على زيادة الإقبال عليه.

ولم يكن للأزهر قانون معين، حتى عام ١٢٨٨هـ - ١٨٧٢م، ففي هذا العام، وفي عهد شيخه الشيخ محمد العباسي وضع قانون للتدريس في الأزهر صدر به مرسوم خديوي بتاريخ ٢٢ من ذي القعدة عام ١٢٨٧هـ - ٣ فبراير ١٨٧٢م- نص فيه على ما يلي:

١- أن يكون الحصول على شهادة العالمية بامتحان يجرى على يد لجنة من العلماء يختارهم شيخ الجامع.

٢- أن يقسم العلماء إلى درجات ثلاث: أولى وثانية وثالثة.

٣- أن تكون العلوم التي يمتحن فيها الطلاب هي: الفقه - الأصول - التوحيد - الحديث - التفسير - النحو - الصرف - البلاغة - المنطق.

ولم يكن يسمح بدخول الامتحان إلا لسته من الطلاب، فإذا ازداد العدد يرجح منهم من امتاز بالشهرة أو بكبر السن.

وفى عام ١٣١٢هـ - ١٨٩٥م فى عهد الخديو عباس الثانى وضع قانون جديد للأزهر، ألف بمقتضاه مجلس لإدارة الأزهر من أكابر شيوخه الممثلين للمذاهب الأربعة، ومن ممثل للحكومة.

ولا ننسى أن أقدم أساتذة الأزهر كان هو القاضى أبو الحسن على بن النعمان (-٣٧٤هـ) فهو أول أستاذ ألقى درساً فى الأزهر- ثم تلاه أخوه القاضى محمد بن النعمان (-٣٨٩هـ-٩٩٩م)- ثم ابنه الحسين بن النعمان قاضى الحاكم بأمر الله الفاطمى.

ومن أساتذته أبو عبد الله القضاعى الفقيه والمؤرخ (-٤٥٤هـ- ١٠٦٢م)- وكان هو سفير المستنصر بالله الفاطمى إلى قيصرية القسطنطينية «تيودورا» لعقد صلح بين مصر والامبراطورية الرومانية الشرقية، ومن كتبه «المختار فى ذكر الخطط والاثار».

ومن الأساتذة كذلك الأمير المختار عز الملك محمد المشهور بالمسبحى - (-٤٢٠هـ- ١٠٢٩م) وهو من أقطاب العلماء ومشهورهم وله كتاب بعنوان «أخبار مصر وفضائلها».

ومنهم كذلك الشاطبى (٥٣٨-٥٩٠هـ- ١١٩٤م) إمام القراءات فى عصره. وعمن قام بالتدريس فى الأزهر المؤرخ عبد اللطيف البغدady (-٦٢٩هـ)، وقد قدم على مصر عام ٥٨٩هـ- ١١٩٣م، وتولى التدريس بالأزهر أعواماً عدة، فى مواد الكلام والبيان والمنطق، كما ألقى بعض دروسه الطبية فى حلقات خاصة.

وكذلك الشاعر الشيخ الصوفى الكبير شرف الدين عمر بن الفارض (-٦٣٢هـ- ١٢٣٤م)، وابن خلكان شمس الدين (-٦٨٠هـ- ١٢٨١م) الذى وفد على القاهرة عام ٦٣٧هـ- ١٢٣٩م.

وكذلك ابن هشام إمام العربية فى مصر (-٦٤٦هـ)، وشيخ المؤرخين ابن خلدون (-٨٠٨هـ- ١٤٠٦م). ولما قدم ابن بطوطة إلى مصر عام ٧٢٦هـ-

١٣٢٥م زار الأزهر، وتعرف بعلمائه وذكر بعضهم، ومنهم: قوام الدين الكرمانى - شرف الدين الزواوى المالكى - شمس الدين الأصبهاني (راجع الرحلة لابن بطوطة ص ٢٥).

وكذلك ممن درسوا فى الأزهر ابن حبان الغرناطى العالم اللغوى المشهور، حيث كان يلقي دروسه فيه.

وكذلك المؤرخ المشهور تقي الدين المقرئى.

ومنذ أواخر القرن الثامن قلما نجد شيخاً مشهوراً أو أستاذاً كبيراً، لم يأخذ مجلسه فى الأزهر، ويحسبنا أن ابن خلدون شيخ المؤرخين اتخذ حلقة علمية له فيه، وكان تدريسه فى الأزهر وجلوسه فى حلقاته العلمية، حدثاً علمياً كبيراً.

ومن درسوا فيه كذلك: تلميذ ابن خلدون المؤرخ المشهور العلامة المغربى محمد تقي الدين الفاسى (-٨٤٢هـ).

ومن شيوخه كذلك: الإمام شهاب الدين بن عبد الحق السنباطى (-٩٥٠هـ - ١٥٤٣م)، والشيخ الخراسى المالكى شيخ الجامع الأزهر (-١١٠١هـ - ١٦٨٩م)، والشيخ إبراهيم بن محمد البرماوى (-١١٠٦هـ - ١٦٩٥م) وكان من شيوخ الأزهر الشريف، والشيخ حسن بن على الجبرتى (-١١١٦هـ - ١٧٠٤م) وهو جد المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتى.

ومنهم كذلك العلامة المغربى شهاب الدين المقرئ (-١٠٤١هـ - ١٦٣٣م) وقد وفد على مصر عام ١٠٢٧هـ - ١٦١٨م ومنذ ذلك التاريخ لازم التدريس فى الجامع الأزهر، وأقبل على حلقة العلمية الأساتذة والطلاب.

ومنهم كذلك الشيخ الإمام الصوفى عبد الغنى النابلسى الذى زار مصر عام ١١٠٥هـ، والذى تصدر حلقة علمية من حلقاته، وكذلك مرتضى الزبيدى اليمنى صاحب شرح القاموس، وكان من كبار العلماء فى الحديث واللغة والأدب، وكتابه «تاج العروس من جواهر القاموس» مشهور، وقد ترجم له تلميذه الجبرتى فى تاريخه (٢ ص ٢٠٨-٢٢٠ عجائب الآثار للجبرتى).

ومن أعلام شيوخه ومدرسيه الإمام محمد عبده (-١٩٠٥م) مفتى مصر، ومصلح الأزهر، ومنشئ مكتبته، وواضع أهم قوانينه. وكان يلقي دروسه فى التفسير فيه فى الرواق العباسى.

ومن تخرجوا فيه أو درسوا فيه طائفة كبيرة من أعلام نهضة مصر، ومنهم الزعيم أحمد عرابى، وسعد زغلول، وعبد الله فكرى باشا (-١٨٨٩م)، والمنفلوطى (-١٩٢٤م)، والشيخ محمد شاکر (-١٩٣٩م)، والشيخ عبد العزيز البشرى (-١٩٤٣م)، والشيخ أحمد الزين، ود. زكى مبارك (-١٩٥٢)، وطه حسين، وأحمد حسن الزيات، وغيرهم.

ومن أعلام المتخرجين فيه كذلك: الشيخ عبد الهادى نجا الأيبارى (-١٨٨٨م) -والشيخ حسين المرصفى (-١٨٨٩م)، والشيخ حمزة فتح الله (-١٩١٨م)، والشيخ سيد المرصفى (-١٩٣١)، وغيرهم.

وقد تولى مشيخة الجامع الأزهر منذ العصر العثمانى إلى اليوم ثمانية وأربعون شيخًا، أولهم الشيخ محمد بن عبد الله الخراشى المالكى المتوفى فى ١٧ من ذى الحجة عام ١١٠١هـ.

ومنهم: الشيخ البرماوى (-١١٠٦هـ) والنشرتى (-١١٢٠هـ)، والشيخ عبد الله الشبراوى إمام الصوفية فى عصره (١٠٩٢ - ١١٧١هـ) ومنهم الشيخ عبد الله الشرقاوى الشافعى (١١٥٠ - ١٢٢٧هـ: ١٧٣٧ - ١٨١٢م) والشيخ حسن العطار (-١٢٥٠هـ)، والشيخ مصطفى العروسى، والشيخ محمد العباسى المهدي، والشيخ محمد الإنابى، والشيخ حسونة النواوى، والشيخ عبد الرحمن النواوى، والشيخ سليم البشرى المتوفى فى ١٧ من أكتوبر عام ١٩١٧م، والشيخ أبو الفضل الجيزاوى ثم الشيخ المراغى، والشيخ الأحمدي الظواهري، والشيخ المراغى للمرة الثانية حتى توفى عام ١٩٤٥، ثم الشيخ مصطفى عبد الرازق (-١٩٤٨)، فالشيخ مأمون الشناوى، فالشيخ إبراهيم حمروش، فالشيخ عبد المجيد سليم، فالشيخ محمد الخضر حسين، فالشيخ عبد الرحمن تاج، فالشيخ محمود شلتوت، فالشيخ

حسن مأمون، فالشيخ محمد الفحام، فالشيخ عبد الحليم محمود، فالشيخ محمد عبد الرحمن بيصار شيخه الذى تولى مشيخة الأزهر.

ولا ننسى ثورات الأزهر الوطنية، ثورة الشيخ الدردير التى وضعت أول ميثاق لحقوق الإنسان، وثورة الشيخ عبد الله الشرقاوى التى ألزمت الحكام المماليك بالعدالة فى معاملة الشعب، ثم الثورة العرابية، وثورة عام ١٩١٩، وهما اللتان أيدهما الأزهر وشارك فيهما مشاركة فعالة... ولا ننسى كذلك ثورة القاهرة الأولى والثانية التى قام بها الأزهر من أجل تحرير مصر من الاحتلال الفرنسى.

وبعد، فهذا هو الأزهر، وهذا هو تاريخه الحافل، فى بناء الثقافة والفكر والحضارة فى مصر الإسلامية، بل فى العالم الإسلامى كافة. ولا يزال الأزهر يتصدر حتى اليوم الجامعات الإسلامية فى العالم الإسلامى.

وسوف تحتفل مصر الخالدة بالعيد الألفى للأزهر بعد شهور قليلة، لتقدم باسمها وباسم العالم الإسلامى لهذه الجامعة العريقة كل عرفان بالفضل، وتقدير للصنيع، على ما قام به طوال ألف عام من بناء للفكر وللوطن وللإنسان.





أمام القبلة القديمة تعقد هذه الحلقة كل يوم لطلاب
الدراسات الإسلامية في الجامع الأزهر الشريف

ترجمة القرآن الكريم

اقترح شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات العالمية وتتقدم بها مشيخة الأزهر بمساعدة وزارة المعارف وأن يقرر مجلس الوزراء المصرى الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل.

وذلك فى خطاب بعث به الشيخ المراغى إلى رئيس مجلس الوزراء فى مصر. وقد ناقش المشروع كثير من الناس، وكتب الشيخ محمد سليمان القاضى الشرعى كتاباً بعنوان «حدث الأحداث فى الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن»، وأخرج محمد مصطفى الشاطر كتابه «الرد على مشروع ترجمة القرآن الكريم». فأصدرت جماعة كبار العلماء فى الأزهر الشريف فتوى بإجازة ترجمة معانى القرآن الكريم، وقع عليها الأعضاء، وهم:

- محمود الدينارى شيخ معهد طنطا.
- عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين.
- إبراهيم حمروش شيخ كلية اللغة.
- محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة.
- عبد المجيد سليم مفتى مصر.
- محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الأزهر.
- دسوقى عبد الله العربى.
- يوسف الدجوى.
- محمد سبيع الذهبى شيخ الحنابلة.
- أحمد الدلبشانى.
- عبد المعطى الشرشى.

- عبد الرحمن قراعة .

- أحمد نصر .

- محمد الشافعي الظواهري .

وبعد ذلك أصدر مجلس الوزراء قراراً بالموافقة على ترجمة معانى القرآن الكريم
ترجمة رسمية فى جلسته المنعقدة فى ١٦ أبريل ١٩٣٦ م .



الشيخ المراغى^(١)

هو الشيخ محمد مصطفى المراغى، ولد فى مراغة أحد مراكز سوهاج فى مارس ١٨٨١، بدأ رحلته التعليمية بحفظ القرآن الكريم، ثم ذهب إلى طهطا لمواصلة العلم واتجه بعدها إلى الأزهر الشريف وحصل منه على العالمية فى عام ١٩٠٤، اشتغل فى مستهل حياته الوظيفية بالسودان، وقد عين قاضياً فى دنقلة فى نفس السنة التى تخرج فيها من الأزهر، ثم عين قاضياً لمديرية الخرطوم فى ديسمبر ١٩٠٦ ورقى بعدها ليشغل وظيفة قاضى القضاة فى ديسمبر ١٩٠٨ وهو أكبر منصب قضائى فى السودان كله، نظم خلاله القضاء الشرعى بالقطر الشقيق. ثم نقل إلى مصر فى سبتمبر ١٩١٩، وظل يرقى المناصب القضائية إلى أن عين رئيساً لمحكمة مصر الشرعية العليا فى عام ١٩٢٣ مما أتاح له أن ينهض بقانون الأحوال الشخصية بعد أن أعجب الناس به، واستطاع أن يأخذ من التشريع الإسلامى من غير تقييد بمذهب، ولمس الناس أثر إصلاحاته الكبرى.

ثم حاول القيام بأخطر مهمة فى تاريخ الأزهر وذلك عن طريق تطويره وإصلاحه ومسايرته لروح العصر إذ عين شيخاً للجامع الأزهر فى مايو ١٩٨٢. بدأ عمله بنهج طيب مفاده أن يحفظ للخريج مكانته. إذ أرادت وزارة الأوقاف منذ عام مضى (أى فى عام ١٩٢٧) إنشاء مدرسة الوعظ والإرشاد، لأنها ظنت أن علماء الأزهر غير قادرين على تأدية هذه المهمة.

وكان لهذه المدرسة مخصصات فى ميزانية ١٩٢٨. فتدخل الشيخ متعللاً بأنه فى الإمكان الاستغناء عن تلك المدرسة بعد إصلاح الأزهر، وكان بالفعل قد سار شوطاً فى هذا المجال. فكتب مذكرته الإصلاحية الشهيرة -والتي تعتبر بحق دستور الإصلاح فى الأزهر الحديث- ضمنها آراءه وأفكاره وخلاصة تجاربه، وأهم ما جاء فيهم تقسيم القسم العالى بالأزهر إلى كليات ثلاث: كلية أصول الدين والشريعة واللغة العربية وإنشاء قسم للدراسات العليا يسمى تخصص المادة، ثم بعض المواد فى كيفية إدارة الأزهر.

(١) إضافات لما سبق ليظل كما هو حرصاً على أمانة التحقيق فى الطبعتين السابقتين.

وانقسم الأزهر أمام تلك الآراء إلى قسمين: مؤيد ومعارض، وقف الملك فؤاد بجانب الفريق المعارض، للخلاف الناشئ بينه وبين المراغى فى بعض مواد القانون فقدم استقالته من مشيخة الأزهر، وبالرغم من قصر المدة التى قضاهـا وهى لا تتعدى أربعة عشر شهراً، إلا أنها كانت فترة حافلة بآثارها ونتائجها. فقد كان لآرائه وقع كبير فى نفوس كل من العلماء وطلبة الأزهر، يدل على ذلك أن قام الأزهريون عن بكرة أبيهم شيوخاً وطلاباً فى مظاهرة من العنف والشدة ومن ورائهم الأمة جمعاء، وليس لهم من مطلب سوى عودة الشيخ إلى الأزهر ليواصل المسيرة الإصلاحية، فرضخ المسئولون وعلى رأسهم الملك لمطلب الشعب وعاد الشيخ إلى الأزهر.

فسكنت نفوس الأزهريين وأرادوا التعبير عن ولائهم له والسرور بعودته فأقاموا لتلك المناسبة حفلاً لتكريمه بأرض المعرض الزراعى احتشد فيه أكثر من ثلاثين ألف رجل من جميع فئات الشعب، وحضره بعض الأمراء ورجال الفكر والسياسة فى العالم.

وقد صدرت الصحف صباح الحفل تشيد بنظامه ومما ألقى فيه من خطب وقصائد، وتهنىء الشيخ وتغبطه على مقامه فى الأزهر وفى الأمة، حتى لقد قال بعض رجال الصحافة: لم يشهد العالم لا فى أوروبا ولا فى مصر حفلاً اجتمع له من أسباب الروعة والنجاح مثلما اجتمع لذلك الحفل العظيم.

عاد الشيخ إلى الأزهر مرة ثانية ليواصل ما بدأه من إصلاح، وكان الإصلاح فى نظره يقوم على ركنين: تخريج العالم الكفاء الذى يصلح لتأدية رسالة الأزهر وهى نشر الدين فى مصر وغيرها، والثانى كفالة المستقبل لخريجى الأزهر ليحتفظوا بكرامتهم ويؤدوا رسالتهم. ولتحقيق الركن الأول أضاف إلى العلوم التى كانت تدرس فى الأزهر علوماً رآها ضرورية، كما أضاف إليها بعض اللغات الأجنبية، ولتحقيق الركن الثانى، بين فى القانون حقوق الخريجين فى كل كلية من وظائف الدولة. وأخذ الشيخ يواصل خطواته فى إصلاح الأزهر، فأوفد بعثات أزهريه إلى أوروبا، وأنشأ قسم الوعظ والإرشاد ووضع مشروع مبانى المدينة الأزهريه التى تجمع كلياته ومعاهده ومكتبته العامة ومساكن للطلبة، وأنشأ لجنة الفتوى بالأزهر

فأصبحت منارة للمسلمين من سائر أنحاء العالم الإسلامى فى شئونهم الدينية. وقد أحيأ فى عهد مشيخته الثانية سنة علمية دينية قديمة وذلك بإلقاء كبار العلماء دروساً للملوك والأمراء، فأخذ يلقي على الملك فاروق وكبار رجال الدولة وجمهرة من الشعب دروساً فى تفسير القرآن الكريم فى عصور وأمسيات كل جمعة من رمضان مدة عشر سنوات بأسلوب مبتكر فى التفسير آثار إعجاب العالم الإسلامى كله.

أما عن مواقفه السياسية والوطنية فهى أكثر من أن تحصى، وإن كان لابد لنا من أن نعدد جانباً منها، فعلياً أن نسرد التالى: حدث بعد تخرجه فى الأزهر أن عين قاضياً للسودان ثم غضب عليه الإنجليز، فعاد إلى مصر وعين مفتشاً فى المساجد، وبعد ذلك عرض عليه الإنجليز مرة أخرى منصب قاضى قضاة السودان، وبذلك يقفز مرتبة من ٦ جنيهاً إلى ٤٥ جنيهاً فقال: إنه يوافق على ذلك بشرط أن يعين بمرسوم مصرى -ديكرتو- فاستدعاه اللورد كتشنز العميد البريطانى فى ذلك الحين وقال له: كيف تشترط هذا ونحن نرفع مرتبك إلى أكثر من سبعة أضعاف مرتبك الحالى؟ فقال فضيلته: «لن أقبل التعيين إلا إذا عينت بمرسوم مصرى فسن بذلك سنة أجبرت عليها بريطانيا، بأن صار تعيين قاضى قضاة السودان بموجب مرسوم ملكى مصرى.

وكان للشيخ أثناء عمله بالسودان موقف مشرف تجاه ثورة الشعب المصرى عام ١٩١٩، فقد روى ضباط الجيش المصرى الموجودون بالسودان روايات كثيرة عن وطنيته آنذاك. حيث قاد الثورة المصرية فى السودان بخطبه الثورية الفوارة، وظل الشيخ وهو بالسودان يرقب أحداث الثورة المصرية وتطورها ويوجه المصريين وجهة الخير، وكان قطبهم الذى يدورون حوله. وكان يجمع من المصريين والسودانيين، التبرعات المالية للإنفاق منها على بعض نواحي الثورة كإسعاف الجرحى ومواساة أسر المنكوبين، مما جعل وجوده فى السودان خطراً مستفحلاً على النفوذ الإنجليزى به، فتخلصوا من الشيخ وسافر إلى مصر.

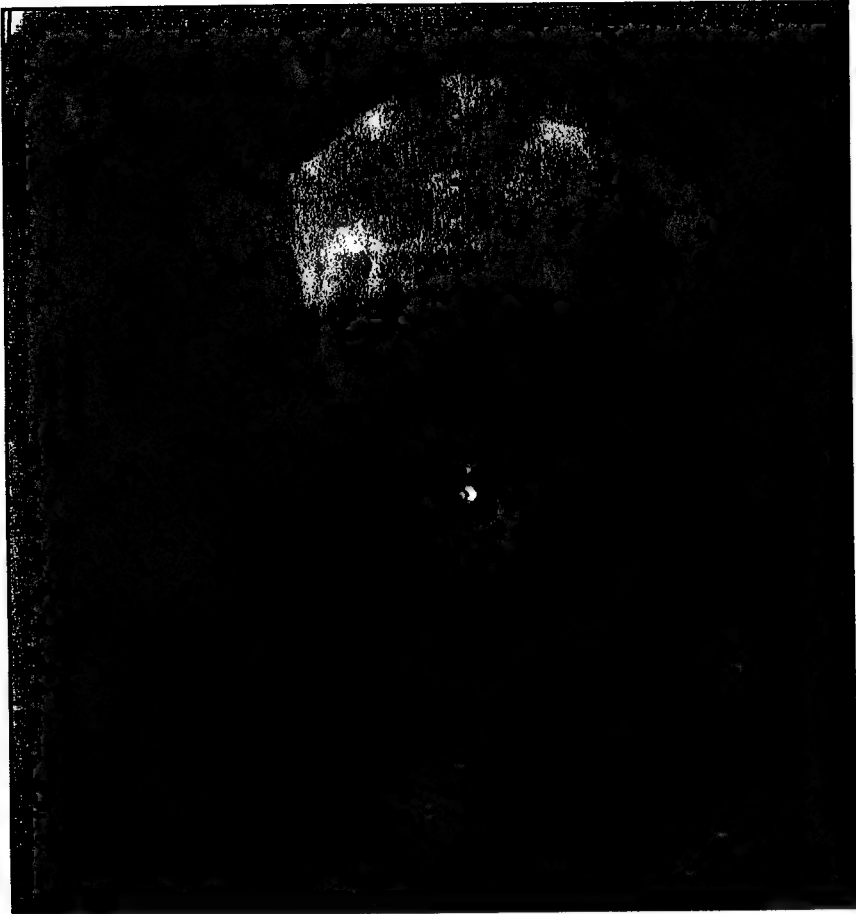
ومن أشهر مواقفه السياسية ما كان منها أثناء نشوب الحرب العالمية الثانية، فقد هاله وروَّعه ما أحدثته غارات دول المحور على مدن مصر من دمار وخراب وتقتيل

وتشريد للأنفس البريئة، فخطب في مسجد الرفاعي خطبة بليغة أعلن موقف مصر منها، وأنها لا مصلحة لها فيها في الاشتراك في الحرب ولا ناقة لها فيها ولا جمل. ولقد أحدثت تلك الخطبة ضجة هائلة وقامت لها الحكومة المصرية وقعدت واهتزت لها الحكومة الإنجليزية بعنف. وطلبت إلى الحكومة المصرية بيان موقفها من هذه الفكرة، واتصل به رئيس الوزراء وخاطبه في لهجة يفوح منها رائحة التهديد، فثارت ثائرتة وقال له: مثلك يهدد شيخ الأزهر وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة؟ ولو شئت لصعدت منبر الحسين وأثرت عليك الرأي العام، ولو فعلت لوجدت مكانك على الفور بين عامة الشعب.

هذه لمحة سريعة عن بعض مواقفه الوطنية، ومجمل القول كان الرجل طرازاً فريداً من نوعه اعتمد على حب الشعب له، فبادلته الشعب حباً بحب، ولذلك بكته مصر والعالم الإسلامي عند وفاته في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥ إذ خرجت مئات الآلاف لتوديع رجلها الذي كانت تحس به^(١).



(١) جريدة التعاون مارس ١٩٧٥.



الدكتور محمد السعدى فرهود
رئيس جامعة الأزهر

شيخ جامعة الأزهر الحالى الدكتور محمد السعدى عوض فرهود

علم من أعلام الأزهر المعاصرين، وشيخ جليل من كبار شيوخه.

ولد بمدينة الزرقا بمحافظة دمياط فى أول يناير سنة ١٩٢٣، وحصل على الابتدائية الأزهرية من معهد دمياط سنة ١٩٣٩، وعلى الثانوية من معهد الزقازيق الأزهرى سنة ١٩٤٤، وتخرج فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٨، وحصل على دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين سنة ١٩٥٠، ودبلوم الدراسات العليا للمعلمين سنة ١٩٥٤، ودورة الصحافة المدرسية سنة ١٩٥٦، ودبلوم معهد الدراسات العربية العالية فى الدراسات الأدبية واللغوية سنة ١٩٥٦م، والماجستير بتقدير ممتاز فى الدراسات الأدبية سنة ١٩٥٨، والدكتوراه فى الأدب العربى الحديث سنة ١٩٦٧ بمرتبة الشرف الأولى.

بدأ وظيفته مدرساً بمدرسة سوهاج الثانوية سنة ١٩٥٠، ثم اختير للتدريس بالمدارس النموذجية سنة ١٩٥٤، وهو أول مدرس للغة العربية بالمدرسة الثانوية النموذجية للمتفوقين سنتي ١٩٥٦، ١٩٥٧.

شغل عدة وظائف أخرى منذ سنة ١٩٥٧ منها:

عضو فنى وباحث بإدارة البحوث الفنية والمشروعات بوزارة التربية والتعليم (١٩٥٧).

عضو فنى ووكيل إدارة قسم آسيا بالسكرتارية الفنية للجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التعليم العالى (١٩٥٩).

مدير مساعد المركز الثقافى العربى بالرباط بالمملكة المغربية (١٩٦٠).

مدير إدارة الخطة بوزارة العلاقات الثقافية الخارجية (١٩٦٤).

مستشار بوزارة الإرشاد القومى (١٩٦٦).

عضو مكتب وزير الدولة لشئون الأزهر (١٩٦٦).

انضم إلى هيئة التدريس فى قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٨، ثم رقى أستاذًا للأدب والنقد فى التاسع من مارس سنة ١٩٧٧ م.

اختير وكيلا لكلية اللغة العربية بأسبوط سنة ١٩٧٣، ووكيلاً فعميداً لكلية اللغة العربية بالمنصورة سنة ١٩٧٦ حيث شارك فى إنشائهما ووضع أسس العمل بالكليات الإقليمية الناهضة بجامعة الأزهر.

انتدب فى سبتمبر سنة ١٩٧٩ وكيلا لجامعة الأزهر للدراسات العليا والبحوث وفى أغسطس سنة ١٩٨٠ عين نائباً لرئيس الجامعة لشئون الدراسة والتعليم والطلاب.

عين وكيلاً للأزهر -بدرجة وزير- فى ١٦/٢/١٩٨١. وهو أول وكيل للأزهر يعين بهذه الدرجة.

* عين رئيساً لجامعة الأزهر فى أول سبتمبر ١٩٨٣.

نشاطه:

- * عضو المجلس الأعلى للجامعات بمصر.
- * عضو مجمع البحوث الإسلامية.
- * عضو مجلس أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا.
- * عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- * عضو نائب رئيس رابطة الجامعات الإسلامية.
- * عضو المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى.
- * عضو المجلس القومى للثقافة والآداب والفنون.
- * عضو مجلس اتحاد الإذاعة والتلفزيون بمصر.
- * رئيس اللجنة الدينية باتحاد الإذاعة والتلفزيون.
- * رئيس مجلس إدارة مركز صالح عبد الله كامل للدراسات والبحوث الاقتصادية بجامعة الأزهر.

* رئيس مجلس إدارة المركز الدولي الإسلامى للبحوث السكانية بجامعة الأزهر.

* أشرف على أكثر من ٦٠ رسالة ماجستير ودكتوراه، وناقش أكثر من مائة وخمسين رسالة جامعية فى الدراسات الأدبية والدينية والتربوية.

- أستاذ غير متفرغ بكلية اللغة العربية بالمنصورة للإشراف على الدراسات العليا بها منذ تعيينه وكيلًا للأزهر.

* مقرر اللجنة العلمية الدائمة للترقية إلى وظائف الأساتذة بجامعة الأزهر.

- بدأ منذ أول يناير سنة ١٩٨٣ تفسير القرآن الكريم فى برنامج يومية بإذاعة القرآن الكريم من القاهرة تحت عنوان (على هامش التلاوة) والبرنامج مستمر.

مؤلفاته:

- له عدة مؤلفات فى الدراسات الإسلامية والأدبية منها:

- فى البيان القرآنى:

١- تفسير سورة الرعد.

٢- وتفسير سورة إبراهيم.

- فى الحديث النبوى:

١- التعريف بالحديث الشريف.

٢- وفى رحاب الهدى النبوى.

٣- والهدية السعدية فى شرح الأربعين النبوية.

- فى الدراسات الأدبية:

١- ابن زيدون وشعره.

٢- والوصف فى شعر المتنبى.

٣- والاتجاهات الفنية فى شعر عبد الرحمن شكرى.

- ٤- والتيار الفكرى فى شعر شكرى .
- ٥- والتيار الاجتماعى فى شعر شكرى .
- ٦- والنديم الأديب .
- ٧- والنبع الصافى .
- ٨- والكوثر العذب .
- فى الدراسات النقدية:
 - ١- اتجاهات النقد الأدبى العربى .
 - ٢- وقضايا النقد الأدبى .
 - ٣- والمذاهب النقدية بين النظرية والتطبيق .
 - ٤- ونصوص نقدية لأعلام النقاد العرب .
- فى الدراسات البلاغية:
 - ١- أسرار البلاغة فى التشبيه والتمثيل .
 - ٢- ومبحث التقديم فى دلائل الإعجاز .
 - ٣- والعبارة وتأليفها بين كتابى نقد النثر والبرهان .
- فى الدراسات اللغوية:
 - ١- فن القريض .
 - ٢- ومن أدب الكاتب .
- وأتم تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم فى عدة أجزاء كبيرة .



الإمام نافع الخفاجي الكبير

١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م - ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م

إمام كبير، وعالم جليل، وأديب نابغة، وفقه مجتهد، تحدث عنه مصادر واسعة تحدثنا عنه في إفاضة وسعة ودقة تحقيق وتحليل.

ترجم لنفسه في صدر معلقته الخفاجية ترجمة طويلة مستفيضة سنتقل عنها في إيجاز واختصار، قال: «نافع الخفاجي بن الجوهري بن سليمان بن حسن بن مصطفى بن أحمد الخفاجي التلبناني من بني خفاجة وأمى من أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب، وجدتي أم والدي من بني شاكر ولهم اتصال في شرف الحساب.

«وكان مولدي في حدود سنة ١٢٥٠هـ، «وكنت بعد سن التمييز في مغرس طيب النبات عزيز، في حجر والدي، ممتعاً بذخائر طريفي وتالدي، مربى بغذاء النعم في الظاهر والباطن، في النعيم المقيم بأرفع المساكن، ومقام والدي الجوهري غنى عن المدح، والورق بأوكارها لا تعلم الصدح».

«وحفظت القرآن ولي دون اثنتي عشرة سنة، ثم حفظت المتون كمتن أبي شجاع ومنهج الفقه وألفية ابن مالك والأجرومية والرحبية والجزرية والجوهرة والسنوسية ومتن السلم وتحفة الميهي ومتن السمرقندية ومتن الزبد لابن رسلان وغيرها».

فلما درجت من عشي تركت تلك النعم المتكاثرة ورحلت في طلب العلم إلى القاهرة». «كان وصولي الأزهر أواخر سنة ١٢٧١هـ ثم في أول سنة ١٢٧٢ حضرت ابن قاسم والكفراوي، وفي سنة ١٢٧٣ حضرت البرماوي والكفراوي أيضاً، وفي هذه السنة زلزلت الأرض والبلاد زلزلة عظيمة هدمت منها بعض البيوت والمآذن بمصر، وفي سنة ١٢٧٤ حضرت شرح الخطيب ثانياً وشرح الأزهري وحاشيته وشرح القطر. وفي هذه السنة توفي أخى محمد الغندور، وفي سنة ١٢٧٧ حضرت التحرير وشرح القطر ثانياً وشرح الشذور».

«حضرت على سيبويه زمانه وعلامة عصره وأوانه شيخ الإسلام وتاج العلماء الأعلام شيخنا إبراهيم الباجوري طيب الله ثراه وجعل الفردوس مأواه، فحضرت دروسه في المنهج والتحرير وكتب الحديث والتفسير، وهو الإمام الذي اقتدت به علماء الأمصار، وتنزهت من فضائله في حدائق ذات بهجة وأنوار».

وقرأت على من رقى في معارج الفنون مولانا الشيخ إبراهيم السقا شرح الجامع الصغير وشيئا من كتب التفسير، وقرأت الفقه وشيئا من الحديث على الشيخ محمد الأشموني، وقرأت على شيخنا الحضري شرح المنهج والتحرير والنحو والبيان، وناقست في الجرد والطلب جميع الإخوان، وقرأت على الشيخ مصطفى البدرى شيئا من الفقه والنحو وغيرهما، وقرأت على الشيخ الرهايني شيئا من المنطق والنحو والبيان، وكتب لى بخطه أجازة (موجودة لدى صورتها الخطية)، وهى «تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام، المحي مآثر الأعيان، بنشر ثنائهم المخلد فى صحائف الأيام، والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام، وعلى آله وصحبه ما طرز البرق برود الغمام أما بعد فقد سألنى الأخ فى الله تعالى الشيخ العالم العلامة نافع بن الجوهري بن سليمان الحفاجي التلباني أن أجيزه بجميع مروياتى من فقه وحديث وتفسير ونحو ومنطق وبيان وديدع وعروض من معقول ومنقول وإفتاء وتدريس وكل ما أخذته عن مشايخي الأجلة، لكونه وسمنى بسمه العلم ولست من أهله:

إذا كان الزمان زمان سوء فيوم صالح فيه غنيمة

فعلمت لباقته لذلك فقلت: أجزته بجميع مروياتى من مشايخي الأخيار، وما لهم من التأليف والآثار، وأوصيه بتقوى الله والوقوف على حدود شريعة رسول الله ﷺ، وأن يتحرى فى القول والعمل، وأن لا ينساني من صالح دعواته، صانه الله وحماه، وقلد جيد مجده بفرائد حلاه». . وتاريخ هذه الإجازة جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣هـ.

ونظرت فى كتب المذهبين: مذهب الشافعى والنعمان، مؤسساً على الأصلين من مشايخ العصر، متزهاً فى حدائق السحر، وشحا لأدبى بحلل النظم والنثر».

ومن أجل من أخذت عليه شيخنا الرافعي، قرأت عليه شرح الشفا وقطعة من البخاري فأجازني بذلك» «ومن قرأت عليه الشيخ على الملبط، حضرت عليه طرقاً من العلوم وشيئاً من حديث الرسول فأمدني بدعاء لا شك أنه على أكف القبول محمول، ومنهم الشيخ التجريدي كان ينوه باسمي ويفتح جريدته برسمي. ومنهم شافعي زمانه وعلامة أوانه الشيخ نور الدين المنوفي، حضرت دروسه الفقهية».

«وحدثت في طلب العلم السري، ونهت عيون حظي من الكرى؛ وقلت: دار بدار، والعمر فرصة فالبدار. وكل ما تهواه حسن: وليس لما قرت به العين ثمن، ففارقت من فارقت غير مذمم. ويمت من يمت خير ميمم، وأخذت الفقه والنحو والتوحيد والفرائض والبيان والمنطق والتفسير والحديث عن جماعة من الشيوخ، وقد فتح الله على في علوم الفقه والفرائض والتوحيد والتفسير والحديث والنحو والمنطق والبيان واللغة والعروض والإنشاء والطب والحساب، والحروف والأوقاف والتاريخ... ودون هذه: أصول الفقه والتصريف والاشتقاق والجدل والوضع، ودونها: القراءات ولم آخذها من شيخ: ولضيق يدي عن شراء ما أحتاج إليه من الكتب كنت أطلع كل ما أمكنني مطالعته».

ثم أذكر جملة أسماء الكتب التي قرأها على العلماء أو طالعها أو حفظها وكانت كثيرة جداً تفوق على الألف كما يقول هو في مقامته، ونلاحظ أن من الكتب التي قرأها في فن العربية والأدب وما يتصل به هذه الكتب: الوسيلة الأدبية للمرصفي، حلبة الكميت؛ أساس البلاغة للزمخشري، أدب الكاتب لابن قتيبة، صحاح الجوهري، فقه اللغة، المزهري، المثل السائر، شفاء الغليل، الشفا في بديع الاكتفاء للنواجي، تاريخ ابن خلدون؛ ابن خلكان، الخطط للمقرئزي، حسن المحاضرة للسيوطي، نفح الطيب، الأغاني، الكامل لابن الأثير، الغناء في دمشق الفيحاء، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، آثار البلاد للقزويني، الخصائص للسيوطي، المسامرات لابن عربي، فاكهة الخلفاء، فوات الوفيات، الخزانة، مقامات الحريري وشرح الشريشي عليها، طراز المجالس للشهاب الخفاجي، الكشكول، الموازنة للأمدى، قلائد العقيان، ريحانة الألباب للشهاب الخفاجي، حديثة الأفراح، رسائل الخوارزمي والبديع، حياة الحيوان للدميمري، ثمرات

الأوراق، شرح رسالة ابن زيدون، ديوان الصبابة، المستطرف، الإنشاء للعتار، إنشاء مرعى ربيع الأبرار، شرح ديوان ابن الفارض، شرح لامية العجم، شرح ديوان امرئ القيس، سوى الدواوين الكثيرة التى قرأها، وذلك كله مما يوقفنا على سر ثقافته الأدبية.

ثم قال: «ومصنفاتى فى هذا الوقت تبلغ الخمسين ولم يكن لى شغل بالليل والنهار سوى المطالعة.

ولدى الآن صورة خطية للأجازة العلمية التى كتبها له الشيخ الباجورى..

بدأها بالحمد والصلاة على الرسول فى إفاضة، ثم أفاض فى فضل العلم.. إلى أن قال:

«وإن ممن قدم علينا بمدينة القاهرة، التى هى بالمحاسن ظاهرة، وبأكابر العلماء زاهرة، وبمدارس العلوم عامرة، وروضتها بأنفاس أكابر العلماء عاطرة، وأشعة شمس علومهم بها باهرة، لاسيما الجامع الأزهر والمسجد الأنور، الذى فيه العلوم تقرر، وبساط العرفان ينشر، فهو بذلك عن كل المساجد متفرد، وبذلك الخصيصة مشهور لمن إليه يرد. تجنى من رياض دروسه ثمار العلوم، وتبنت -كما يثبت البقل- بأرضه الفهوم، فمحله فى الفضل غير منكور. ومهارة علمائه فى الفنون أمره مشهور:

العالم الفاضل الماهر الكامل، الأملعى اللودعى، صاحب الأفهام الدقيقة، والمعانى الدقيقة، نافع الخفاجى التلبانى، وقد أخذ المذكور عن علمائه ومشاهير فضلائه؛ وتوفياً فى ظلال معارفهم، واقتطف أزهار لطائفهم، وتعطر بعبير أنفاسهم، واستضاء بمشكاة نبراسهم، حتى حصل من علمهم الجم، وغاص على تلك الآلىء فى ذلك اليم، وجد واجتهد، وحرر وقيد، فربحت تجارته وحسنت شارته وعظمت فائدته، وجلت عائدته، وامتلا وطابه، وشرف بالانتماء إلى العلم انتسابه، ولما حن حنين الفحل إلى وطنه، وأراد الرجوع إلى وطنه؛ زودته بالدعوات الصالحات، وكسوته حلل الكرامة بتسطير الإجازات، رجاء الانتظام مع هؤلاء العداء، فقلت: أجزت المذكور بكل ما تحجوز لى به الرواية، وما تلقيت عن أشياخى -ضاعف الله أجورهم- رواية ودارية، وبما لى من تأليف وتصنيف».

وتحمل هذه الإجازة هذا الأمل: «الفقيه إبراهيم الباجوري - خادم العلم.

ومع هذه الوثيقة صورة أخرى لرجاء أساتذته: الشيخ الملقب والشيخ البدري والشيخ علي محمد المرفوع إلى شيخ الجامع الأزهر لإعطاء «ولده الفقير خفاجي بن الجوهري خفاجي من أهالي ناحية تلبنانة بولاية الدقهلية تذكرة أسوة بأمثاله بإكرامه وعدم المعارضة له بطريق ما وإجازته بكل ما أفتى وما فعل، والعهد علينا في ذلك».

ويلى ذلك إجازة شيخ الأزهر له ومنها: «انتظم المذكور في سلك العلماء وأخذ عن الشيوخ الموجودين في هذا العصر بعضاً من العلوم؛ ودأب في التحصيل فمنح دقائق الفهم، فأجازه أشياء بما أخذ عنهم وتلقاه منهم، ولما أراد الرجوع إلى وطنه التمس إجازته بما تجوز له روايته وينسب له عن أشياء درايته، فسارعت لسؤاله، وبادرت لتحقيق آماله، فأجزته بما تجوز لى روايته من منقول ومعقول وما تنصرف إليه هم أرباب العقول، وعليه العمل بتقوى الله وأن لا ينساني من دعواته إلخ».

وعاد الفتى الشاب العالم من القاهرة يحمل معه إجازته العلمية واستقر أخيراً في قريته.

لا نعلم في أى تاريخ عاد من مصر إلى تلبنانة، ولكنه على كل حال عاش في البلدة ضجراً ملولاً لجوها وللحياة فيها يقول في مقامته:

فرجعت إلى بلدى فلم أجد بها أحد يحسن قراءة الفاتحة، وصرت فيهم غريب الفضل منفرداً كبيت حسان في ديوان سحنون، ومازلت معتكفاً في حرم المطالعة من كتاب قديم إلى كتاب جديد، حتى جذبتني حاجة الحياة إلى مخالطة الجهال الأغمار.

وأخذ يطالع ويدرس ويؤلف وينظم الشعر، ويتصل برجال إقليم الدقهلية، وكان صوفياً وخليفة السيد أحمد البدوي كما في وثيقة مخطوطة عام ١٢٨٢هـ، وفيها يذكر مشايخه في الطريقة أولهم عمر الصاوي المالكي الحفناوي.

وصار بعد قليل كبير العلماء في هذا الإقليم وإمام الإفتاء فيه، والعلم المشار إليه بالبنان، وقصده الناس من كل جهة وحذب، وعاش مبجلًا بين الناس في وسط بلده وأسرته.

تزوج أربع زوجات وخلف ذرية كبيرة صالحة، وكان ينفق في حياته بسخاء على أسرِه الكبيرة الضخمة.

وأخيراً وبعد جهاد طويل وعمر حافل بجلالته الأمور وعظائم الأعمال توفي عام ١٩١٢ الموافق سنة ١٣٣٠هـ عن ثمانين عاماً.

مؤلفاته:

اطلعت على فهرس لمكتبة هذا العالم الكبير المغفور له الشيخ نافع خفاجي بخطه فوجدته قد وضع الكتب في مجموعات كل مجموعة بحسب الفن الذي ألّفت فيه، فعلم الفقه وعلم الحديث وعلم التفسير، وعلم التاريخ، وكتب في كل مجموعة ما له من مؤلفات في هذا الباب، وقد جمعت ما ذكره من مؤلفاته ووضعت لها أرقاماً متسلسلة وهي:

- ١- الطب لنافع الخفاجي.
- ٢- رسالة الكيمياء لنافع.
- ٣- الألفاظ لنافع وهو موضوع في «مجموعة الحكم ومجموعة العلم والأمثال والألفاظ والمسائل».
- ٤- مناسك الحج لنافع.
- ٥- مسامرات نافع.
- ٦- شرح كنز الطالبين في التوحيد لنافع الخفاجي.
- ٧- العقد الفريد في علم التوحيد لنافع الخفاجي.
- ٨- ديوان نافع الجوهرى في الخطب والمواظ.
- ٩- مجموعة خطب نافع مرتبة على حروف المعجم «وهي خطب دينية».
- ١٠- تحفة الأذكار لنافع الجوهرى «في مجموعة الفضائل والأوراد».
- ١١- فضائل رمضان في آية القيام لنافع الخفاجي.
- ١٢- فضل رمضان وفضل العيد لنافع الخفاجي.

- ١٣- أوراد نافع .
 - ١٤- إعراب لاسيما .
 - ١٥- الزهر الفائح «فى مجموعة التصوف والمواعظ» .
 - ١٦- عنوان المجاوية لنافع الخفاجى «كتاب إنشاء» .
 - ١٧- إنشاء نافع خفاجى المجموع من الصحف .
 - ١٨- إنشاء نافع فى المدائح وغيرها .
 - ١٩- الهجاء لجامعه نافع الخفاجى .
 - ٢٠- المراثى لجامعة نافع الخفاجى : فى مجموعة .
 - ٢١- الاعراضات لجامعة نافع الخفاجى ، الأدب .
 - ٢٢- الإفادات لجامعه نافع الخفاجى ، والإنشاء .
 - ٢٣- الأرجوزة المفحمة فى المكاتب والمخاصمة .
 - ٢٤- تمرين القراء ودعاء الختم لنافع الخفاجى فى مجموعة علوم القرآن .
 - ٢٥- السيرة النبوية لنافع الخفاجى .
 - ٢٦- الفلسفة لنافع الخفاجى .
 - ٢٧- الجغرافيا لنافع .
 - ٢٨- كتاب الأمثال والحكم المنظومة لنافع .
 - ٢٩- الكواكب الدرية فى المسائل الفقهية لنافع الخفاجى .
- ومعظم هذه الكتب فقد مع مكتبته الكبيرة التى فقد الكثير منها بعد وفاته فى حريق نكبت به البلدة . والباقي منها لا يزال غير معروف لى إلى هذا الوقت ، وتوجد بقايا منها فى مكتبة ابنه الأستاذ الكبير المرحوم الشيخ عبد اللطيف نافع خفاجى ولم أطلع عليها للآن .

أما الكتب الموجودة لدى من مؤلفاته فهي:

١- رسالة تنوير الأذهان في علم البيان تأليف نافع الخفاجي بن الجوهري بن سليمان التلباني الشافعي وهي دراسة واسعة للتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية، وستهيأ في المستقبل القريب أسباب طبعها إن شاء الله .

٢- مطالع الأفكار وتنوير الأبصار في علم المنطق لمؤلفه نافع الخفاجي التلباني .

٣- السر المكتوم والدر المنظوم في علوم المنطوق والمفهوم وهو كتاب في شرح جميع أنواع العلوم من فقه وأصول الدين وتوحيد وتفسير وتجويد وقراءات وعلم رواية الحديث وعلم دراية الحديث وأصول الفقه إلخ .

والكتاب ليس كاملاً كله ومن محتوياته أرجوزة في النكاح على مذهب أبي حنيفة وقد طبعها في كتاب مستقل وسماها: «نصيحة الإخوان» .

وهذا الكتاب فذ في نوعه فقد كتب في أسلوب مقامة أدبية، وكتابة العلوم بأسلوب أدبي يشرحها ويضيء جوانبها ويجعلها قريبة إلى العقل حبيبة إلى النفس مما لم يكن مألوفاً قبل هذا الكتاب .

ويقول في مقدمته: لما رأيت العلوم في يد الامتهان، وميدانها قد عطل من الرهان، وبواترها قد صدئت في أغمارها، وشعلها قد خمدت برمادها، عن لى أن أجمع هذه المقامة تحفة لكل أديب . وجعلتها ذكرى حبيب، وهي وإن كانت جزءاً صغيراً وشيئاً يسيراً، إلا أنه يرى على ما رواه تحت برديه، ويروى ظماً كل وارد عليه، قطف من أزهير الفنون كل مشموم بهي، وجمع من ثمار العلوم كل مطعموم شهى، وتحلى بفرائد العلوم الأدبية، وتحلى بنفائس الفنون الشرعية والعقلية، مع التحيل بأجمل حيلة على جمع فرائد الفوائد الجليلة في الأوراق القليلة، بشيء يحسن فيه جمع المتفرقات وإن كانت غير متناسبات، وتتألف به العلوم الشاردات وإن كانت متنافرات غير متوافقات . . وقد افتتحته بالعلوم الشرعية؛ وثنيته بالفنون العددية، وثلثته بالعلوم العربية ثم الفنون العقلية حتى فاقت على السبعين» .

والجزء الموجود عندي يحتوى على ثلاثة عشر فنّا من الفنون الشرعية، وسأوالى البحث عن باقى هذا الأمر الثمين، ولعلى أجده بفضل الله.

٤- كتاب «جواهر الكلم فى منظوم الأمثال والحكم» من جمع وتأليف نافع الخفاجى التلبانى، وهو كتاب ضخّم جدًّا ويقول فيه فى مقدمته:

«قد جمعت فى هذا الكتاب فصولاً جامعة لحكم منظومة ونوادير مأثورة معلومة صدرت من كلام من تقدم من العلماء والخطباء وسلف من البلغاء والحكماء ممن أشرقت بأسمائهم صفحات الزمان وطلعت من أقمار سماء الإحسان، فأخذت بمجامع الأفكار وعمرت بها مشاهد التذكّار، فصارت أنساً للسّمار ونزعة للأسماع والأبصار وقد أثبت منها فى هذا الكتاب مارق وراق وشحنت به الصحائف والأوراق من حكم مرفوعة وأمثال موضوعة»، ثم يتحدّث فى هذه المقدمة عن الشعر ومكانته وأثره، وحكمة رسول الله وبلاغتها ما روى منها، ثم يسرد بعد هذه المقدمة الطويلة ما روى من رائع الشعر فى الحكمة والمثل عن كثير من الشعراء مرتباً لها على حروف المعجم فى عدد ضخّم من الصفحات، وألم فيه ببعض من شعره هو، والكتاب ذخيرة أدبية ثمينة وسنشرح فى طبعه بإذن الله فى أقرب فرصة ممكنة.

٥- المقامة الخفاجية (أو التلبانية) المسماة بمروج الذهب ورياض الأدب لمؤلفها نافع الخفاجى التلبانى وهو مقامة ساحرة الأسلوب رائعة الديباجة ذكر فيها المناظرة التى كانت بينه وبين بعض الفقهاء أمام قاضى مركز السنبلاوين الشرعى، وصدرها بإهداء لهذا القاضى وكان صديقاً حميماً له، ثم ترجم لنفسه فيها ترجمة وافية ثم ذكر المناظرة فى بسط ومزيد تطويل وكيف انتصر على منافسيه جميعاً وتجلت للناس كافة سعة ثقافته وقوة عقله وقد ألفت بعد وفاة والده ١٢٩٤ ولا ندرى السنة التى ألفت فيها بالتحديد ويقول فى أولها فيما يقول:

«قد كنت وأدهم الشيبية طرب العنان، ورقها أخضر مائس الأفنان، أتجر فى بضاعة الأدب، فوردت سهل بحره الصافى وطالعت منه هامى العروض والقوافى، وكنت مغرماً بصيد الشوارد، وقيد الأوابد، واستنبت الفضائل،

واستنساخ أقوال الأماثل . ثم اتفق لى أن أشار إلى وأوماً لدى صدر المدرسين ومفيد الطالبين مولانا الشيخ محمد سيف الدين قاضى مركز السنبلاوين، أن أشنف سمعه الشاقب، بحلية أدب من الغرائب، وكان كثيراً ما يجاملنى بحسن المجاملة، ويعاملنى بلطف المؤانسة، فالتمس منى كتاباً فى الأدب يعذب ورداً ومنهلاً، قاصداً بذلك تنويه ذكرى، فأجبتة مطيعاً، ثم اتفق لى فى هذا الأوان أن سألنى من أمره مطاع لدى أن أملى جميع ما جرى لى بالمحكمة الشرعية الكبرى من المناظرات، وما حصل لدى من المجاورات، فتلقيت أمره بالامثال، وسلكت فيها طريقاً لم تسلك قبلى لوارد، وبسطت فيها غمطاً لم ينسجه ناسج ولا نحا نحوه قاصد، ورسمتها مقامة تعرب بحسن معانيها عن لطائف المعانى، وتفصح عن عذوبة السجع بما يفوق رنات المثانى، قد احتوت على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله وملح الآداب ونوادره، إلى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات، ورصفته فيها من الأمثال اللغوية واللطائف الأدبية والأحاجى النحوية والفتاوية اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحجرة، فهى حقيقة أن تكتب بسواد للعيون، وأن تشتري بنفائس الأرواح لا بنقد العيون» إلى آخر ما يقول . وهذا الوصف لهذه المقامة أقل فى الواقع مما تستحقه من إعجاب وتقدير، ومن ميزاتها .

أولاً: تحتوى على تاريخ للأسرة حتى عصر مؤلفها .

ثانياً: تحتوى على تاريخ لحياة هذا الرجل العظيم الذى ألفها .

ثالثاً: وهى بأسلوبها الأدبى الممتاز مثل فى البلاغة والبيان .

رابعاً: ثم هى بهذا الأسلوب الساحر تبسط قواعد العلوم الشرعية واللغوية والأدبية وتعرض كل ما عرضت له منها عرضاً يقبله الذوق وترتاح له النفس وتهش له المشاعر والوجدانات .

خامساً: احتواؤها على كثير من شعر المؤلف الخالد .

٦- المقامة السعفانية لمؤلفها نافع الجوهرى الخفاجى وهى أقل بكثير جداً من

حجم المقامة السابقة، وكلها هزل ممتع، وفكاهة بارعة، يقول فى أولها:

«حدثنا عجلان، عن أبي عطوان، عن أبي عيسى الهتان، عن ناظر الوسنان، عن أبي سعفان، عن أبي عيسى جوهرى الزمان، عن راح الروح والريحان، عن أبي ثعلبة بن ثعلبة، قال مررت يوماً على بلدة وريقة، خضراء نضرة أنيقة، يقال لها تلبانة عدى بن مضر، وإذا بها أربعة من الشبان، قد تحلى بألفاظهم فم الزمان، وتجلى بوجوههم ناظر الإنسان، وهم قيان على منابر الافتخار، بين من بها من الاقمار، فقلت لبعض من حضر: ما الخبر؟ فقال: إن بعض أصحاب المكاتب الأهلية، قد حضرت، وإن نواطق الألسنة التلبانية قد نظرت لما نضرت، واتفقت على عقد مجلس حافل، لاختيار من هو بأذان المسجد الجامع أحق وكافل، وها هي ذى أكابر المؤذنين قد صعدت المنابر، ليبدى كل إنسان حجته للناظر.

٧- رسالة فى التحليل وطلاق الثلاث والحرام وغير ذلك تأليف نافع الخفاجى التلبانى وتقع فى أكثر من خمسمائة صفحة.

٨- تهيج الأشواق فى حكم الخلع والطلاق تأليف نافع بن الجوهرى الخفاجى التلبانى. وهو غير كامل، والذى لدى منه أكثر من مائة صفحة.

٩- خطبة عيد الفطر لنافع الخفاجى وهى خطبة كبيرة.

١٠- مواعظ شرعية مجموعة ومرتبة على حروف المعجم جمع نافع الخفاجى.

١١- قصة الإسراء والمعراج لنافع الخفاجى.

١٢- المولد النبوى لنافع الخفاجى.

وهذه هى كل الكتب الموجودة عندى من مؤلفاته ويضاف إليها:

١٣- ديوان شعر نافع خفاجى وموجود لدى جزء كبير منه بعضه مجموع فى كراسة والبعض الآخر فى مسودات كثيرة.

١٤- كما يضاف إليها فتاواه الكثيرة الهائلة العدد ولدى العائلة كثير من الأوراق القديمة التى كتبت فيها هذه الفتاوى وهى فى حاجة إلى الجمع، ولكن ربما لا يتسنى

ذلك وستضيع هذه الفتاوى الثمينة كما ضاع الكثير من كتبه، فيكون مجموع الكتب المفقودة ثلاثة وأربعين كتاباً، وفي اعتقادي أن مؤلفاته لا تقل عن السبعين وهي ثروة علمية ضخمة تضع صاحبها في الرعيل الأول من جلة العلماء الخالدين.

وقد وصلني بعد ذلك مخطوطات أخرى من تأليفه.

جملة مؤلفات الخفاجي المخطوطة الموجودة في مكتبي:

- ١- رسالة تنوير الأذهان في علم البيان.
- ٢- مطالع الأفكار وتنوير الأبصار في علم المنطق.
- ٣- السر المكتوم والدر المنظوم في علوم المنطوق والمفهوم.
- ٤- جواهر الكلم في منظوم الأمثال والحكم.
- ٥- المقام الخفاجية أو التلبانية المسماة بمروج الذهب ورياض الأدب.
- ٦- المقامة السعفانية.
- ٧- رسالة في التحليل وطلاق الثلاث والحرام.
- ٨- تهيج الأشواق في حكم الخلع والطلاق.
- ٩- خطبة عيد الفطر، وخطبة عيد النحر.
- ١٠- مواعظ شعرية.
- ١١- قصة الإسراء والمعراج.
- ١٢- قصة المولد النبوي.
- ١٣- أجزاء من ديوان نافع الخفاجي الشعري، ومنها: الأجزاء ١ و ٢ و ٦ و ٩ و ١٠ و ١٥.
- ١٤- بعض فتاويه.
- ١٥- رسالة في علم المنطق.
- ١٦- رسالة الإعجاز في شيء من المسائل والألغاز. الجزء الأول والثاني والثالث.
- ١٧- مجموع المراثي الجزء الأول والثاني والثالث.

١٨- ديوان خطب نافع الخفاجى .

١٩- مجموع فى الميراث .

٢٠- الدر الثمين بشرح كثر الطالبين .

٢١- عنوان المكاتبه .

٢٢- جزء صغير من كتاب فى العروض .

كتب مفقودة لنافع الخفاجى :

فضائل شهر رمضان لنافع .

سيرة الأنبياء لنافع .

الغاز التاريخ لنافع .

مسائل التوحيد لنافع .

السيرة النبوية .

قواعد الحديث لنافع .

مناسك الحج لنافع .

الزهور الندية فى الدروس النحوية .

الإنشاء لنافع .

خواص الحيوان والنبات لنافع .

الجزء ٣ و ٤ و ٥ من أشعار نافع .

أشعار نافع .

الغزل لنافع .

جواهر الكلم فى الحكم لنافع .

رسالة الطلاق لنافع .

- مسائل الميراث لنافع .
- رسالة صوم يوم الشك لنافع .
- الحكم المبرم فى الفقه ومختصر الحكم .
- الكواكب الدرية فى المسائل الفقهية النافع .
- نفحات العطر فى زكاة الفطر .
- الفواكه الجنية فى القواعد النحوية لنافع فى النحو .
- مجموع العلوم لنافع .
- المسائل اللغوية لنافع .
- ألغاز القراءات لنافع .
- التحفة البهية فى القواعد النحوية .
- رسالة فى البيان لنافع .
- العقد الفريد لنافع .
- الرمل لنافع .
- لوامع الإشراف فى الأوقاف لنافع .
- إغاثة الملهوف فى علم الحروف لنافع .
- كشف الأحوال فى ترتيب الأعمال لنافع .
- البدر النوراني فى الطب الجسماني لنافع .
- الدرة المنتجة فى الأدعية المجربة لنافع .
- إغاثة اللفهان فى تسخير الجان لنافع .
- كفاية المهمات إلى قضاء الحاجات لنافع .
- الفيض الرباني فى العلم الروحاني لنافع .

- الكيمياء لنافع .
- لوامع الإشراف فى جلب الأرزاق لنافع .
- رسالة فى الميقات لنافع .
- فضائل رمضان لنافع .
- شرح الستين بخط أحمد نافع .
- السر المكتوم فى علم النجوم .
- كنز الطالبين ومعدن الراغبين فى علمى الفقه والتوحيد .
- تحفة الأدعية والأذكار .
- التاريخ لنافع .
- حكم وأمثال بخط لنافع .
- المفاكهات لنافع .
- الحكايات لنافع .
- الجغرافيا لنافع .
- المغامرات لنافع .
- الإفادات لنافع .
- الإعراضات لنافع .
- الفتاوى لنافع .
- عنوان المكاتب لنافع .
- قواعد الحديث لنافع .
- رسالة البسملة لنافع .
- الهجاء لنافع .

وأما مكتبة العلامة نافع الخفاجي فقد كانت مكتبة حافلة عامرة بالمخطوطات النفيسة، وكانت تبلغ ١٠٦٩٨ كتابًا ولكن أغلبها فقد في حريقين متتاليين في القرية والباقي بدد ولم يحافظ عليه، وكانت في حوزة خالي المرحوم العلامة الشيخ عبد اللطيف نافع الخفاجي.

شعره: نجد شعر هذا العالم الكبير في ثلاثة مصادر:

الأول: في ثنايا مؤلفاته الأدبية والعلمية.

الثاني: في أوراق كثيرة مهملة كانت محفوظة في مكتبته.

الثالث: في كراسة خاصة جمعها الفقيد الخالد من شعره بيده.

وشعره قسمان:

أ- الشعر العلمي ونرى الكثير منه في مقامته «السر المكتوم والدر المنظوم» في علوم المنظوم والمفهوم» ومن هذا الشعر أرجوزته المطبوعة «نصيحة الإخوان في أحكام النكاح على مذهب النعمان».

ب- الشعر الأدبي الوجداني وهو كثير.

صور من شعره

قال: من قصيدة طويلة مذكورة في صدر المقامة الخفاجية:

أبدا تلاحظني بعين عناد	مالى وللأيام ويح صروفها
منى ولم أظفر بنيل مرادى	واحسرتنا نال الزمان مراده
نشكو إليه حرارة الأكباد	لا مسمد يرجى ولا متوجع
في قدح نار الفهم مثل زنادى	سل مخبرات الشعر عنى هل رأيت
سبقت سوابقها إليك جياذى	لم تبق حلبة منطق إلا وقد
من خدر فكرك فى حلى الإنشاد	لله در خفاجة أبرزتها
حظ الكرام وخطة الأمجاد	حظ من النظم البديع أفادنى

وقال :

خليلي في تلبان هل أنتما ليا	على العهد أم غدا العهد باليا
وهل ذرفت يوم النوى مقتلنا كما	على كما أمسى وأصبح باكيًا
وهل أنا مذكور بخير لديكما	إذا ما جرى ذكر من كان نائيًا
ودون الذي رام العواذل صبوة	رمت بي في شعب الغرام المراميا
وقلب إذا ما البرق أومض موهنا	قدحت به زندا من الشوق واريا
خليلي إنى يوم طارقة النوى	شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
ولا تيأسا أن يجمع الله بيننا	كأحسن ما كنا عليه تصافيا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة	وقد عشت دهرًا لا أعد اللياليا
خليلي لا والله لا أملك الذي	قضى الله في ليلي ولا ما قضى ليا
وما لهم لا أحسن الله حالهم	من الحظ في تصريح ليلي حباليا

وبعد فشعر نافع الخفاجي كثير جيد رائع وهو في الصف الأول من شعراء عصره، وإنما لم تسر شاعريته ولا فضله لأنه أثر الحياة في هذه القرية النائية بعيدًا عن القاهرة الصاخبة، ولو أقام في العاصمة لكان العلم المفرد في عصره في كل ناحية من نواحي حياته العظيمة.

وبعد فهذا هو نافع الخفاجي في شبابه وطموحه، في دراسته الطويلة المستقصية، وفي تأليفه الجيدة الممتعة، وفي أدبه الساحر وشعره الرائع.

وقد رثاه ابنه العالم الكبير نافع الخفاجي بمرثية طويلة جدًا قال منها:

لو دام عيش بدنيا لما ذهب	منها مصابيح جود قد جلت ظلما
أو كان شهيم بها يبقى لما حزنت	لفقد شهيم تناهى جوده وسما
المحسن العارف البحر الذي اغترفت	منه العفاة وعادت لا تخاف ظما
من كان في ذروة الإحسان ذا شرف	وكم حوى من كمال واحتوى كرما

وكان ركنًا له يهدى المقال إذا
ومجلس الحكم منه فوقه هتفت
ما للزمان أراع المجد أجمعه
ما للزمان نواعى حسن معهده
استل من غمده بالقهر سيف علا
هو اللبيب الذى طابت مآثره
وذو عزة لو بأيدي الناس مقودها
مضى وأبقى لنا الذكر الجميل على
ولى شريفًا عفيف النفس طاهرها
يا ويح تلبانة من بعد ما وخذت
لو كنت شاهده والنعش يحمله
من للسياسة فينا بعد ما خسفت
من للألى شيدوا من عزمه نعمما
إلى آخر هذه المراثية الخالدة الطويلة البليغة^(١).



(١) المقامة الخفاجية.

نافع الخفاجى^(١)

حفيد العلامة نافع الخفاجى الكبير

هو العالم الشاعر الأديب نافع بن محمد بن نافع الخفاجى بن سليمان الخفاجى حفيد العالم الكبير الشيخ نافع الخفاجى الذى مرت ترجمته، وابن خالى الشيخ محمد بن نافع الخفاجى من أعيان الأسرة وأظهر شخصياتها، والدته آمنة طرباى من أقاربنا أسرة الطرباهية.

ولد فى يوم الجمعة ٢ شوال سنة ١٣٢٢، الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٤.

ثم تعلم الكتابة وحفظ القرآن الكريم وعكف على قراءة سير الأبطال كأبى زيد الهلالى وعنترة وغيرها فنشأ بطبعه شاعراً ناضجاً ملكات القريض.

وذهب إلى المعهد الأحمدي بطنطا سنة ١٩١٩ ليتعلم فيه وأخذ منه الابتدائية عام ١٩٣٢، ثم كان قد أنشئ فى ذلك الحين معهد الزقازيق فالتحق به، واستمر فى دراسته إلى أن أصيب بمرض عصبى عضال كان يحول بينه وبين المشى وحده فأخذ يعالج نفسه منه، ولكن العلاج لم يجد شيئاً، اللهم إلا فى تأخير زحف المرض على صحته، ثم أخذ الثانوية من الخارج من معهد الزقازيق عام سنة ١٩٢٨ الموافق سنة ١٣٤٦هـ ثم التحق بالقسم العالى بالأزهر ونال منه شهادة العالمية فى يونيو سنة ١٩٣٢ الموافق سنة ١٣٥١هـ.

وعاد العالم بعد ذلك فأقام بالقرية يطالع فى أسفار الأدب وينظم القريض ويعالج نفسه من مرضه العضال، ثم تزوج فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ ووافاه أجله

(١) ولد يوم الجمعة ٢ شوال هـ - ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٤.

وطلب للقرعة عام ١٩٢٣م وأعفى لأنه طالب علم، وفى عام ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م، نجح فى امتحان النقل من السنة الأولى إلى الثانية الثانوية بمعهد الزقازيق وترتيبه ٣٠ من ٥٩.

وفى عام ١٩٣٠م - ١٣٤٩هـ نجح فى امتحان النقل من الثانية إلى الثالثة بالقسم العالى وترتيبه ٨٩ من ٢٢٢، وفى عام ١٩٣١م - ١٣٥٠هـ نجح فى امتحان النقل من الثالثة إلى الرابعة بالقسم العالى وترتيبه ٥٤ من ١٣٨ - وفى صيف عام ١٩٣٢م نال العالمية من الأزهر.

وشيعت جنازته يوم الثلاثاء ٩ رجب ١٣٥٩هـ - ١٣ أغسطس ١٩٤٠.

المحتوم في ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٠ - الثلاثاء ٩ رجب سنة ١٣٥٩ هـ، فعليه
رحمة الله ورضوانه.

لشخصيته شاعريته:

إذا تركنا الجانب العلمي لشخصية المغفور له الخالد نافع الخفاجي، وجدنا أهم
مظهر في شخصيته هو الشاعرية الفذة الناضجة القوية الأسباب الوطيدة الملكات.

نماها في نفسه أثر الوراثة عن جده نافع الخفاجي الكبير، وقراءته وهو صغير
لهذه القصص الحماسية الكبيرة كسيرة أبو زيد وعنترة، ثم عكوفه على كتب الأدب
ومصادره الأولى ودواوين فحول الشعراء، نظم الشعر طفلاً، وكانت كل حياته
مظهراً لهذه الشاعرية الناضجة. كان مرضه يحول بينه وبين كل شيء إلا الشعر،
رسم فيه صورة لحياته التي كان يحياها، وعواطفه التي كانت تجيش بها نفسه،
عبراته التي كان يسكبها على آماله المحطمة، وصحته المكدودة. وستحدث عن
شعره في تفصيل بعد قليل.

شخصيته:

كان الفقيد المغفور له قوى الملكات، ناضج العقلية، واسع الثقافة، لا يغلب
على رأى، ولا تتلعثم في لسانه حجة، وكان قوى الحجاج شديد الجدل، كما كان
جذاب الشخصية، وديع النفس، بعيد التفكير، معتزلاً بنفسه ورأيه، يأبى أن تهان
كرامته، ويقف في سبيل ذلك مواقف العناد واللدجاج.

وكانت حياته كلها آلاماً وأحزاناً، بكى لمرضه، وبكى لآماله الذائبة، وبكى
لجسده المحطم، ويئس من الحياة، وأخذت أشباح الموت ترتسم في ذهنه وأمام
بصره، حتى هدت قوته وحطمت كيانه صحته، وخر صريعاً بيد الأمل.

شعره:

جمعت معه شعره الضخم كله في ديوان، ثم عرض عليه ناظر المدرسة مدرسة
تلبانة الإلزامية - وكان اسمه الشيخ عبد الباسط - أن يأخذ ديوانه لطبعه فأعطاه له،
وظل لديه أكثر من ثلاث سنين، ثم مات الفقيد، فأكرهه وادعى أنه فقد من المطبعة
التي سلمه إليها.

وعلى أية حال فققدان هذا الديوان الثمين لم يحل بينى وبين جمع كثير من أصول قصائده الشعرية، مما نشرته فى كتابى «بنو خفاجة» . . ومن شعره قوله يهنئ ابن عمه محمود عصر خفاجى بالليسانس:

أهلاً وسهلاً طالع ميمون	فليهنأ التشريع والقانون
فخر لمدرسة الحقوق وعزة	وفخارها بنجاحه مقرون
أوتيت سؤلك والعدالة ترنجى	قسا بشخصك للحقوق يبين
يا عبقرية للطروس يساره	ترجى وللأقلام منه يمين
فخر لأصل أنت بعض فروعه	دنياك وافت واطمأن الدين
شيدت مجداً فى ذرا الأهرام لم	يدركه رمسيس ولا أخناتون
لسواهم الأهرام والذكرى لهم	لكن جهدك بالخلود قمين
سر فى سبيل المجد فالتاريخ فى	صفحاته لك موضع مرهون
إن رمت تهتة فإنى عاجز	من ذا أهنىء لا أكاد أبين
أأهنىء الليسانس أن فازت به	أم رب حق حقه مكنون
ومن شعره كذلك هذه القصيدة:	

إلى الله شكواى لا للبشر	فمنه له المبتدأ والخبر
هو المرسل الضر وهو الذى	بقدرته أن يميظ الضرر
وما الناس؟ والناس كل له	لهيب شكاة تذيب الحجر
وما بلغ الناس ما أملوا	من الدهر والدهر جم الغير
يموت الفتى دون آماله	وكم أمل فى ثنايا الحفر
وما الأدباء وما الأغنياء	وكل له أمل ينتظر
ولكن أولئك قد صرحوا	وعى سواهم لهم قد ستر
وفرقهما أن آمال ذا	عظام وآمال ذا تحتقر

فذاك يرى الشمس من تحته
 وليس مصابى سوى أنى
 مصابى شبابى وعهد الصبا
 شباب يضيع كزهر الربيع
 كأن المحلق أصاب الهلال
 وقد كان مستقبلى زاهراً
 وما بى سوى مرض فى الفقار
 فأفقدنى كل مستمتع
 مناطق مخى منهوكة
 سألت الطبيب فلم يغنى
 وقال (انكسيك) موروثة
 فقلت العلاج فقال الدواء
 فلو شاء ربك تم الشفاء
 فيارب لم يبق لى ملجأ
 سئمت المحاقن والكهرباء
 وعفت التجارب والفحص فى
 وها وقف الداء عن سييره
 ومن شعره قصيدته فى شكوى الزمان، وها هى ذى :
 وأواه من عثرات الحظ أواه
 والحظ ما شاء قد شاء الله
 لا الحزن يجدى ولا حظى يساعفنى
 ولا الزمان رفيق فى سجاياه
 أرزاء شتى إذا ما خلت أصغرها
 مضى أرى ضعفه يحتل مأواه

تترى دراكًا كطير طاب موردها
يلج صرف الليالى فى معاكستى
خطوب دهرى لا تنفك تذكرنى
فالحزن والسهل فى سبرى سواسية
كلما قلت لما استحكمت فرجت
إن غاب عنى شقاء جاء مصطحبًا
ما حيلتى وهى الدنيا وسلطتها
نصيب كل امرئ فى عكس همته
ورب ذى عزمة تنبو مضاربه
ونابه النفس سوء الحظ أخمده
وكم حريص له من علمه صفة
هى المقادير لا سعى ولا كسل
انظر إلى قطع الشطرنج إذ نحتت
كم بيدق مات لم يذنب وصاحبه
كذلك الكون لم تعلم عواقبه
الدهر علمنى الشكوى فقامت بها
أشكو الزمان وفى الشكوى رفاهية
تنفس الصعد تفريج ذى حرج
القدر منفجر لولا تبخره
فالقلب من حطب والبؤس من لهب
الهم يثقل والشكوى تخففه
فزاد وارده شوقًا لمرعاه
كأنما أنا وحدى كل أعداه
بعطفها ذكر مجنون لليلاه
والليل والبوم فى الظلماء أشباه
أرى قشيب شقاء كنت أنساه
إخوانه ليقيموا فى رعاياه
أى امرئ نال منها ما تمناه
ورفع كفة وزن خفض أخراه
وطائش السهم أصمى الحظ مرماه
وخامل القدر حسن الحظ رقاه
وكم كسول له من جهله جاه
وكل ذى قدر لا بد يلقاه
ماذا أتى الشاه حتى إنه شاه
سما مسوقًا ولم يعمل لمرقاه
وليس يعلم ساع غب مسعاه
طوعًا وكرهًا وخير العلم أفشاه
وما علاج شقى غير شكواه
والضيق يفتح من ذى ضيقة فاه
والقلب منفطر لولا شكواه
وفى الشكاة لنار الهم أمواه
ففقد ترى سامعًا يؤتيك جدواه

إن لم أجد صاحبًا فالليل يؤنسني
 ورب سامع شكوى شامت فرح
 ولا أرى مخلصًا في الضيق يسعدني
 طبائع الناس شر لا يفارقهم
 لو نالني الشر منهم كنت عاذرهم
 إن يجهلوا خاصموا أو يعلموا نقدوا
 فالكل للكل أعداء وعنصرهم
 مهما أحبوا فحب الذات رائد هم
 وهكذا الناس عباد لأنفسهم
 لولا حوائجهم ما ألهموا أحدًا
 هم والوحوش سواء لا يميزهم
 مع التمددين والقانون أنفسهم
 كل له غرض تخفيه طينته
 الخير يخدع في معسول منطقته
 لو شف صدر جميل عن دخائله
 لو أخطأ الشر إنسانًا ولم يره
 وما أبرئ نفسي إنني بشر
 صدرى لضدين من جيشين معترض
 لكن نفسي صفت من طول ما رزقت
 وما رأيت كمثل الصبر عاقبة
 لسوف أصبر حتى لا أعى أملا
 نجومه ودياجيه وإصفاه
 وذى ملال يربنى غير نجواه
 ولا غنى لى عمن لست أهواه
 والخير كسب لبان الفكر غذاه
 وإن أتى الخير قلت للطرف هياه
 ويظنون بلؤم ضد ما فاهوا
 به أنانية فى بدء مسبناه
 وعبرة الحب برهان بمغزاه
 كل يرى الغير عبدًا وهو مولاه
 أدنى الأنام من الإلحاد أغناه
 إلا عقول وتقديم وأفواه
 شتى وكل له فى العيش أهواه
 ولو درى خلد ما فيه جافاه
 والشر يكمن فى داجى حناياه
 لشوهت نفسه ما فى محياه
 فسله وحيا فما جبريل إلا وهو
 النفس تأمره والروح تنهاه
 ما يرض هذا فهذا ليس يرضاه
 حتى رأت كل ما يسطاع مرآه
 فالمر أوله والخلو عقباه
 وليبق لى أملى وليرحم الله

كلمة أخيرة:

وبعد فهذا بعض من نتاج شاعرية هذا العالم الفذ والشاعر المبدع، وإنتاجه الشعري كله سحر وروعة وإبداع، وفيه عاطفة وقوة إلهام وحسن تصوير وعمق فكرة، وهو بين الأدب العربي أدب خالد سائر، وسيجيء اليوم الذى ينشر فيه ديوان الشاعر كاملاً ليضعه شعره فى مكانته الخليق بها بين شعراء العربية الخالدين.

لقد نقلت من شعره بعضاً مما يصور لنا جوانب حياته ونواحي شخصيته، ومما يرسم لنا صورة واضحة عن شاعريته وفنه الأدبي.

وأكتفى بهذا على أن أعود فى المستقبل القريب للكتابة عن هذا الشاعر الفذ فى كتاب مستقل بعد أن ننشر على جمهور العربية ما بقى لدينا من شعره ومحاسن قريضه.

ولقد كان الفقيه زميل الشاعر البليغ الأستاذ محمد الأسمر فى الدراسة، واطلعت على عدة خطابات أرسلها الأستاذ الأسمر له توضح له ما كان بينهما من صداقة وزمالة^(١).

فرحمه الله وخلد ذكره، ولقاه فى الآخرة من الثواب وحسن الجزاء ما هو أهل له، وفى الدنيا من الذكر والخلود ما هو به جدير.

وهذه هى نص كلمة الرثاء التى ألقيتها على قبره يوم وفاته.

عقد الخطب اللسان، وعى لهول المصاب البيان، وارتاع لهذا الرزء الفادح الجنان، وأى رزء هو!!

لقد انطفأ المصباح الهادى، وخبا النبراس المنير، وذهب بالرجل أجله، ولقد كان يسير به أمله، إلى ضيق القبر، وفسحة الأجر والنعيم.

ذهبنا به فى ربيع الحياة إلى أرض حافلة بالعبر والعبرات، أهلة بالعظات والذكريات، فأودعناه فى حمى آمن، يستبشر به المتقون، ويأس فيه من رحمة الله

(١) من هذه الخطابات خطاب من الأستاذ الأسمر يقول له: عزيزى الأستاذ الشاعر الشيخ نافع الخفاجى.

«يسرنى أن يكون فى الأزهر أديب مثلك، لست أهلاً لهذا الثناء الذى صنعتته قلائد لا أرى جيدى جديراً بها، متعك الله بكل ما تحب وترضى ومهد لك سبيل سعادتك»، الأسمر.

القائظون، ثم عدنا بالدموع والذكرى، فاجتمعنا فى هذا الجمع نحى ذكرى
الفقيد، وبأى شىء نحى ذكراه؟

لقد كان شاعراً وأديباً وشاعراً، فحرى بنا أن نستمد من ذكراه العظة البالغة،
وخليق بنا أن نذكره لعلمه وأدبه إن لم نذكره لحسبه ونسبه.

لقد عاش الفقيد مجاهداً فشقى بعذاب الجهاد فى حياته، جاهد أول شبابه فى
سبيل آماله الواسعة، وأمانيه الكبيرة، ثم جاهد بعد ذلك آلام الحياة التى لاحقتة
وحالفتة وسارت به إلى أجله المحتوم، فما أروع جهاداً وما أعظمه مجاهداً، وما
أسعده بأجر الجهاد.

لقد كان الفقيد يستمد علمه وأدبه من عقلية واسعة، وذهن ثاقب، أكثر مما كان
يستمد من اطلاع واسع، ودراسة مضيئة، وكان ينظم الشعر بملكة صناع، وروح
مبدعة، ويعرضه فى أسلوب جميل وديباجة مشرقة، ظلت تلازم أدبه. حتى
وهنت صحته، وهوى أمله، فدبت إليها روح الضعف، كما دبت فى نفسه روح
اليأس والقنوط، وعلى حين غفلة سكت الشاعر البليغ، وذهب العالم العبقرى إلى
عالم الأبدية، ودنيا الخلود. فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً.

وهذه قصيدة من غر قصائده نشبتها هنا، قال:

ذهبت ومن رام المعالى يذهب	وأبت ولم أظفر بما أتطلب
سعت إلى العلياء غاية طاقتى	ورحت إلى أفلاكها أتوئب
سبحت على بحر المجرة ماخرأ	عباباً من الآمال أطفو وأرسب
رصدت السهى حيناً فأبصرت طالعى	جميلاً ولكن فيه سر محجب
فيا طالعى بالله هل من هناة	تألق لى أم أن برقك خلب
وهل مطمئن أنت أم أنت خائف	تفر من النحس البغيض وتهرب
وهل لى إلى النعمى سبيل موصل	وهل لى من البؤسى مناص ومهرب
أتسعدنى الآمال بعد مطالها	ويدنو من الآمال ما أترقب

إزاء شقائي مطعم الصاب كالجنى
ولو لم أصادف سوء حظى وشؤمه
يسمونه حظًا وجدًا وطالعًا
مقادير شتى والمقدر واحد
له المثل الأعلى وفى كل ذرة
هنالك شيء كل فكر يمسسه
هو الله سماه الطبيعى قوة
ومن شأنه فينا الظهور بفيضه
أأجهل روحى ثم أعلم ربها
سننظر وجه الله فى الخلد ظاهرًا
نراه بإحساس بديع مخصص
هنالك يبدو كل حسن مذمما
عن المثل والأضداد جل جلاله
وما الكون إلا ذرة فوق ذرة
فكل بكل فى نظام مدبر
بدائع إحكام وإتقان صانع
تمنيت موتًا ليس فيه جهنم
وكيف حياة المرء ناء بعبئه
وكيف حياة المرء عى طبيبه
برمت بآمالى وعفت تجلدى
ولو نلت من عين العناية نظرة

ونور نهارى من مشاكبه غيهب
لعلت سعيدًا لم يضق بى مذهب
وأما المسمى فالقضاء المغيب
مشيئته كالسيف بل هى أثقب
من الكون سر بالتأله يعرب
ويلمسه الوحشى والمتهذب
وطبعًا وفى علم الأثير ترب
وآثاره والشأن فىنا التعجب
ضلال غريب والتشبت أغرب
كما هو يجلوه الجلال فنطرب
يطيب خيالًا والتحقق أطيب
وكل ارتياح غير ذلك متعب
وراجى سوى التوفيق منه مخيب
سماء وأفلاك وأرض وكوكب
جماد وحى كل شيء مرتب
فسبحانك اللهم أنت المحجب
والأفعيشا لست فيه أعذب
وجمر الأسى فى صدره يتلهب
وأعضله الداء العقام العصوصب
ومل جليسى ما أقول وأكتب
فما مر بى عذب وما بعد أعذب

الشيخ حسنين محمد مخلوف.. الفكر والعطاء

تاريخ الوطن من تاريخ أعلامه وأبرز شخصياته، فهم من صنعوا أحداثه وشاركوا في صنع أحداث أخرى أهمها على الإطلاق. بناء الفكر وتأسيس العقول امتداد لمن سبقوهم في العطاء بكل ما يثرى الفكر والوجدان، وإرساء المعارف الإنسانية والقيم الدينية والعلمية والأدبية.. إلخ، بما يضيف إلى الرصيد الإنساني ما يؤسس لحاجة الأجيال التالية لهم من علوم ومعارف تضع أقدامهم على الطريق الصحيح لتواصل العطاء، دون الوقوف على مستوى معين من الشخصيات فتتأصل المعلومات عنهم حين يتناولهم الباحثون بكتاباتهم في المجالات كافة.

وفي المجال الديني يبرز فضيلة شيخنا الجليل حسنين محمد مخلوف -رحمه الله- بفكره المستنير، الذي غطى أنحاء العالم الإسلامي طوال القرن العشرين.

ولد رحمه الله -يوم الأربعاء ١٨ رمضان ١٣٠٧هـ- ٦ مايو ١٨٩٠م بالقاهرة وفي سن السادسة ألقاه والده، بكتاب حفظ القرآن الكريم ليتم حفظه وهو في العاشرة من عمره، وتلقى العلوم الشرعية والعربية على أيدي كبار علمائها في الأزهر الشريف، حتى نال «العالمية» من مدرسة القضاء الشرعي عام ١٣٣٢هـ- ١٩١٤م وعين مدرّساً بالأزهر ثم قاضياً في المحاكم الشرعية، وتدرج في وظائف القضاء حتى أصبح رئيساً لمحكمة الإسكندرية عام ١٣٥٩هـ- ١٩٤١م ثم رئيساً للتفتيش الشرعي بوزارة العدل عام ١٣٦٠هـ- ١٩٤٢م، ثم نائباً لرئيس المحكمة الشرعية العليا عام ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م وخلال تلك الفترة ساهم في التنظيم الإداري والفقهى بالمشاركة في سن القوانين وأهمها: قانون الأحوال الشخصية. وفي عام ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م عين مفتياً للديار المصرية، واختير عضواً في هيئة كبار علماء الأزهر عام ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م، وفي عام ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م اختير رئيساً للجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وفي عام ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م أعيد تعيينه ثانية مفتياً للديار المصرية حتى عام ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م وإلى جانب ذلك كان -رحمه الله- عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ورئيساً لجمعية النهوض بالدعوة

الإسلامية بالقاهرة، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة.

* أدى -رحمه الله- دوراً بارزاً فى مجال التعليم الإسلامى ومحاربة البدع والخرافات، وبعد النظر فى تراثنا الإسلامى للوقوف على حقائقه من أهم ملامحه الفكرية: «ودفع الضلالات من حول الأحكام الإسلامية وحماية المسلمين من الشبهات»، ومؤكداً: «أن جهل بعض المسلمين بحقائق الإسلام يعطى الفرصة لأعداء الإسلام للكيد والنيل منه». و«أن العالم الحق المتين هو الذى يرفع صوته ويجمع قواه لتأييد الدعوة الإسلامية فى كل مكان وزمان ولا يبالى اعتراضاً».

تلك بعض من أقوال فضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف -رحمه الله- العالم العلم الذى نشأ وتربى على المقومات السامية للإسلام الحنيف فى مواجهة تعدد المشكلات والأفكار والأخطار التى تحيط بالعالم الإسلامى، والناجمة عن التيارات العالمية المتلاحقة والمتصارعة، التى تبحث عن مصالحها وغاياتها فقط حتى وإن تطلب الأمر: مضاعفة تدبير المؤامرات، ونهب الثروات، والاعتداء على الحرمات، والسيطرة على أفكارنا ومواردنا وأسسنا الثقافية والدينية والتعليمية: إنهاكا لقوانا، وسحقا لهويتنا وتضخيماً لخلافاتنا، وهو ما يلقي بتبعات ضخمة، وأعباء ثقيلة على القائمين بأمور الدعوة الإسلامية لإجلاء عتمة الرؤية والضبابية التى ينظر بها الغرب للدين الإسلامى ومعتنقيه، وذلك بالانطلاق من ركائز الحضارة الإسلامية التى اتسمت بالشمول: فكانت حضارة متكاملة غدت الفكر البشرى، ومنحته سبق الريادة فى دفع خطى الإنسانية إلى الأمام مع استيعاب واع وعميق لكل الحضارات الأخرى. وقد شغل هذا النهج جانباً كبيراً من فكر فضيلة الشيخ حسين مخلوف والذى تركز فى:

* البحث فيما يجب تقديمه للأمة الإسلامية لإعلاء رسالتها، واعادتها لسيرتها الأولى وهجر كل ما يخالف ثوابت الشريعة فى القرآن الكريم والسنة النبوية، وتجميع القوى الإسلامية: من فرق وجماعات، ومنابر دعوية على هدف واحد غايته: وحدة الأمة، والوقوف صفا واحداً أمام محاولات النيل من كل ما هو إسلامى.

* التمسك بتراث الأمة الإسلامى، ومنع الضلالات، ومحاربة البدع والمنكرات التى تخالف دين الإسلام وأحكامه الفقهية: حماية للمسلمين من الشبهات التى تحمل مسميات عديدة فى هذه الأزمان، يختفى وراءها من يكيدون للإسلام والمسلمين.

* إبراز الدور الكبير للداعية الإسلامى فى خدمة الشريعة السمحاء، والعمل على توفير المقومات المادية والتقنيات الحديثة لعناصر الدعوة ورجالها ممن صدق فيهم قول الحق -تبارك وتعالى: ﴿...صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ [الأحزاب: ٢٣] وقوله -جل فى علاه: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

* دعوة جماعات المسلمين عامة إلى تنفيذ أمر الله تعالى: بالاعتصام بالقرآن الكريم وهجر ما ينافيه ويخالف أوامره، خاصة وقد أمر الحق -سبحانه وتعالى بعدم التطرف والاختلاف والتنازع والخصومات، والحروب بين المسلمين، وفى هذا قال الحق -تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] نهيا عن التفرق وأمرًا بالإجماع على مصلحة وعزة الإسلام، وأمره بالشورى وتبادل الرأى بين المسلمين من أجل تحقيق مصلحة وعزة الإسلام والمسلمين فى كل مكان، وقول الحق -تبارك وتعالى فى ذلك: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، والتى خص بها الحق سورة فى القرآن: «الشورى» مع مراعاة أن يكون التشاور بين الحاذقين فى معرفة ما جاء فى الكتاب والسنة، ونبه -رحمه الله- إلى أنه: «لا يجوز أن يتشاور فى أمور المسلمين من لا علم لهم بالإسلام، أو من عرف عنهم الضلال والكراهية للمسلمين أو للإسلام وأحكامه».

وأمر القرآن الكريم أيضًا بعدم اتخاذ الأصدقاء أو التماس العون من أعداء الإسلام حيث قال الحق -تبارك وتعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] فهم لا يعملون إلا على بث سموم الفرقة وإشعال نار الحروب بين المسلمين، وعلينا أن نكون بصراء بأمورنا، وألا ننخدع بما يظهره لنا أعداء الإسلام من تعاطف وتراحم كى يستتر أمرهم.

وبتلك الرؤى الثاقبة عاش الشيخ حسنين مخلوف -رحمه الله- مبرزاً آثار الإسلام فى تقدم الفرد والمجتمع، ودافع ببسالة عن حقوق المسلمين خلال أسفاره العديدة إلى الكثير من البلدان: داعياً إلى الله، ومشاركاً مع إخوانه العلماء وجهودهم لتحقيق الخير لعامة المسلمين. ولم تشغله أعماله الإدارية عن البحوث والإنتاج العلمى والفكرى، فضلاً عن مشاركاته فى تأسيس اللبئات الأولى للهيئات الإسلامية القيادية على مستوى العالم الإسلامى.

«عطاءاته للمكتبة الإسلامية».

تأليفاً:

* القرآن الكريم بالرسم العثمانى وبهامشه كلمات القرآن، الزرقاء، مكتبة المنار، د.ت.

* حكم الشريعة الإسلامية فى مآتم ليلة الأربعين وفيما يعملها الأحياء للأموات من الطاعات، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

* المرأة فى الإسلام، القاهرة، دار الأنصار، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

* المواريث فى الشريعة الإسلامية، جدة، دار المدنى، د.ت.

* بداية الداعية، القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

* صفوة البيان لمعانى القرآن، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

* فتاوى شرعية وبحوث إسلامية، القاهرة، دار الاعتصام، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

* كلمات القرآن، القاهرة، مؤسسة الخليج العربى، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

* الإسلام بين الشرق والغرب، الكويت، مجلة النور ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

* البيان الإسلامى، الرباط الراية: ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م وغيرهما ككتاب آداب

تلاوة القرآن وسماعه، ورسالة عقيدة الإسلام للإمام الحداد، و«شرح جالية الكدر بنظم أسماء أهل بدر» و«الحصن الحصين للإمام ابن الجذرى». تحقيقًا:

- * عنوان البيان فى علوم التبيان القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
 - * بلوغ السؤل فى علم الأصول، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
 - * الفتاوى الكبرى، بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
 - * شرح الشفا للقاضى عياض، وغيرهما مما أفاض به من عطائه الفكرى، الذى أثرى به المكتبة الإسلامية والعربية.
- تكريمه مصريًا وعربيًا

تقديرًا لما قدمه شيخنا الجليل حسنين محمد مخلوف -رحمه الله- كرمته مصر: فمنحته جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وكسوة التشرىفة العلمية من الدرجة الأولى مرتين: الأولى وهو رئيس محكمة طنطا، والثانية وهو مفتى للديار المصرية.

* ونال فضيلته -رحمه الله- جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م بالاشتراك مع سمو الأمير تنكو عبد الرحمن أول رئيس لوزراء ماليزيا: ١٣٢٠ - ١٤١٠هـ - ١٩٠٣ - ١٩٩٠م، وكما حصل على الجائزة على عام واحد شاءت إرادة الله ولا راد لمشيئته أن يرحل فى عام واحد أيضًا ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

* وفى يوم الأحد ١٩ رمضان ١٤١٠هـ - ١٤ أبريل ١٩٩٠م رحل إلى دار الخلود فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف فشيعة العالم الإسلامى بعلمائه وأعلامه ومسلميه على امتداد البسيطة لما غمرهم به من فكر وعلم وعطاء.

وفى ذكرى ميلاده ورحيله نزجى لروحه الطاهرة هذه الإطلالة: وفاء وإعزازا وتقديرًا لعلم من نبت أرض مصر الغالية الطاهرة «حماها الله»^(١).

(١) صوت الأزهري: عبد المقصود السعيد عبد المقصود عدد ٢٠/٧/٢٠٠٧م.

موسى شاهين لاشين.. فارس الحديث وعلومه من المحبرة إلى المقبرة

فى قرية أسنيت مركز بنها بمحافظة القليوبية فى السادس من أبريل عام ١٩٢٠م كان مبتداه، وعلى فراش المرض بمنزله الكائن بمدينة نصر بمحافظة القاهرة فى السادس من يناير عام ٢٠٠٩م كان منتهاه عن عمر يناهز تسعة وثمانين عاماً.

إنه العالم العامل الثبت والأديب اللوذعى، والفارس الأول للمركز الدولى للسيرة والسنة بوزارة الأوقاف المصرية، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومجمع البحوث الإسلامية أيضاً - المترجم له الشيخ الدكتور موسى شاهين لاشين رحمه الله رحمة واسعة.

كان دائرة معارف تمشى على قدمين، هو البحر ما له من شاطئتين، كان جل همه الانتصار للقرآن والسنة بصفة خاصة، وللشريعة الإسلامية بصفة عامة حتى آخر رمق فى حياته.

محدثاً متمكناً، ومفكراً لا يبارى، ومثقفا ثقافة إسلامية وعربية عالية ومتنوعة، قدم النصيح خالصا للرأى والرعية على سواء، وتصدى لأصحاب الفكر الشارد عن الإسلام بشجاعة العالم مهما تكبد من معاناة، وكياسة الفطن لبواطن الأمور، لأن طبيعته ترفض الباطل - أى باطل - ولعل ذلك من مفاتيح شخصيته رحمه الله.

نشأ عالمنا الدكتور موسى شاهين لاشين فى أسرة مستورة الحال، وحفظ القرآن الكريم كعادة أبناء القرى المصرية فى كتاب القرية (مكتب سيد سالم الذى كان جداً له من جهة أمه)، وتولاه بالحفظ أخوه الأكبر جودة.

سلك شيخنا سنوات التعليم بالمعاهد الأزهرية، وكان أول طالب يدرس فى الأزهر من هذه القرية (بعد خال له أخذ الابتدائية من معهد طنطا) إلى أن حصل على شهادة الثانوية الأزهرية التى أهله للالتحاق بكلية أصول الدين فحصل على الشهادة العالية (الليسانس) من كلية أصول الدين عام ١٩٤٦م، كما حصل على شهادة العالية مع إجازة التدريس (الماجستير) من كلية اللغة العربية عام ١٩٤٨م،

كما حصل على شهادة العالمية (الدكتوراه) في التفسير والحديث من كلية أصول الدين عام ١٩٦٥م، اختارته إدارة المعاهد الأزهرية مدرّساً للتفسير والحديث لمدة عشرين عاماً تقريباً (١٩٤٨-١٩٦٥م)، وتقديراً لعلمه الوفير اختارته جامعة الأزهر مدرّساً بقسم الحديث بكلية أصول الدين منذ عام ١٩٦٥م، وتدرّج في سلك الجامعة أستاذاً مساعداً للتفسير والحديث (١٩٧١-١٩٧٦م)، وأستاذاً ورئيساً لقسم الحديث ١٩٧٦م، وعميداً لكلية (١٩٧٩-١٩٨٢م)، وتقديراً لمكانته العلمية عين رئيساً للجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة في أقسام التفسير والحديث والدعوة (١٩٧٧-١٩٨٤م)، وفي ١٩٧٩م تقلد منصب نائب رئيس جامعة الأزهر للدراسات العليا والبحوث بالانتداب، كما تقلد منصب رئيس المركز الدولي للسيرة والسنة بالمركز الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف منذ عام ١٩٩٤م حتى وفاته.

وفي أثناء عمله بالمعاهد الأزهرية والجامعة أدير للتدريس بكل من الدول العربية الشقيقة: الكويت، السعودية، ليبيا، الصومال، قطر.

من مفاتيح شخصيته التي تميز عالمنا بها: الصبر الجميل على المكاره نجد ذلك عندما احتسب عند الله تعالى زوجته الأولى مع كريمته العروس الشابة في حادث أليم، ومن قبل عندما احتسب في حياته ثلاثة من أبنائه وبناته وهم في مقتبل عمرهم.

كما أن من مفاتيح شخصيته استثمار الوقت حتى في لحظات المرض المؤلمة نجد ذلك عندما نقل مكتبه فوق فراش المرض ليسهل عليه التفرغ للاطلاع والتأليف.

ومن مفاتيح شخصيته أيضاً تمتعه بحب كوكبة عامرة من عارفي فضله من أساتذته وزملائه وتلاميذه من أمثال: الشيخ إبراهيم زيدان رحمه الله (الذي زوجه كريمته)، والدكتور محمد رشاد خليفة رحمه الله (الذي زوج ابنه لإحدى كريمات الفقيد)، والشيخ محمد متولى الشعراوى، والدكتور الحسينى هاشم، والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق، والشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق، والدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الحالى، والدكتور الأحمدي أبو النور، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور عبد الفضيل القوصي، والدكتور عبد المعطى بيومي، والدكتور مصطفى أبو عمارة، والدكتور عاطف أمان، والدكتور مروان شاهين، والدكتور البهى قرقر، والشيخ مازن السرساوى، وغيرهم الكثير والكثير.

كان فقيدنا لا يعرف تضييع الأوقات، لذا كان من أهم جهوده قيامه بالتخطيط لمشروع موسوعة السنة (تخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها بالصحة أو الحسن أو الضعف بمنهج علمي دقيق) فقد ابتكر هذا المنهج لطلابه في جامعة الأزهر ودرجوا عليه إلى وقتنا الحاضر في إعداد رسائلهم للماجستير والدكتوراه، وظل طوال حياته يتابع نجاح هذا المنهج ويشرف عليه مع أقرانه وتلاميذه في إعداد الرسائل الجامعية منذ عام ١٩٧٦م حتى وفاته، فخرج منه العديد من المجلدات في جامعة الأزهر الشريف، كما أشرف وناقش أكثر من مائتي رسالة ماجستير ودكتوراه في جامعة الأزهر والإسكندرية بمصر، وأم القرى والإمام محمد بن سعود بالسعودية، وأم درمان بالسودان، كما شارك في ترقية أكثر من خمسين أستاذاً في الحديث والتفسير والدعوة بالجامعات المصرية والسودانية والسعودية والإماراتية، فضلاً عن قيامه بالتدريس والمحاضرات لطلبة الدراسات العليا بمصر والسعودية وليبيا وقطر على مدى ثلاثين عاماً، كما شارك في تصحيح المفاهيم المغلوطة ونشر الدعوة الإسلامية في الإذاعات المرئية والمسموعة بنحو ألف حلقة في مصر، ونحو خمسمائة حلقة في قطر، وخمسين حلقة بالسعودية، وعشرين حلقة بالإذاعة البريطانية، كما أثنى الصحافة العربية والإسلامية بما يزيد على ألف فتوى وخمسين مقالة ورد علمي في صحافة مصر، وعشر مقالات في صحافة قطر، ونحو خمس مقالات في صحافة السعودية، كما سد فراغاً كبيراً بالمكتبة الإسلامية بمؤلفات متميزة في مجالي التفسير والحديث، منها: تيسير تفسير النسفى في تفسير القرآن الكريم (خمس عشرة جزءاً) والذي درس لطلاب المعاهد الأزهرية لحقبة طويلة من الزمن، وقد لاقى رواجاً كبيراً لدى الأساتذة والطلاب بها، واللائي الحسان على علوم القرآن، والمنهل الحديث في شرح أحاديث البخارى (أربعة أجزاء) والذي يتهاافت عليه جموع الطلاب بمن فيهم طلاب الجمعيات الشرعية والأهلية بمصر، وفتح المنعم في شرح صحيح مسلم (عشرة مجلدات) وهو المؤلف الذى قضى فى إعدادة حوالى ربع قرن من عمره، والذي يعد من أكبر وأعظم مؤلف من مؤلفات شيخنا الجليل، وتحقيق وتعليق صحيح مسلم فى (خمس مجلدات) بالاشتراك مع تلميذه الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، وتيسير

البخارى (ثلاثة مجلدات) وصحيح البخارى فى نظم جديد (أربعة مجلدات)، وقصص من الحديث النبوى (مجلدان) بالاشتراك مع كريمته الدكتورة أمانى موسى لاشين والدكتورة حصة السويدى من قطر، والموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية (إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية)، وعلوم الحديث (جزء واحد)، وبحوث عديدة منها: السنة والتشريع، والسنة كلها تشريع، والحصون المنبعة للدفاع عن الشريعة، وكان خاتمة المطاف كتابه: تجديد الدين.

من مؤلفاته المخطوطة:

ومن مؤلفاته المخطوطة قيد الطبع: السلسيل الجارى فى شرح صحيح البخارى، وتيسير معانى القرآن الكريم مع المصحف الشريف، والمبسوط فى مصطلح الحديث، وحصادى الإعلامى، وغير ذلك مما تركه الشيخ رحمه الله.

عرض موجز لكتابه: الحصون المنبعة للدفاع عن الشريعة.

وقد حوى هذا الكتاب المطبوع ردوده على الأفكار المغلوطة فى بعض الصحف اليومية والمجلات الشهرية من ذلك مناقشته لفكر جماعة التكفير والهجرة والجماعات الإسلامية الأخرى، وزعماء حزب التجمع حول الفرق بين الإسلام والشيوعية، كما ناقش الأديب توفيق الحكيم حول أدب مخاطبة المولى عز وجل، كما تناول الرد على القائلين بتحديد ربح القرض، والساخرين من ثواب ليلة القدر، والميحيين لنقل الأعضاء بالبيع أو التبرع بها أو الوصيلة بها، والمعترضين على الإفاضة فى تفسير القرآن الكريم، والمدعين بحق الاجتهاد فى الدين من غير المتخصصين فيه ولو خالفوا فى ذلك الكتاب والسنة، ومن ادعى أن أحاديث المعاملات من اجتهاد النبى محمد ﷺ وليست للتشريع أو من بابه، كما أن الأحاديث النبوية المتعلقة بالأكل والشرب واللباس والنوم ليست تشريعاً وليست مصدراً للتشريع، ومن ادعى أن العين والحسد لا حقيقة لهما، وأن كل ما ورد فيهما من القرآن والسنة قابل للتأويل، كما كان له دور بارز وشجاع فى كشف مثالب قانون الأحوال الشخصية لسنة ١٩٧٩م، لمخالفته للشريعة الإسلامية مما أدى به إلى فقد مناصب رفيعة بالأزهر والحرمان منها، وقد قضت المحكمة الدستورية

ببطلانه بناء على نقده العلمى والشرعى لمثالب هذا القانون، كما كان له دور كبير فى الرد على القرآنيين الذين يأخذون بالقرآن دون السنة مع أن السنة فى الحقيقة هى المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم الموضحة لمبهمه والمفسرة لمجمله، ومنكرها منكر للقرآن الكريم تبعاً لذلك.

من مظاهر التقدير التى حظى بها.

من مظاهر التقدير التى حظى بها: حصوله على جائزة الأوائل طوال سنوات الدراسة بالمعاهد الأزهرية، وجائزة عيد العلم لحصوله بنجاح على مراتب الشرف طوال سنوات الدراسة بالجامعة وذلك عام ١٩٦٤م، وحصوله على درع وزارة الداخلية وشهادة تقدير منها عام ١٩٨٢م لجهوده فى تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى شباب جماعات التكفير والهجرة، وبقيّة الجماعات الأخرى، شهادات تقدير متعددة لما قام به من التوعية الدينية العامة من الجامعات والجمعيات الشرعية والأهلية ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية منذ عام ١٩٦٥م حتى وفاته.

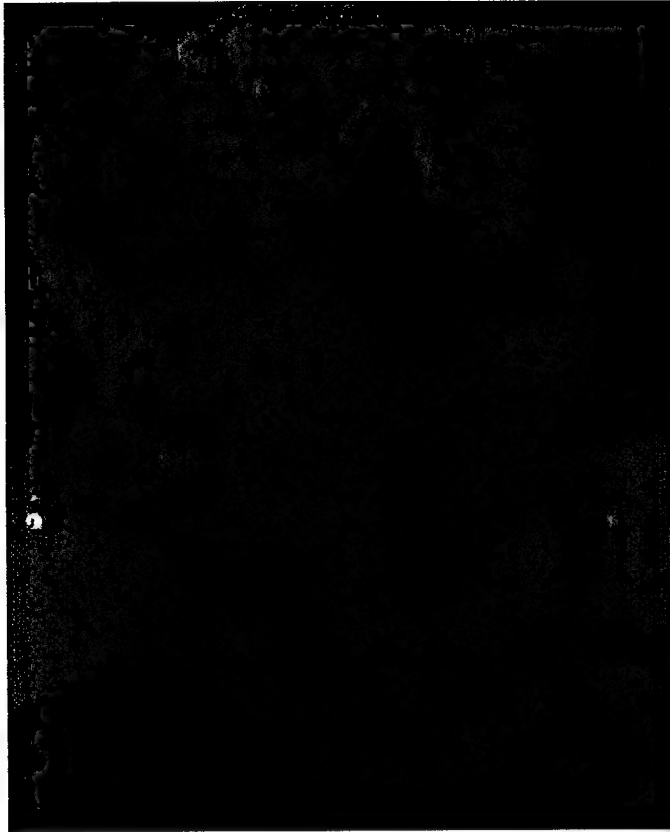
وقد توجت هذه الجوائز بحصوله من السيد رئيس الجمهورية على وسام جمهورية مصر العربية للعلوم والفنون والآدب من الطبقة الأولى فى عام ١٩٩٧م، وقد قدم قبل وفاته مؤلفاته وعلى رأسها كتابه الفريد فى بابه: فتح المنعم إلى إحدى مسابقات المؤسسات العلمية المختصة بدولة الكويت الشقيقة، ولم يتم البت فيها حتى تاريخه.

ومن حسن الطالع أن إمام مسجد رابعة العدوية بالقاهرة يعد رسالة دكتوراه عن حياة الشيخ ومنهجه فى بحوثه وكتبه.

خاتمة المطاف:

وما ذكرته عنه غيظ من فيض، وقطرة من محيط عطاياه، وقديماً قالت العرب: كفى بالقلادة ما حف بالعنق، رضى الله عن شيخنا، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وتلاميذه ومحبيه وعارفى فضله الصبر والسلوان، ونفع بعلمه، وأوصل إليه ثوابه، وعوض الأمة الإسلامية عنه خير الجزاء... أمين^(١).

(١) صوت الأهر: د. ناصر محمود وهدان عدد ١٣/٢/٢٠٠٩.



صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أ.د. محمد سيد طنطاوي

فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

- ١- ولد فضيلته بقرية سليم الشرقية -مركز طما- محافظة سوهاج- فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٨م.
 - ٢- تلقى تعليمه الأساسى بقريته، ثم التحق بمعهد الإسكندرية سنة ١٩٤٤م، ثم كلية أصول الدين والتي تخرج منها عام ١٩٥٨م ثم تخصص تدريس عام ١٩٥٩م، ثم الدكتوراه فى ٥/٩/١٩٦٦م فى التفسير والحديث.
 - ٣- عين فضيلته مدرساً بكلية أصول الدين عام ١٩٦٨م، ثم عميداً لكلية أصول الدين بأسبوط عام ١٩٧٦م ثم عميداً للدراسات الإسلامية والعربية بنين عام ١٩٨٥م ثم مفتياً للجمهورية فى ٢٨/١٠/١٩٨٦م ثم شيخاً للأزهر الشريف فى ١٩٩٦م.
 - ٤- أعيّر إلى الجامعة الإسلامية بليبيا من عام ١٩٧٢م إلى عام ١٩٧٦م ثم رئيساً لقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٩٨٠م إلى عام ١٩٨٤م.
- نبذة عن مؤلفاته:

١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم:

ويقع فى خمسة عشر مجلداً وكتب فى بضعة عشر عاماً وطبع عدة مرات آخرها عام ١٩٩٣م بدار المعارف. والتفسير خال من الأقوال الضعيفة والباطلة ويبدأ بشرح الألفاظ القرآنية شرحاً لغوياً مناسباً وبيان سبب النزول ثم معانى الآيات وتفصيلها والوجوه البلاغية والأحكام والتوجيهات الحكيمة من الأحاديث النبوية الشريفة.

٢- بنو إسرائيل فى القرآن الكريم:

ويقع فى مجلدين الأول منه (تاريخ بنو إسرائيل فى مختلف عصورهم) منه

مسالك اليهود في العهد النبوي . والمجلد الثاني (رذائل اليهود كما صورها القرآن) - ورد القرآن على دعواهم الباطلة .

٣- معاملات البنوك وأحكامها الشرعية:

وطبع هذا الكتاب ثلاثة عشر مرة وتحديث عن: الشريعة الإسلامية - والمعاملات في الإسلام - والربا ومنهج الإسلام - والقروض - والديون - والودائع - والاستثمار والحكم الشرعي للتعامل .

٤- الدعاء:

وفيه الدعاء - آدابه - الدعاء والقضاء والقدر - والدعاء المستجاب - خاتمة ورجاء .

٥- السرايا الحربية في العهد النبوي:

وفيه يوضح معنى السرية والغزوة وعدد الغزوات وأهدافها وأسبابها .

٦- القصة في القرآن الكريم:

هذا الكتاب يقع في مجلدين والذي يتحدث فيه فضيلته عن قصة سيدنا آدم وابنيه ونوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى وعن جميع الأنبياء في القرآن الكريم وعن قصة أصحاب الأخدود وصاحب الجنتين وذى القرنين وسيل العرم وأصحاب الكهف وسيدنا محمد ﷺ .

٧- أدب الحوار في الإسلام:

يتحدث هذا الكتاب عن أسس الحوار في الإسلام ونماذج المحاورات حول اليوم الآخر والمحاورات التي دارت بين الرسل وبين أقوالهم .

٨- الاجتهاد في الأحكام الشرعية:

تحدث في هذا الكتاب عن معنى الاجتهاد وشروطه وحكمه وضوابطه ونماذج من اجتهاد الرسل واجتهاد الرسول والصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين والأئمة الأربعة وتحدث عن اختلاف الفقهاء .

٩- أحكام الحج والعمرة:

وتحدث في هذا الكتاب عن أركان الحج وشروطه وواجباته وسننه بالتفصيل .

١٠- الحكم الشرعى فى أحداث الخليج:

وصدر هذا الكتاب فى أعقاب حرب الخليج سنة ١٩٩٠م حيث بين فضيلته الحكم الشرعى فى عدوان دولة على دولة مسلمة أخرى.

١١- تنظيم الأسرة ورأى الدين فيها:

وقد أوضح فضيلته الفرق بين التحديد والتعقيم والإجهاض وهل تنظيم الأسرة جائز من الناحية الدينية.

١٢- مباحث فى علوم القرآن:

فى هذا الكتاب تحدث فضيلته عن التعريف بعلوم القرآن وموضوعه وفوائده وبأسمائه ومقاصده وأول ما أنزل وآخر ما أنزل والمكى والمدنى وأسباب النزول وجمعه وكتابه وآداب التلاوة.

١٣- العقيدة والأخلاق:

وتحدث عن تعريف العقيدة وحاجة الإنسان إليها وعن تطورها والأدلة على وجود الله ووحدانيته والقضاء والقدر وأفعال العباد وحاجتهم للرسول وصفات الرسل وعددهم ووحدرة رسالتهم ومعجزاتهم وعصمتهم ودفع الشبهات عنهم وعن الملائكة والجن وأحوال القبر واليوم الآخر وعلامات الساعة وختم الكتاب عن الأخلاق فى الإسلام.

١٤- الفقه الميسر:

وتحدث فى هذا الكتاب عن أركان الإسلام فبدأ بالصلاة وأركانها وواجباتها وآدابها وصحتها وأنواعها.

١٥- عشرون سؤالاً وجواباً:

فى هذا الكتاب أجاب فضيلته عن عشرين سؤالاً تتعلق بالمعاملات التى تجرى بين الناس.

١٦- فتاوى شرعية:

فى هذا الكتاب ذكر فضيلته الإجابات الشرعية للمسائل التى يحتاجها المسلمون.

١٧- المنهج القرآني في بناء المجتمع:

في هذا البحث تحدث عن المنهج القرآني الذي رسمه الله في سورة النساء للمجتمع خارجيًا وداخليًا.

١٨- المرأة في الإسلام:

وفي هذا الكتاب بين وجوه المساواة بين الرجل والمرأة ووجوه الاختلافات فيما يتعلق بالخصائص التي منحها الله لكل فريق منهم.

مؤلفات فضيلته:

* التفسير الوسيط للقرآن الكريم. خمسة عشر جزءاً.

* بنو إسرائيل في القرآن والسنة.

* معاملات البنوك وأحكامها الشرعية.

* الدعاء.

* السرايا الحربية في العهد النبوي.

* القصة في القرآن الكريم.

* أدب الحوار في الإسلام. جزآن

* الاجتهاد في الأحكام الشرعية.

* أحكام الحج والعمرة.

* تنظيم الأسرة ورأى الدين.

* مباحث في علوم القرآن الكريم.

* العقيدة والأخلاق.

* الفقه الميسر.

* عشرون سؤالاً وجواباً.

* فتاوى شرعية.

- * المنهج القرآنى فى بناء المجتمع .
- * المرأة فى الإسلام بالمشاركة .
- * جوامع الدعاء من القرآن والسنة .
- * الحكم الشرعى فى أحداث الخليج .
- * أحكام الصيام .
- * الشائعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام .
- * الفقه الميسر ثلاثة أجزاء .

حوار مع الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى:

يرفض شيخ الأزهر أن يضع فى منزله تكييفًا فى هذا الجو الحار ويكتفى بمروحة أحضرها معه من المدينة المنورة، وقت أن كان يعمل بمكة المكرمة أربع سنوات أستاذًا، اعتبرها أفضل أيام حياته واعتبر أيامه فيها أسعد الأيام، فقد أنعم الله عليه فى هذه السنوات بالمال والصحة وراحة البال، الأمر الذى يفتقده كثيرًا فى هذه الأيام، فمنصب شيخ الأزهر منصب تحوطه الهموم من كل جانب، ليس فقط همومه الشخصية، ولكنها هموم العالم الإسلامى ككل، فأنى لصاحب هذا المنصب أن يجد راحة البال؟

وفى السنوات الأخيرة ازدادت هذه الهموم أثقالاً فوق أثقال، حرب هنا وإبادة هناك، واضطهاد فى مكان ثالث، ذهبت إليه بحثًا عن مكان آخر وجانب آخر للحوار بعيدًا عن كل هذه الهموم، وهو جانب الأسرة، الزوجة والأولاد والأحفاد.. وفى منزله الكائن بمدينة نصر، استقبلنا حرسه الخاص متعجبًا فلم يسبق لفضيلته أن أجرى حوارًا فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل عقب صلاة العشاء، فأجبتهم، لهذا الحديث خصوصية تناسب خصوصية المكان والموعود.

وفى الدور الأول حيث خصص فضيلته شقة فسيحة لاستقبال ضيوفه وزواره ومريديه، استقبلنا بجلبابه الأبيض فى بساطة تعودناها فيمن تلحف بعباءة الأزهر.

وهبني للعلم:

قلت له: متى بدأت رحلتك مع العلم؟ فقال فضيلته:

بداية.. لقد ولدت في قرية سليم الشرقية - مركز طما بمحافظة سوهاج في يوم ٢٨/١٠/١٩٢٨، وقرر والدي أن يهبني منذ مولدي للعلم، ولذا جعلني أحفظ القرآن الكريم، وبالفعل أتممت حفظه وأنا في سن الرابعة عشرة، ثم التحقت بمعهد دمنهور الأزهرى حيث أتممت الدراسة وتخرجت بترتيب لا بأس به وقد كانت درجاتي تسمح لى بالالتحاق بكلية اللغة العربية التي كانت لا تقبل فى ذلك الوقت إلا أعلى الدرجات باعتبارها من كليات القمة، ولكننى فضلت الالتحاق بكلية أصول الدين، وتخرجت منها بتقدير لا بأس به، ثم عملت مدرساً بها، ثم أستاذاً مساعداً فى أسيوط ثم عميداً لكلية أصول الدين مدة عشر سنوات، ثم عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية فى عام ١٩٨٦، وهو نفس العام الذى صدر فيه قرار جمهورى بتعيينى مفتياً للديار المصرية.. وبعد ذلك توليت منصب شيخ الأزهر.

ثلث القرآن:

حصل فضيلة الإمام على درجة الدكتوراه فى تخصص التفسير والحديث وكان موضوعها «بنو إسرائيل فى القرآن الكريم». وعن سبب اختياره لهذا الموضوع يقول:

إن ثلثى القرآن الكريم يتعرض لبنى إسرائيل بإسهاب وتفصيل كما أن هناك خمسة عشر نبياً من أنبياء الله كلهم من بنى إسرائيل، وإسرائيل هو سيدنا يعقوب عليه السلام والكلمة تعنى «صفى الله».

ولقد سافر فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مبتعثاً من الأزهر للعمل فى ليبيا كما سافر إلى مكة المكرمة لنفس الغرض، وبقي بها أربع سنوات يقول عنها: كانت أسعد أيام حياتى، لم أر مثلها قط فقد كانت تغمرنى آنذاك راحة نفسية ومادية وعملية، ولذا اعتبرها أفضل أيام حياتى.

بنت وولدان:

تزوج فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر زواجاً تقليدياً من ابنة عمه، وكانت آنذاك تقيم فى الإسكندرية، وقد أسفر هذا الزواج عن إنجاب بنت هى أسماء خريجة كلية الطب من جامعة الأزهر، وولدان هما أحمد ويعمل فى الجهاز المركزى للمحاسبات وعمر ويعمل وكيلاً للنائب العام.

أحمد الله:

لم يمنع فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى ابنته وولديه من ممارسة ما يرغبون فيه من هوايات شرط أن تكون هذه الممارسات فى نطاق المدرسة فاشترك ولداه فى لعب ماتشات كرة القدم كما ذهبا مع المدرسة فى رحلات عدة، أما أسماء فقد أتاحت لها الفرصة لممارسة مختلف الأنشطة مثل الأشغال اليدوية والرسم. وفى ذلك يقول فضيلة الإمام: مارس أبنائى مختلف الهوايات فى نطاق مدارسهم، وأحمد الله أنهم يحافظون على فروض الله كما يلتزمون بالسلوك القويم.

ليس كله:

أسأل فضيلته: هل يحفظ الأولاد القرآن الكريم كاملاً؟ فيجيب: لم يستطيعوا أن يحفظوا القرآن الكريم كاملاً لأنهم لم يدخلوا مدارس أزهريّة، فقد انتقلنا فى عدة أماكن، وكنت أسكن فى مكان لا يوجد بالقرب منه معهد أزهري، لذا ألحقت أولادى بالمدارس العامة وفى نفس الوقت حفظوا أجزاء من القرآن ولكن ليس كل القرآن الكريم.

اختلاط منبوذ:

لم تعان أسماء الابنة الكبرى لفضيلة الإمام الأكبر من مشكلة الاختلاط لأنها كانت طالبة فى جامعة الأزهر، حيث لا يوجد اختلاط، وعن ذلك يقول فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى:

أنا أعتبر أن الاختلاط بمعنى أن تجلس الفتاة إلى جوار زميلها فى الجامعة يتحدثان فى لغو لا داعى له وأمور شخصية لا علاقة لها بالعلم أعتبره اختلاطاً

منبوذاً لا أوافق عليه ويرفضه الشرع، أما الاختلاط بمعنى أن تجلس الفتيات في مدرجات والفتيان في مدرجات أخرى، ولا يوجد بينهما إلا كل احترام وتقدير ويتسم سلوكهم بالانضباط، فهو اختلاط لا أعترض عليه، لأننى أدرك أنه من الصعب بمكان أن تخصص قاعات للفتيات وأخرى للبنين، لذا فمن الممكن أن تجلس الفتيات في مدرجات خاصة بهن وكذا البنين.

حماية لهم:

سألته: هل ترى فضيلتكم أن تدريس الثقافة الدينية في المرحلة الجامعية للطلاب أمر ضرورى فى ظل السلبات التى انتشرت بين طلاب الجامعة؟

فأجاب: إننى أؤيد هذا تماماً بل وأطالب المسئولين فى الجامعات من الأساتذة كما أطالب رجال الدين بأن يضطلعوا بهذه المسئولية، ويشاركوا فى وضع المنهج المناسب، فمن المهم أن يدرس الطالب الدين منذ دخوله المدرسة وحتى تخرجه من الجامعة، فهو يحصنه من الوقوع فى الخطأ، ويكون له حماية ووجاء ضد الانحراف أو التطرف.

والإسلاماء:

لم يكن أبناء فضيلة الإمام الأكبر يذهبون إلى المسرح أو السينما ولا يعنى ذلك أنه منعهم من ذلك، فهو يرى أنه لا غبار على المسرح والسينما إذا ما قدما أعمالاً ترقى بحس الإنسان وذوقه وتزرع فيه القيم السامية وتقوى عنده الأخلاق المتينة.

والدليل على ذلك أن فضيلته كان يشترك ضمن فريق المدرسة فى تمثيل مسرحية والإسلاماء وفى ذلك يقول: كنا أعضاء فى جمعية الشبان المسلمين وكان يرأسها فى ذلك الوقت الأستاذ أحمد الشرباصى، وكان بالجمعية فرقة مسرحية تقدم أفضل الأعمال التاريخية والإنسانية، وأذكر أننى اشتركت فى تمثيل مسرحية والإسلاماء.

تحتاج للتخصص:

أسأله: ألا يمكن للأزهر فى ظل ندرة الأفلام السينمائية والأعمال المسرحية التى تقدم التاريخ الإسلامى أو الشخصيات الإسلامية أن يساهم فى إنتاج أمثال هذه الأعمال؟

فيجيب فضيلته: الأزهر يشجع ويساند كل عمل يدعم القيم الدينية والأخلاقية لدى الناس وهو يشجع إنتاج أفلام ومسرحيات ومسلسلات تتناول الشخصيات الإسلامية والقيم الأخلاقية إلا أن إنتاج مثل هذه الأعمال يحتاج إلى المتخصصين في كتابة السيناريو وفي الإخراج وفي أمور كثيرة، الأزهر بعيد عنها.

الأغنية وحكم الشرع:

لا يرى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي في سماع الأغاني ما يحرمه الشرع، بشرط ألا تتضمن كلمات هذه الأغنيات ما يؤذى الشعور ويهبط بالأحاسيس ويقول:

الحكم الشرعى فى الأغنية أن حلالها حلال وحرامها حرام، بمعنى أن الحكم يتوقف على ما نسمعه فيها من كلمات، فإذا كانت هذه الكلمات تتضمن ألفاظاً فيها فسق وخروج عن حدود الأدب والأخلاق فهى حرام، وهذا الأمر لا نجاهد فيه فى الأغاني الوطنية، إننى أذكر أثناء العدوان الثلاثى أغنية عظيمة هى «الله أكبر» التى كتبها الأستاذ عبد الله شمس الدين، هذه الأغنية تثير الحماس فى النفوس وتعلو الهمم، وقد كان جنودنا يرددونها وهم يعبرون القناة فى حرب أكتوبر.

نعم للادخار:

ادخر فضيلة الإمام لأبنائه أموالاً فى البنوك قبل أن يستقلوا بحياتهم، فهو لا يرى فى ذلك بأساً وقد كتب كثيراً عن قضايا معاملات البنوك وألف كتاباً حول معاملات البنوك وعن ذلك يقول: التعامل مع البنوك أمر من اثنين، إما أنك تعطىها مالاً تستثمره لك أو تأخذ منها مالاً. فإن وضعت مالاً فى البنك كى تستثمره لك ويعطيك ربحاً معيناً فهذا حلال ولا شئ فيه، وأنا أرى أن تحديد الفائدة أو الربح لا حرمة فيه بل هو الأقرب إلى روح الشرع خاصة وأن هذه الفائدة تتغير بين وقت وآخر طبقاً للدراسات.

وإن أخذت مالاً من البنك على سبيل الدين أو القرض، لا يجوز أن تأخذه إلا كرأس مال، وعلى سبيل المثال يأتى شخص يبنى مصنعاً ويقوم بعمل دراسة جدوى لهذا المشروع يقدمها إلى البنك وهى تتضمن التقدير المبدئى للربح المتوقع، فيقوم

البنك بمراجعة هذه الدراسة عن طريق خبرائه ويتأكد من صحة أو جدوى هذه الدراسة، ومن التقدير المبدئي للربح فيوافق على أن يأخذ جزءاً من هذا الربح.. هذه صورة لا غبار عليها من الدين.

أما القرض بمعنى إعطاء الغير، فينبغي ألا يلجأ إليه الإنسان إلا إذا كان يتوقف عليه حياته كأن يقتض لشراء دواء ينقذ به حياته مثلاً.. وينبغي أن ندرك الفرق بين الضروريات والحاجات والكماليات.

فالقرض لا يؤخذ إلا للضروريات وإلا أصبح المقرض مستحلاً للربا^(١).

هذه المرة طلبت «أكتوبر» من فضيلة المفتي الدكتور محمد السيد طنطاوى أن يكتب بيده الأسباب والمبررات التى جعلته يقرر بأن عائد صندوق التوفير حلال وأن أرباح شهادات الاستثمار حلال.. وسأله بصراحة: لماذا اختلف مع لجنة الفتوى بالأزهر.. وبصرحة أكبر: هل هناك من يؤيد موقفه من كبار العلماء الراحلين أو الأحياء.. وبصرحة أكثر وأكثر: لمصلحة من، يتفرغ البعض للتشكيك فى آراء المفتي.. غير على دين الله.. أم غير على مصالحهم.. وترك لفضيلة المفتي أن يكتب شهادته بيده للتاريخ.

* ما الحكم الشرعى بالنسبة للتعامل فى صناديق التوفير؟

** صناديق التوفير تعد من أقدم المعاملات التى ظهرت فى مصر، والغرض منها: تعويد الطلاب والطالبات بصفة خاصة، وأفراد المجتمع بصفة عامة، على الإدخار، وعلى احتجاز جزء من أموالهم -مهما كان صغيراً- لوضعه فى صندوق التوفير، وأخذه مع أرباحه عندما تدعوهم الحاجة أو الضرورة إلى ذلك.

وقد طلبت من السيد الأستاذ عمر عامر -رئيس مجلس إدارة الهيئة القومية للبريد، والتى تتبعها صناديق التوفير- طلبت من سيادته أن يعطينى فكرة واضحة عن الغرض من إنشاء صناديق التوفير، فأجبنى سيادته فى خطاب له بتاريخ ١٤/٤/١٩٩٣ بما يلى:

(١) صوت الأزهر: تحقيق وحوار فى عدد ١٢/١١/١٩٩٩ - حاولت أكثر من مرة أن أحصل من فضيلته أن يمنحنى السيرة الذاتية وفى كل مرة يعتذر أمد الله تعالى فى عمره.

«تقوم الهيئة القومية للبريد عن طريق منافذها، بتجميع مدخرات المواطنين لترسلها إلى بنك الاستثمار القومي الذي يدعم المشروعات الصناعية والزراعية والتجارية للدولة.

ويأخذ البنك مقابلاً لذلك من أرباح هذه المشروعات نصيباً معيناً، يدفع منه لأصحاب هذه الأموال -عن طريق هيئة البريد- ما تم الاتفاق عليه.

هذا هو نص خطاب السيد الأستاذ عمر عامر إلى دار الافتاء المصرية في شأن التعامل عن طريق صناديق التوفير.

ومن الطرائف أنه خلال زيارة فضيلة شيخنا الأستاذ عبد المعز عبد الستار لدار الافتاء المصرية، وتطرق الحديث مع فضيلته إلى مسألة معاملات البنوك، أخبرني فضيلته بأن هيئة البريد منذ أكثر من خمسين سنة، كانت تتعامل مع أصحاب الأموال على سبيل الوكالة منهم لها.

واتصلت بالأستاذ جميل راشد خلف - مدير عام صندوق البريد- وطلبت من سيادته صورة من الإيصالات التي كانت تعطيها للمتعاملين معها، فأرسلها إلي وفيها: أنا الموقع أدناه.. أرغب في فتح حساب بصندوق التوفير، وقد وكلت صاحب السعادة -مدير عام مصلحة البريد- توكيلاً عاماً في استعمال المبالغ التي أدفعها.. إلخ.

وهذا الذي جاء في إيصالات هيئة البريد من أن التعامل معها على سبيل الوكالة المطلقة من صاحب المال للسيد مدير عام مصلحة البريد، هو الذي نميل إليه ونرجحه في التعامل مع جميع البنوك.

ولاشك أن الوكالة من المعاملات الشرعية التي أباحها شريعة الإسلام، ونرى أنها أولى وأفضل من غيرها من المعاملات الأخرى بالنسبة لما يقدمه من أموال إلى البنوك لتقوم هذه البنوك باستثمارها نيابة عنهم، وتعطيهم في مقابل ذلك ربحاً معيناً تم التراضي عليه من الطرفين تراضياً مشروعاً لا يشوبه شيء مما حرمه الله تعالى.

هذا، وقد أبدى كثير من العلماء رأيهم فى الحكم الشرعى، لأرباح صناديق التوفير. والذى نراه ونرجحه هو رأى الذى كتبه فضيلة الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - منذ عشرات السنين.

وقد نشر رأى فضيلته هذا فى كتابه «الفتاوى» ص ٣٣٣ - مطبعة الأزهر - سنة ١٣٧٩ هـ سنة ١٩٥٩ م، وهذا نص ما كتبه - رحمه الله وطيب ثراه -.

قال فضيلته: يرى بعض علماء الحلال والحرام أن الربح الذى تدفعه مصلحة البريد لأصحاب الأموال المودعة فى صندوق التوفير حرام، لأنه إما فائدة ربوية للمال المودع أو منفعة جرها قرض، وكلا الأمرين حرام فى نظر الشريعة، وعلى هذا يجب رده ويحرم أخذه والانتفاع به.

والذى نراه تطبيقاً للأحكام الشرعية، والقواعد الفقهية السليمة، أنه حلال ولا حرمة فيه. ذلك أن المال المودع لم يكن ديناً لصاحبه على صندوق التوفير، ولم يقتضيه صندوق التوفير منه، وإنما تقدم به صاحبه إلى مصلحة البريد من تلقاء نفسه، طائعاً مختاراً، ملتصقاً بقبوله إياه، وهو يعرف أن المصلحة تستغل الأموال المودعة لديها فى مواد تجارية، ويندر فيها - إن لم ينعدم - الكساد أو الخسران. وقد قصد بهذا الإيداع:

أولاً: حفظ ماله من الضياع. وتعويد نفسه على التوفير والاقتصاد.

وثانياً: إمداد المصلحة بزيادة رأس مالها ليتسع نطاق معاملاتها وتكثر أرباحها فينتفع العمال والموظفون، وتنتفع الحكومة بفاضل الأرباح.

ولاشك أن هذين الأمرين: تعويد النفس على الاقتصاد، ومساعدة المصلحة الحكومية، غرضان شريفان كلاهما خير وبركة، ويستحق صاحبهما التشجيع، فإذا ما عينت المصلحة لهذا التشجيع قدرًا من أرباحها منسوبًا إلى المال المودع أى نسبة تريد، وتقدمت به إلى صاحب المال، كانت دون شك معاملة ذات نفع تعاونى عام، يشمل خيرها صاحب المال والعمال والحكومة، وليس فيها هذا النفع العام أدنى شائبة لظلم أحد أو استغلال حاجة أحد.

ولا يتوقف حل هذه المعاملة على أن تندمج فى نوع من أنواع الشركات التى عرفها الفقهاء، وتحدثوا عنها وعن أحكامها.

وفى الواقع أن هذه المعاملة بكيفية تلك، وبظروفها كلها، وبضمان أرباحها لم تكن معروفة لفقهائنا الأولين وقت أن بحثوا الشركة ونوعوها واشترطوا فيها ما اشترطوا. وليس من ريب فى أن التقدم البشرى أحدث فى الاقتصاديات أنواعاً من العقود والاتفاقيات المركزة على أسس صحيحة لم تكن معروفة من قبل.

ومادام الميزان الشرعى فى حل التعامل وحرمة قائماً فى كتاب الله ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ ﴿لا تظلمون ولا تظلمون﴾، فما علينا إلا نحكمه، ونسير على مقتضاه.

ومن هنا يتبين أن الربح المذكور، ليس فائدة لدين حتى يكون ربا، ولا منفعة جرها قرض حتى يكون حراماً على فرض صحة النهى عنه، وإنما هو -كما قلنا- تشجيع على التوفير والتعاون اللذين يستحبهما الشرع.

هذا ما كتبه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت -رحمه الله- منذ ما يقرب من أربعين سنة، وهو -كما ترى- كلام جيد صادر من عالم فقيه، قوى الحجة، سليم التفكير، واسع الأفق، غيور على مصلحة أمة.

ولا التفات إلى قول من قال: إن فضيلته قد رجع عن هذه الفتوى فى أواخر حياته، فإنه قول ساقط لا دليل عليه؛ فقد سألت أنا شخصياً الأستاذ أحمد نصار -صهر فضيلة الشيخ والمشرف على طبع مؤلفاته- عن هذه الإشاعة، فأجابنى سيادته بأن هذه الفتوى لم يرجع عنها فضيلة الشيخ شلتوت، بل هى رأيه إلى أنلقى ربه -عز وجل-.

وانى فى النهاية أقول: إنى أقترح أن يكون اشتراك الطلاب والطالبات فى صناديق التوفير إجبارياً منذ التحاقهم بالمراحل الابتدائية إلى حين تخرجهم فى الجامعات -وأن يكون هذا الاشتراك بمبلغ شهرى أو سنوى معقول، حتى نعود أبناءنا وبناتنا على الادخار وعلى العطاء، وستعود إليهم هذه المبالغ التى اشتركوا بها فى يوم من الأيام ومعها أرباحها النافعة -إن شاء الله- فالألم السعيدة هى التى تربي فى أبنائها وبناتها حب الاقتصاد والادخار والعمل لكى ينفعهم فى مستقبلهم.

* ما الحكم الشرعى فى التعامل مع البنوك عن طريق شهادات الاستثمار أو ما يشبهها من معاملات؟

** سبق لدار الإفتاء المصرية، أن أصدرت في السادس من شهر سبتمبر سنة ١٩٨٩، فتوى مطولة بشأن الحكم الشرعى لشهادات الاستثمار وما يشبهها من معاملات، وانتهت فيها إلى أن التعامل فيها حلال، وأن الأرباح التى تأتى عن طريقها حلال. ولقيت هذه الفتوى ما لقيت من تأييد المؤيدين، ومن معارضة المعارضين.

وقد نشرت هذه الفتوى بمعظم الصحف المصرية، وأثبتها فى كتابى «معاملات البنوك وأحكامها الشرعية» الذى طبع حتى الآن ثلاث عشرة طبعة -والحمد لله- والسؤال الذى أريد أن أسأله لكل عاقل:

هل مفتى مصر هو أول من قال بأن التعامل فى شهادات الاستثمار وما يشبهها من معاملات حلال؟ وإذا كان مفتى مصر ليس أول من قال بذلك، فلماذا هذه الحملة الضالة على دار الإفتاء المصرية وعلى مفتى مصر من جانب أناس منهم السفهاء ومنهم الجهلاء ومنهم أصحاب المنافع الخاصة الذين يريدون تفسير الأحكام الشرعية حسب أهوائهم، ومنهم الصم البكم الذين إن حفظوا شيئاً غابت عنهم أشياء؟

لقد قابلت دار الإفتاء المصرية ما وجه إليها من تهمة كاذبة، ومن تطاول رخيص، ومن سوء أدب فى الحوار. . قابلت كل ذلك بالصبر الجميل، وبالمثل القويم، وبالحجة الناصعة التى تزهق باطل السفهاء والجهلاء وأصحاب النوايا السيئة التى تدفعهم إليها مصالحهم الخاصة.

وأنا أريد هنا أن أسوق جانباً من آراء العلماء الأعلام الذين سبقونى فى الكلام عن الحكم الشرعى للتعامل فى شهادات الاستثمار وما يشبهها من معاملات.

أولاً: رأى فضيلة الأستاذ الكبير المرحوم الشيخ على الخفيف -رئيس قسم الشريعة الأسبق بكلية الحقوق جامعة القاهرة- وعضو مجمع البحوث الإسلامية- كتب فضيلته بحثاً فقهياً دقيقاً للمؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية، المنعقد فى شهر شعبان سنة ١٣٩٢هـ الموافق لشهر سبتمبر سنة ١٩٧٢م، وقد نشر هذا البحث فى كتاب «مجمع البحوث الإسلامية» تحت عنوان: «بحوث اقتصادية وتشريعية»

من ص ١١٧ إلى ص ١٤٥ وكان عنوان هذا البحث القيم: «حكم الشريعة على شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة، تطبيقاً للقواعد الفقهية العامة والأصول الشرعية للمعاملات» وقد افتتح فضيلته -رحمه الله وطيب ثراه- هذا البحث بقوله: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاءنا بالحق المبين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا بحث وضعته فيما انتهى إليه رأيي في حكم شهادات الاستثمار التي يصدرها البنك الأهلي، نيابة عن الحكومة، من الوجهة الشرعية الفقهية، مهتدياً في ذلك بما وضعه الفقهاء من قواعد، وسنؤه من أصول.

وأبدأ هذا البحث بذكر الأصول التي اتخذتها أساساً له، وسيلاً إلى التعرف على الحكم الشرعي فيما يصدره البنك الأهلي نيابة عن الحكومة من شهادات الاستثمار..

ثم قال فضيلته: الأصل الأول: للناس في مجالات المعاملات المالية التي تتوقف عليها معاشهم وتوافر بها مصالحهم، أن يستحدثوا من العقود -في حدود الشريعة وأصولها- ما تدعو إليه حاجاتهم، وتحملهم عليه مصالحهم، دون أن يلحقهم حرج بهذا الاستحداث، لأن العقود ما شرعت إلا لتكون وسيلة لسد الحاجات، وطريقاً لنيل المصالح..

وبعد أن أفاض فضيلته في الحديث عن الأصول الثاني والثالث والرابع، وعن تكييف شهادات الاستثمار وعن أقسامها، وعن وسائل الاستثمار، وعن عقد الاستثمار، بعد كل ذلك قال فضيلته: وبما تقدم بيانه يتضح أن ليس في هذا العقد غرر فاحش بأحد طرفيه، فصاحب المال عالم بمآل ماله، وأن ماله سيرد إليه كاملاً عند طلب استرداده، كما أنه واثق مطمئن بما ابتغاه من ربح في ماله، وكذلك الحكومة، ما أقدمت على هذا النوع من التعامل إلا عن بينة وطمأنينة بتأجيلها ومآلها.. وبناء علي ما ذكرت يكون هذا التعاقد -فيما وصل إليه نظري واجتهادي- عقداً جائزاً. ذلك رأيي وطني فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فما أسرع عدولي عنه، إذا ما تبين لي وجه الخطر، وأن نظري فيه قد انحرف أو غفل أو ضل، والعصمة لله، والله الموفق للصواب.

هذا جانب مما قاله فضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف -رحمه الله- منذ أكثر من عشرين سنة بشأن الحكم الشرعي بالنسبة للتعامل في شهادات الاستثمار، وقد انتهى فيه إلى جوازها وحلها.

ثانيًا: رأى فضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ يس سويلم طه - الأستاذ السابق بكلية الشريعة وعضو لجنة الفتوى كتب فضيلته بحثًا صافيًا للمؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد سنة ١٩٧٢م، في كتاب مجمع البحوث الإسلامية من ص ٢٥٣ إلى ص ٢٦٣، وكان عنوان البحث: «حكم الإسلام في أرباح شهادات الاستثمار، وودائع صناديق الإدخار».

وقد انتهى فيه إلى حل التعامل بهاتين المعاملتين وإلي حل الأرباح الناتجة عنهما.

ثالثًا: رأى لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية.

عقدت لجنة البحوث الفقهية ثلاثة اجتماعات موسعة، لبحث حكم شريعة الإسلام في شهادات استثمار البنك الأهلي المصري بأنواعها الثلاثة أ، ب، ج، وكان أول هذه الاجتماعات بإدارة الأزهر بتاريخ ١٧/٣/١٩٧٦.

وكانت هذه اللجنة برئاسة فضيلة المرحوم الشيخ محمد فرج السنهوري -عضو مجمع البحوث الإسلامية-، وكانت تتكون من ثلاثة عشر عالمًا من خيرة العلماء، يمثلون المذاهب الأربعة:

خمسة منهم يمثلون المذهب الحنفي، وهم أصحاب الفضيلة الأساتذة: عبد الله المشد، ومحمد الحسيني شحاته، وعبد الحكيم رضوان، ومحمد سلام مذكور، وزكريا البري.

وأربعة منهم يمثلون المذهب المالكي، وهم أصحاب الفضيلة الأساتذة: عبد الجليل عيسى، ويس سويلم، والسيد خليل الجراحي، وسليمان رمضان.

وثلاثة يمثلون المذهب الشافعي، وهم أصحاب الفضيلة الأساتذة: محمد جيرة الله، وطنطاوي مصطفى، وجاد الرب وواحد يمثل المذهب الحنبلي، وهو: فضيلة الشيخ عبد العظيم بركة.

وقد قال ثمانية منهم بحل التعامل فى شهادات الاستثمار وأرباحها، وهم: أصحاب الفضيلة: عبد الجليل عيسى، ويس سويلم والسيد خليل الجراحى، وعبد العظيم بركة ومحمد سلام مذكور وعبد الله المشد، وعبد الحكيم رضوان، وزكريا البرى.

ومما قاله الأستاذ الدكتور محمد سلام مذكور: إن التعامل فى شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة، معاملة مستحدثة، ولا تخضع لأى نوع من العقود المسماة، وهى معاملة نافعة للأفراد والمجتمع، وليس فيها استغلال من أحد طرفى التعامل للآخر، والأرباح التى يمنحها البنك الذى تشرف عليه الدولة ليست من قبيل الربا، لانتفاء جانب الاستغلال، وانتفاء احتمال الخسارة.

ومما قاله فضيلة الشيخ عبد العظيم بركة: إن الشهادة ذات الجوائز حرف «ج» جائزة شرعا، لأن الجائزة فيها لمن تخرج له القرعة، وهى هبة لمن تخرج له. . . وأما الشهادات أ، ب فالتعامل فيهما من باب المضاربة الصحيحة، لأن العائد فى كل منهما مشترك بين صاحب المال والعامل، والتعامل فيهما حلال وجائز شرعا، حيث إن المصالح فيه متحققة والمفسدة متوهمة، والأحكام لا تبنى على الأوهام. هذا ومحضر هذه اللجنة، قد أثبتته بكامله فى كتابى «معاملات البنوك وأحكامها الشرعية» من ص ٢٢٥ إلى ص ٢٣١ الطبعة الثالثة عشرة - بمكتبة المجلد العربى بالأزهر.

رابعا: هناك عدد من الفقهاء كتبوا رأيهم فى التعامل فى شهادات الاستثمار، وقرروا أن التعامل فيها جائز شرعا، وكذلك الأرباح التى تترتب عليها، ومنهم:

* فضيلة الدكتور محمد الشحات الجندى - رئيس قسم الشريعة ووكيل كلية الحقوق بطنطا - فقد كتب بحثا مطولا عن «شهادات الاستثمار» فى كتابه «فقه التعامل المالى والمصرفى الحديث» من ص ٤٧ إلى ص ٨٩ - الناشر دار النهضة العربية، وقد قال فضيلته فى نهاية وتأسيسا على ذلك فإننا نعتقد أن شهادات الاستثمار عقد جائز فى الشرع، لعدم خروجه على القواعد المعروفة فى المعاملات الشرع لعدم خروجه على القواعد المعروفة فى المعاملات الشرعية، ففيه التراضى، وفيه النفع للمتعاقدين، ولا يتضمن استغلالا ولا غبا ولا أكلا للمال بالباطل،

وأنة يختلف عن الصور المعروفة للعقود الفقهية، والأولى اعتباره عقدا غير مسمى اقتضته المعاملات الحديثة».

* السيد المستشار محمد بدر المنيأوى - النائب العام السابق - كتب سيادته بحثا فى اثنتين وثلاثين صفحة عن حكم شهادات الاستثمار الصادرة عن البنك الأهلى المصرى، تحدث فيه عن: التعريف بهذه الشهادات وخصائصها الاقتصادية، ثم عن التكييف القانونى لهذه الشهادات، ثم عن التخرىج الفقهى لشهادات الاستثمار، ثم عن الحكم الشرعى لشهادات الاستثمار.

* فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد شلبى - الأستاذ بكلية دار العلوم - له بحوث قيمة فى كتابه: «الاقتصاد فى الفكر الإسلامى»، فقد قال فى ص ١٠٨ وما بعدها عن شهادات الاستثمار: «هذه المعاملة لا تحارب التجارة والصناعة، بل على العكس، تستغل حصيلتها لتشيط التجارة والصناعة والعمران الذى تقوم به الدولة، فتحصل على الأرباح المباشرة من هذه المشروعات، وغير المباشرة من الضرائب التى تجمعها نتيجة النشاط الاقتصادى. وعلى هذا فشهادات الاستثمار، وإيداع الناس أموالهم بالبنوك ليس قرضا، وبالتالي ليس ربا، وإنما هو من أنواع من المعاملات المباحة».

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر - رحمه الله - له بحث مستفيض فى كتابه «الاجتهاد» ٣٢٧ وما بعدها عن «شهادات الاستثمار» وقد انتهى فيه إلى جواز التعامل فى شهادات الاستثمار التى لها عائد وربح معين تدفعه الدولة كمنحة وحافز».

هذه جملة من الآراء والبحوث التى كتبها العلماء الثقات، والفقهاء المحققون، الذين منهم من هو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، ومنهم الأساتذة بالجامعات الذين على أيديهم تخرج الآلاف من طلبة العلم.

وقد أجمعوا على أن شهادات الاستثمار وما يشبهها من معاملات حلال، وكذلك الأرباح التى تترتب على التعامل فيها.

ورأى أنا بعد كل ذلك أن كل معاملة تتم بالتراضى المشروع بين الطرفين، وخالية من الغش والكذب والخداع والاستغلال ومن كل ما حرمه الله - تعالى - فهى حلال وكذلك الأرباح التى تترتب عليها.

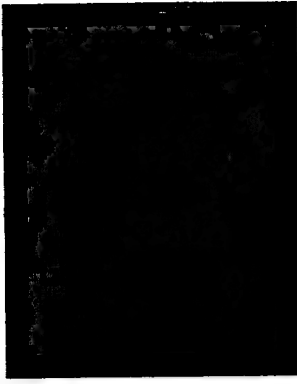
وأن كل ما يقدمه أى إنسان من أموال لأى بنك من البنوك، ونيته وقصده أن يكون البنك وكيلا عنه وكاله مطلقة فى استثماره لأمواله، وأنه راض كل الرضا بما يعطيه له البنك من أرباح سواء أحدها له البنك مقدما أم لم يحددها فهذه المعاملة حلال، والأرباح التى تترتب عليها حلال، وسواء أكانت هذه المعاملة عن طريق شهادات الاستثمار، أم عن طريق غيرها كالشهادات ذات الأرباح الشهرية أم السنوية أم غيرهما.

وأن تسمية أمثال هذه المعاملات بأنها قروض أو ديون، تسمية خاطئة من الناحيتين اللغوية والشرعية، والتسمية الصحيحة لها: استثمار عن طريق الوكالة المطلقة، وقبل ذلك وبعد ذلك فالأمر -كما جاء فى الحديث الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

*** هذا، وقبل أن اختتم كلامى فى هذا الموضوع، أحب أن أقول إنى من أجل التأكد من معاملات البنوك وضعت مبالغ متواضعة فى البنك الأهلى وفى بنك مصر فرع المعاملات الإسلامية، وفى بنك فيصل الإسلامى، وفى بنك القاهرة، وفى صناديق التوفير- بنية ويقصد أن تكون هذه البنوك وكيلة عنى فى استثمارها لهذه المبالغ.. وبالتجربة لم أجد فرقا بينها جميعا إلا فى الأسلوب، فهذا بنك يحدد الأرباح وهذا لا يحدد وهذا يعطى الربح كل شهر، وهذا كل ثلاثة شهور، وهذا كل سنة، والأرباح التى تعطى متقاربة من الجميع..

وعندما انتقلنا إلى دار الافتاء الجديدة، وجدت أن صيانة المبنى يحتاج إلى أموال قد تكون أحيانا قليلة، ولكى أريح الدولة من هذه الأموال التى تحتاج إليها الصيانة المحدودة، وضعت مبلغ مائة وخمسين ألف جنيه فى البنك الأهلى فرع العباسية، بنية ويقصد أن يكون وكيلا عنى وكالة مطلقة فى استثمارها لى وحدد لى ربحا شهريا لهذا المبلغ، وقد أوقفت هذا المبلغ وربحه على مطالب مبنى دار الافتاء والعاملين فيه- ومرة أخرى أردد الحديث النبوى الصحيح «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم^(١).

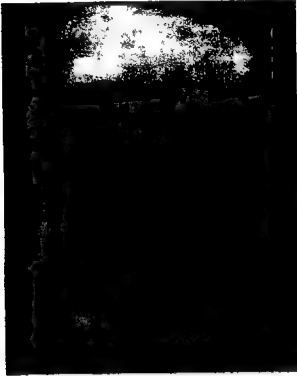
(١) مجلة أكتوبر - العدد ٩٦٨ - الأحد ١٤ مايو «آبار» ١٩٩٥م فى صفحات ١٩، ٢٠، ٢١.



الشيخ عبد الجليل عيسى



الشيخ محمود شلتوت



د. عبد المنعم النمر



د. عبد الله المشد



د. أحمد شلبي

هؤلاء الأعلام هم الذين اشتركوا في الحوار حول الاستثمار
والادخار في البنوك وصناديق التوفير، في الحوار السابق مع
السابق شيخ الأزهر بمجلة أكتوبر العدد ١٩٦٨ مايو ١٩٩٥ ص ١٩ - ٢١.

وفاة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر



بعد أن شارك فى تكريم الفائزين فى جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية بمدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، فقد وافته المنية قبل صعوده الطائرة عائداً إلى مصر، وذلك فى صباح يوم الأربعاء ٢٤ من ربيع الأول عام ١٤٣١هـ الموافق ١٠ من مارس عام ٢٠١٠ رحمة الله تعالى رحمة واسعة وقد لبث السعودية طلب ابنه ليدفن فى البقيع بالمدينة

المنورة، وكان الرئيس مبارك يعالج فى ألمانيا وكان لوفاته صدى عالمياً، فقد نعاه العالم الإسلامى كله فنعاه الدكتور فتحى سرور رئيس مجلس الشعب قائلاً: «كان فضيلة الإمام الأكبر صديقاً عزيزاً، كما افتقدنا بوفاته سعة العلم وصدق الأمانة ودمائة الخلق، وعرفته عالماً كبيراً وفقهياً عظيماً وإماماً رفيع الشأن».

ونعاه السيد صفوت الشريف رئيس مجلس الشورى فأصدر المجلس بياناً جاء فيه ينعى مجلس الشورى إلى الشعب المصرى وشعبونا العربية والإسلامية فقيد مصر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الذى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد حياة حافلة بالعطاء لدينه ووطنه وأمتة كان فيها الإمام الجليل رمزاً فريداً من رموز الإسلام وحملة لوائه علماً وخلقاً وتواضعاً على هدى سيد الأنبياء وخاتم المرسلين عاش حياته زاهداً ومدافعاً عن الإسلام ورسوله ومقدساته بغير تعصب أو تزيد، وسطيّاً فى فكره معتدلاً فى منهجه، ميسراً فى أحكامه بانيّاً جسوراً من التواصل والمودة مع سائر العقائد.

ونعاه الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف فقال: «ووزارة الأوقاف إذ تنعى فضيلته فإنها تؤكد أن افتقاده يمثل خسارة كبيرة لمصر وللعالم الإسلامي، وعزاؤنا أنه أدى رسالته حتى اللحظة الأخيرة على خير وجه، فقد عاش طوال حياته يعمل جاهداً على نشر قيم الإسلام الرفيعة كالاعتدال والوسطية والتسامح، وقدم للإسلام خدمات جليلة لا تنسى كما ترك آثاراً علمية باقية تتعلم منها الأجيال.

ونعاه رئيس جامعة الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب الذي عينه رئيس الجمهورية شيخاً للأزهر خلفاً له قال: لا شك أن مؤسسة الأزهر الشريف فقدت ركناً من أهم أركانها ورائداً من روادها وهو فضيلة الإمام الشيخ الذي لا يعوز تميز الفقيد عليه رحمة الله أنه كان رجلاً شديد التواضع، وكان زاهداً في الدنيا.. وكان من أكبر علماء المسلمين في التفسير وعلوم القرآن ومن صفاته العلمية أنه كان شجاعاً في الحق وكان مؤهلاً لقيادة الفكر الإسلامي وتصدى لقضايا خطيرة وثبت على موقفه ودافع عنها باقتدار وكان رحيماً حيث قام بطبع كتب التراث على نفقة الأزهر وقام بتوزيعها مجاناً على الطلاب، وكان نموذجاً ليسر الإسلام ورائداً للتصالح والتسامح.

ونعاه مفتي الديار المصرية الأستاذ الدكتور على جمعة: لقد فقدت الأمة الإسلامية الدكتور الشيخ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر المفسر اللغوى والفقير الكبير، علما من أعلامها وكوكباً من كواكب الهداية في سمائها ورمزاً شامخاً من رموزها العظام، فقدت رجلاً عاش عمره في خدمة العلم وخدمة القرآن الكريم وخدمة الإسلام والأزهر.. ويعتبر الشيخ المغفور له من أحد أبرز دعاة العالم الإسلامي وعاش حياته داعياً إلى الله عز وجل حاملاً هم تبليغ رسالة الإسلام وعالميته إلى شعوب الأرض وقدر الله تعالى أن يتوفاه وهو يخدم الإسلام والمسلمين في أرض الحرمين الشريفين.

وقال الشيخ محمد الخزر جى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر: وقد اكتسبنا منه الجدية والإخلاص في العمل وخدمة الدين وآرائه الفقهية المستنيرة التي أفاض

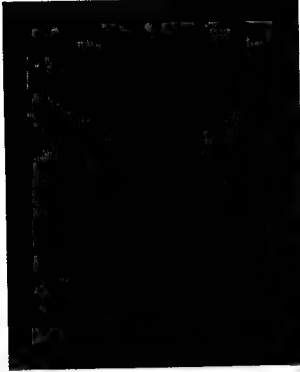
بها على جميع أنحاء المؤتمرات التي تعقد في جميع أنحاء العالم الإسلامي.. وأذكر لفضيلته أحد مآثره على الأزهر الشريف وهي اهتمامه البالغ بالمعاهد الأزهرية التي كان عددها عندما تولى مشيخة الأزهر لا يزيد على الألف معهد لكن في عهده زادت إلى أكثر من ثمانية آلاف معهد.

وقال الدكتور أحمد شوقي إبراهيم رئيس المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة: سيظل علماً من أعلام الأمة الإسلامية وإماماً من أشهر أئمة الأزهر الشريف في تاريخه الطويل، وكان على خلق كريم وعلم غزير وفضل كبير يتحلى بوقار العلماء وهيبة الأئمة ثابت اليقين، وكان قلبه عامراً بالإيمان والتقوى^(١).
فرحم الله الإمام وأسكنه فسيح جناته. آمين.



(١) صوت الأزهر: عدد ٥٤٦ الجمعة ٢٦ من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ١٢ مارس ٢٠١٠م.

الدكتور سليمان خميس أستاذ الفلسفة الإسلامية



فى مركز إدكو بمحافظة البحيرة، مدينة النجوم - شبه الجزيرة فى حوض البحر الأبيض المتوسط وبحيرة إدكو المشهورة وفرع النيل العظيم الذى يصب فى رشيد، يفصلها عن أبى قير والمعمورة، والإسكندرية بوغاز المعدية، حين تتعانق مياه البحر المالح بمياه بحيرة ادكو العذبة، وبين أشجار النخيل التى تجاوزت مليونى نخلة وأشجار الأعناب على الرمال الذهبية،

فى هذه الطبيعة الجميلة الساحرة ولد العلامة الفيلسوف الإسلامى الشيخ سليمان سليمان خميس عام ١٩١٣م فحفظ القرآن الكريم فى مكاتب ادكو ومدارسها. ليلتحق بعد ذلك بمعهد الإسكندرية الدينى، فيقضى المرحلتين الابتدائية والثانوية الأزهرية بتفوق، ليحصل على الثانوية عام ١٩٣٦م، ثم التحق بكلية أصول الدين، متفوقاً فى سنوات الدراسة بين زملائه الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بىصار الإمام الأكبر شيخ الأزهر والأستاذ الدكتور عوض الله حجازى وكيل الأزهر ورئيس جامعته، فكان ترتيبه الثالث على دفعته التى بلغت حينذاك أربعة عشر ومائة طالب عام ١٩٤٠، ثم واصل الدراسات العليا، حتى حصل على درجة العالمية والأستاذية «الدكتوراه» من كلية أصول الدين عام ١٩٤٧م، وكان موضوع رسالته فلسفة الجاحظ، واشترك فى مناقشتها الأستاذ الدكتور محمد البهى، وحصل عليها بتقدير ممتاز ثم عين بعد ذلك مدرساً فى كلية أصول الدين ثم أستاذاً مساعداً ثم أستاذاً، وتولى رئاسة قسم التوحيد والفلسفة الإسلامية عام ١٩٧١، حتى تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه فكانت وفاته فى ١٩٧٤/٧/٧، ودفن بمدينة إدكو التى عاش فيها عمره متنقلاً بينها وبين الإسكندرية والقاهرة حيث مقر عمله.

رائد مدرسة فى إدكو:

يعد الدكتور سليمان خميس أول أستاذ جامعى فى جامعة الأزهر من أبناء إدكو، فكان قدوة لأبنائها اللذين تطلعوا أن يسيروا على نهجه، ليكونوا علي مثاله، فغرس فى نفوسهم روح المنافسة والتفوق، فتسابقوا إلى كراسى الجامعة فى الأزهر والجامعات الأخرى، فكان أول أستاذ فى جامعة الأزهر الدكتور على صبح، أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة ورئيس قسم الأدب والنقد فيها وعميدها أكثر من مرة، وكذلك الدكتور محمد شتا زيتون أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية ورئيس القسم فى كلية اللغة العربية، والدكتور أحمد شحاتة الجمال الحاصل على الدكتوراة فى اللغويات، والدكتور على حبيبه أستاذ التاريخ فى دار العلوم جامعة القاهرة، والدكتور محمد سعد فشان وكيل كلية اللغة العربية بإيتاى البارود، ورئيس قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية، والدكتور مصطفى أحمد حباله، أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية بالقاهرة، والدكتور حسن ذكرى حسن مدره رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة، والدكتور حمدي طه أستاذ الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية بالقاهرة والدكتور رمضان القسطاوى أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية بالمنصورة، والدكتور محمد المرشدى عبد النبى الأستاذ بكلية التربية جامعة الأزهر، والشيخ محمد حبيب أبو الفضل المدير العام فى مديرية التعليم الأزهرية بمحافظة البحيرة والشيخ مسعد أبو سته وكيل الوزارة بالتعليم الأزهرى بكفر الشيخ والشيخ محمد حسن الشيخ وكيل الوزارة فى مديرية التعليم الأزهرى بالإسكندرية، والشيخ محمد سالم حبيبه وكيل الوزارة فى مديرية التعليم بالبحيرة، والشيخ محمد حسين قشوط وكيل التعليم الأزهرى فى البحيرة، والأستاذ عبد السلام حراز صهره بمديرية التعليم فى إدكو. والشيخ على على توتو مدير التعليم الأزهرى فى الإسكندرية، وجمهرة كبيرة من خريجي الأزهر، أدوا رسالتهم فى المعاهد الأزهرية وفى وزارة التربية والتعليم، وفى الدعوة والوعظ والإرشاد، وفى مقدمتهم الشيخ عبد الحليم قطيط، والشيخ حمادة هلال، والشيخ كامل حسين ماضى، والشيخ هليل محمد عسل والأستاذ إبراهيم عبد النبى والأستاذ السيد سنهورى والشيخ محمد وأخيه حسن عبد الله زيتون، وكان من تلاميذه أيضاً أساتذة جامعيين تفرقوا فى الجامعات الأخرى فى

القاهرة وطنطا والمنوفية والقناة، وأكثرهم عددًا أساتذة في كليات جامعة الإسكندرية لقربها من مدينة ادكو ووصل بعضهم إلى رئيس قسم وإلى وظيفة عميد في كلياتها المختلفة، وقد حصل واحد منهم على جائزة عالمية من لندن في طب التجميل وهو الأستاذ الدكتور محمد الشيخ «زكريا» وهو أول رئيس لقسم التجميل في طب الإسكندرية الذي أنشأ فيها، وغيرهم وغيرهم كثيرون ممن تتلمذوا على شيخهم الدكتور سليمان خميس وأما تلاميذه الكثيرون من أبناء ادكو وعامتهم، الذين كانوا يلزمونهم في دروسه بمساجد ادكو وعلى طريقته المتميزة، فكان يحرص أشد الحرص على ألا يقوموا من الدرس إلا بعد أن يستمع منهم إلى ما ألقاه عليهم من الحديث الشريف والآيات القرآنية فيختبرهم حتى يتأكد من حفظهم وتحصيلهم، وصاروا من بعده يلقون الدروس في المساجد ويخطبون في الجمع والمناسبات، وهم كثيرون، أذكر منهم الشيخ شحاته زيتون، والشيخ إبراهيم عبد الرحمن زيتون والشيخ محمد طقيشم، والشيخ محمد المدخوم، والشيخ حسن شيشي وغيرهم كثيرون.

مؤلفاته العلمية: منها:

- ١- نحو عقيدة قرآنية.
- ٢- السمعيات.
- ٣- نهاية الفلسفة في المشرق وبدايتها في المغرب.
- ٤- شرح العقائد النسفية.
- ٥- شرح المقولات العشر في الفلسفة.
- ٦- الإلهيات في شرح السيد شريف الجارجاني على المواقف.
- ٧- تحفة المحبين في أدلة نجاة أبوى خاتم المرسلين وغيرها من المؤلفات المنشورة، وترك عدة مخطوطات يحاول أبناؤه أن ينشروها في دور النشر. وقد بارك في أبنائه فكان منهم المستشار حميد سليمان خميس والأطباء والصيدالة والمدرسين أمد الله تعالى في عمرهم وأعانهم على نشر مؤلفاته المخطوطة الكثيرة، رحمه الله تعالى وبعثه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الأستاذ الدكتور محمد شتا زيتون أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية



على شاطئ البحر الأبيض المتوسط سجلت منذ فجر التاريخ صفحات أمواجه العتقة الحضارات القديمة والعريقة في سجلات الإسكندرية وإدكو ورشيد، فأصبحت هذه المدن الثلاث وعاء لهذه الحضارات، حضارة الإغريق والرومان وحضارة الإسلام في الإسكندرية، وحضارة الفراعنة والإغريق وحضارة الإسلام في مدينة إدكو مدينة النجوم، وحضارة الفراعنة والإغريق والحضارة الإسلامية في مدينة رشيد

ولازالت آثار هذه الحضارات شاخصة في متاحفها الكثيرة، ولعل أبرز حدث تاريخي عالمي أثار العالم، وأحيا تاريخ هذه الحضارات، ألا وهو حجر رشيد، الذي حملت رموزه ولغته هذه الحضارات القديمة، ولولا حجر رشيد الذي اكتشف في هذه المنطقة، لما عرف العالم هذه الحضارات، وفي السنوات الأخيرة بعثت مكتبة الإسكندرية ذات التاريخ القديم في العلم، وعادت إليها الحياة العلمية، بعد أن اندثرت، لكن بصورة حضارية راقية اشتركت في بناء هذا الصرح للحضارات الكبيرة بعض دول العالم مع مصر، فصارت من أعظم مكتبات العالم، وعلى أحسن طراز فقد بنيت على أحدث النظم العالمية وأرقاها، في صرح شامخ أنيق.

في هذه المدن الثلاث الحافلة بأرقى الحضارات القديمة، والتي عززتها حضارة الإسلام، وعادت إليها الحياة والمجد في ظلالها، فقد اكتشف حجر رشيد في ظلال الحضارة الإسلامية، وقد أعيد بناء مكتبة الإسكندرية على أحدث طراز في ظلال الحضارة الإسلامية في مصر، وفي أفريقيا، فحضارة الإسلام هذه في مصر وفي دول أفريقيا هي التي أحيت هذه الحضارات، وهي التي صانتها وطورتها، ومكنت العالم كله منها، وزودته بمعارفها وعلومها وأطوارها التاريخية، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن حجر رشيد ظهر إلى العالم في ظلال حضارة الإسلام، ولا يستطيع أحد

أن ينكر أن مكتبة الإسكندرية الحديثة، ذلك الصرح العلمى الشامخ أقامته الحضارة الإسلامية، التى تعمل على ازدهارها حكومتها الرشيدة وعلمائها المخلصون.

وفى ظلال هذه الحضارات العريقة تقلب بين ربوعها وارتشف من رحيقها ابنها البار محمد شتا زيتون، ابن هذه المدن الثلاث برشيد وإدكو والإسكندرية فقد ولد فى ادكو التابعة آنذاك لمركز رشيد، وتعلم فيها وفى مدارسها ومكاتبها القرآنية، متنقلاً بينها وبين معهد الإسكندرية الدينى فقد قضى فى هذا المعهد الأزهري تسع سنوات، أربع سنوات فى المرحلة الابتدائية، وخمس سنوات فى المرحلة الثانوية، فهو ينتسب إلى عائلة كبيرة فى مدينة ادكو، وهى عائلة زيتون، تولى أحد أبنائها رياستها وإدارتها، فكان عمدة إدكو منهم، اشتهر بكرمه وحكمته فى الحكم والإدارة، وكان فى عائلته العلماء والأطباء والمهندسون، ومن بينهم ابن عمه الأستاذ محمد محمود زيتون العالم والمؤرخ والشاعر المشهور، الذى تولى وظائف كثيرة فى الإسكندرية حتى صار مدير الثقافة، وتولى مناصب مرموقة فى محافظة الإسكندرية وأجيزت فى شعره ومسرحه الشعرى عدة رسائل علمية فى جامعة القاهرة وجامعة الأزهر، وكتبتُ عنه بحثاً منشوراً فى حولية كلية اللغة العربية بعنوان المذهب الشعرى لمحمد محمود زيتون، كما صاهر الدكتور محمد شتا زيتون أسرة علمية تفوقت فى علوم الطب وممارسته، فتزوج أخت الأستاذ الدكتور عبد المحسن أمين نعيم المشهور فى جامعة الإسكندرية وفى أمريكا.

مع هذه المؤثرات، التى أثرت فى شخصية الدكتور محمد شتا زيتون، والتى كان لها الأثر الكبير فى تكوين شخصيته العلمية والعالمية، والتى صنعت منه عالماً وداعية ومؤرخاً وأديباً وباحثاً.

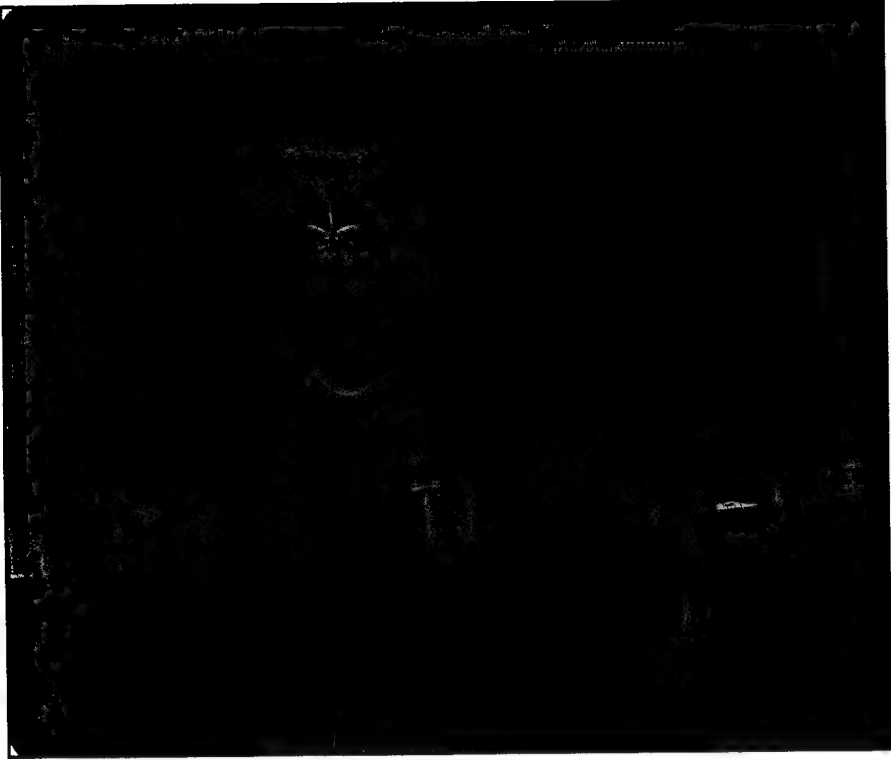
أما كونه عالماً وداعية، فقد كان رسول الأزهر إلى المسلمين فى الفلبين عام ١٩٦٢ حيث كان يجيد لغاتهم ليعلمهم، ويحمل أمانة الدعوة الإسلامية فى مدينة «هراوى» وكذلك فى مدينة «هولو»، ثم سافر فى بعثة الأزهر إلى ليبيا عام ١٩٧٢م، ليكون داعية بالوعظ والإرشاد، ثم كان أستاذاً فى التاريخ والحضارة الإسلامية فى كلية اللغة العربية، حتى صار رئيساً لهذا القسم ومقرراً ورئيساً للجنة العلمية لترقية الأساتذة.

وأما كونه مؤرخاً وباحثاً فقد حصل على درجتى الماجستير والدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية وكان يعمل فى مجمع البحوث الإسلامية وأصبحت له بحوث منشورة ومؤلفات كثيرة فى هذا التخصص، وله دور كبير فى المؤتمرات الدولية التى اهتمت بعلوم التاريخ والحضارة الإسلامية، حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها أثناء مشاركته فى مؤتمر المؤرخين العرب بالقاهرة، فى ٢٦ نوفمبر عام ١٩٩٤م.

وأما كونه أديباً مبدعاً فى عرضه لحقائق التاريخ والسيرة النبوية عرضاً أدبياً، يجعل الباحث والقارئ متمتعاً بالقراءة والتحصيل لأسلوبه العلمى المتأدب، فأسلوبه علمى أدبى فى الكتابة والتأليف وهو اتجاه جديد لفن الكتابة والتأليف يطلق عليه «فن الكتابة والتأليف».

وهو فن فنون الأدب الحديثة، وقد أشتهر فى هذا الفن والاتجاه الذى أتقنه الدكتور محمد شتا زيتون، واشتهر فيه فى العصر الحديث الدكتور محمد الطيب النجار، والدكتور إبراهيم شعوط وغيرهم من علماء التاريخ والدكتور محمد عبد الله دراز والشيخ محمد الغزالي السقا، والشيخ محمد متولى الشعراوى والشيخ أحمد حسن الباقورى، والإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى والإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى، والدكتور أحمد الشرباضى وغيرهم من العلماء والمفكرين والدعاة المعاصرين، وفن الكتابة والتأليف، فن نشأ حديثاً فى النقد المعاصر بعد «فن السيرة» الذى نشأ على يد الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور طه حسين ومن عاصرهم من المهتمين بفن السيرة الأدبى، وأنا أول من أشار إلى فن الكتابة والتأليف فى كتابى الأدب الإسلامى بين النظرية والتأليف عام ١٩٨٧م، وابتكرت هذا الفن الأدبى الحديث.

واشتهر الأستاذ الدكتور محمد شتا زيتون فى محيط عمله فى مجمع البحوث الإسلامية وفى جامعة الأزهر فى كلية اللغة العربية، وفى المؤتمرات اشتهر بالحزم والدقة والعدالة وإحقاق الحق، ولا يخشى فى ذلك أحداً إلا الله عز وجل، وكان رحمه الله تعالى جريئاً يقول الحق ولو كان مرأى، ولو أدى ذلك إلى ضياع حقه ومواقف كثيرة يحفظها له زملاؤه فى القسم وتلامذته، وإليك سيرته الذاتية التى تكونت منها شخصيته العلمية والعالمية فيما تناولناه فى هذا التقديم عن حياته الثرية والحافلة بالآثر المجيدة. وهذه صورة لمشاركته فى أحد المؤتمرات الدولية:

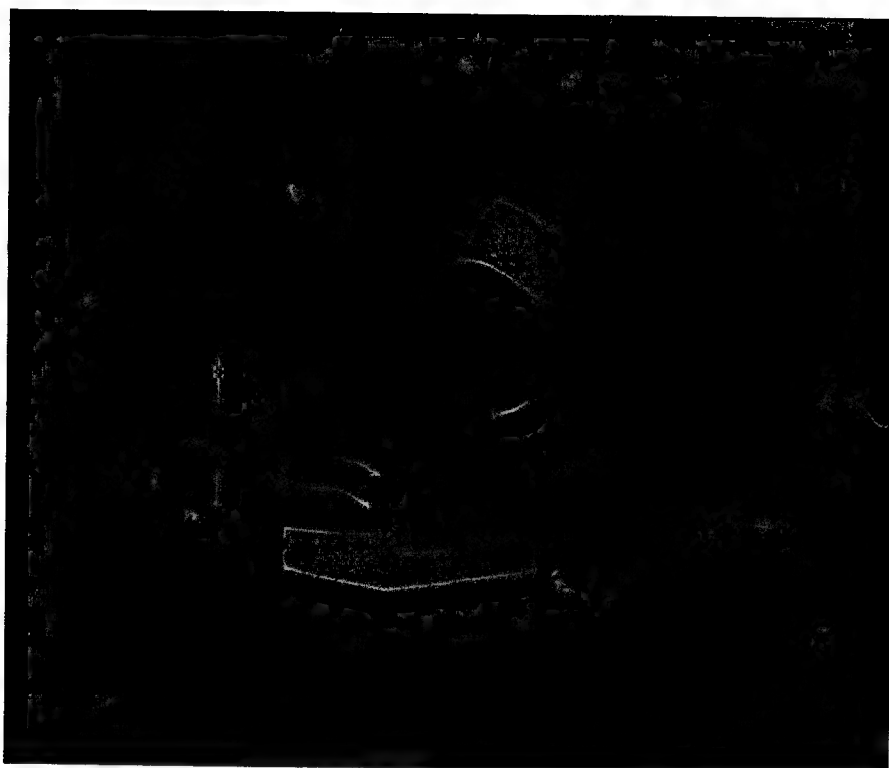


أ.د. محمد شتا زيتون الثاني من اليسار في أحد المؤتمرات الدولية

السيرة الذاتية للدكتور محمد محمد زيتون

- ولد عام ١٩٣١م بمدينة إدكو بمحافظة البحيرة - جمهورية مصر العربية.
- أتم حفظ القرآن الكريم والتحق بمعهد الإسكندرية الأزهرى ١٩٤٦م.
- حصل على الشهادة الثانوية من معهد الإسكندرية الأزهرى سنة ١٩٥٥م.
- حصل على الليسانس فى التاريخ والحضارة من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سنة ١٩٥٩م.
- عمل مدرساً للثانوى الأزهرى بمعهد جرجا فى الوجه القبلى.
- سافر إلى الفلبين سنة ١٩٦٢م ليعمل مدرساً للعلوم الدينية بمدينة «هراوى فى Camello Islamic university.
- انتقل إلى مدينة «هولو» ليعمل مدرساً للعلوم الدينية.
- ثم عمل بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٥م وحصل على الماجستير فى التاريخ والحضارة الإسلامية سنة ١٩٦٧م.
- سافر إلى ليبيا سنة ١٩٦٩م ليعمل بإدارة الوعظ والإرشاد الدينى.
- حصل على الدكتوراة فى التاريخ والحضارة من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سنة ١٩٧٢م مع مرتبة الشرف الأولى وعين مدرساً بالجامعة سنة ١٩٧٣م.
- سافر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود بالملكة العربية السعودية بالرياض سنة ١٩٧٦ ليعمل بها مدرساً للتاريخ والحضارة الإسلامية.
- عمل أستاذاً زائراً بجامعة أم القرى سنة ١٩٨٣م وحضر مؤتمر شبه الجزيرة العربية بالرياض.
- عين رئيساً لقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر سنة ١٩٩١م.
- مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة فى التاريخ بجامعة الأزهر.
- عضو باتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

- عضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- له أكثر من خمسين مؤلفاً ما بين كتب منشورة وبحوث مقدمة إلي مؤتمرات علمية في مصر وبعض الدول العربية والإسلامية.
- منها على سبيل المثال:
- * أضواء من سيرة محمد ﷺ عام ١٩٧٥ م.
- * السيرة النبوية عام ١٩٧٥ م.
- * الخلفاء الراشدون.
- * المسلمون في المغرب والأندلس عام ١٩٨٣ م.
- * المسلمون في الفلبين جهادهم ومشكلاتهم عام ١٩٨٣ م.
- * المسلمون في الشرق الأقصى - الفلبين - أندونيسيا - ماليزيا ١٩٨٥ م.
- * القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية عام ١٩٨٨.
- * السراج المنير في سيرة سيد المرسلين ١٩٩٤ م.
- * مصر الإسلامية.
- * دراسات عن الأندلس.
- وله كثير من المقالات بمجلة العربى التى تصدر فى الكويت وكذلك العديد من المقالات فى مجلة الحج التى تصدر بالمملكة العربية السعودية.
- وتوفى وهو يؤدى واجبه أثناء حضوره مؤتمر المؤرخين العرب بالقاهرة فى ٢٦ نوفمبر ١٩٩٤ م.
- وهذه صورة له فى مناقشة رسالة دكتوراه.



على اليسار د. محمد شتا زيتون، د. محمد الطيب النجار، د. عبد
المقصود نصار في مناقشة رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامى

الفهرس

الموضوع الصفحة

الجزء الخامس

تابع الباب الثانى عشر

٣	تصدير الجزء الخامس من كتاب الأزهر فى ألف عام
٥	مجمع البحوث الإسلامية
١٥	مجلة الأزهر
١٨	إدارة الوعظ والإرشاد
١٩	مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية
٢٠	قرارات وتوصيات المؤتمر التاسع
٢٣	الأزهر والدعوة الإسلامية
٢٨	كتب صدرت عن الأزهر الشريف

الباب الثالث عشر

شخصيات.. ومواقف

٤١	ابن السبكى
٤٦	الشيخ محمد الحفنى شيخ الأزهر
٥٢	أزهريون خالدون
٥٣	الشيخ عباس ووقف المغاربة
٥٤	الشيخ السادات يقود الثورة
٥٧	الأزهري الشيخ سليمان الجوسقى
٦٣	رفاعة رافع الطهطاوى

٦٦	الطهطاوى رائد التنوير
٧٣	صورة عن الإمام الشيخ محمد عبده
٨٤	الشيخ مصطفى عبد الرازق
٨٨	أزهري يرد على إسماعيل باشا
٩١	مفتى قبرص
٩٣	مسيرة الألف عام- مجلة الإذاعة المصرية
٩٥	رسالة دكتوراه عن دور الأزهري في الحياة المصرية للدكتور مصطفى رمضان
٩٦	حوار بين العلماء والوالى
٩٨	الأزهري أكسفورد الشرق
١٠٥	الأزهري وأثره في الحياة الإنسانية
١١٠	قرارات مؤتمر البحوث الإسلامية
١١٥	قصة الأزهري الجامعى بعد عشرين عامًا
١٢٩	الأزهري حصن العربية
١٣١	الأزهري من بعيد .. ومن قريب
١٣٩	الأزهري الخالد
١٤١	الدكتور طه حسين والأزهري
١٤٨	الأزهري في القرن العشرين
١٥٠	الشيخ عبد اللطيف السبكى
١٥٣	نشاط أزهري
١٥٤	المرأة في الأزهري
١٥٤	عميد الأدب العربى في الأزهري
١٦٠	محمد عبد المنعم خفاجى أديباً
١٧٨	الشيخ سيد سابق
١٨١	لو أن للدين رجالاً

١٨٦	الشيخ محمود شلتوت
١٨٨	أعلام معاصرون: الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد
١٩٢	الشيخ عبد السميع شبانة
١٩٤	الشيخ محمد الطنطاوى
١٩٧	الشيخ عبد الجليل عيسى
١٩٩	الشيخ سعاد جلال
٢٠١	الدكتور أحمد الشرباصى
٢١٤	الدكتور خفاجى عالماً
٢٢٥	أبو الجامعات فى الشرق والغرب
٢٣٤	ترجمة القرآن الكريم
٢٣٦	الشيخ المراغى
٢٤١	شيخ جامعة الأزهر الحالى الدكتور محمد السعدى فرهود
٢٤٥	الإمام نافع الخفاجى الكبير
٢٦٣	نافع الخفاجى حفيد العلامة نافع الخفاجى الكبير
٢٧٢	الشيخ حسنين محمد مخلوف .. الفكر والعطاء
٢٧٧	موسى شاهين لاشين فارس الحديث وعلومه
٢٨٣	...	فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر
٢٨٧	حوار مع الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى
٣٠٦	الأستاذ الدكتور سليمان سليمان خميس أستاذ الفلسفة الإسلامية
٣٠٩	الأستاذ الدكتور محمد شتا زيتون أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
٣١٣	السيرة الذاتية للدكتور محمد شتا زيتون
٣١٧	فهرس الموضوعات

